الصورة الفنية في شعر كشاجم

إعداد
علاء الدين زكي علي موسى

المشرف
الدكتور ياسين عايش خليل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب ، ٢٠٠٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة (الصورة الفنية في شعر كشاجم) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٥

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور ياسين عايش خليل/مشرفاً أستاذ مشارك في الأدب العباسي	
الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرار/عضواً أستاذ الأدب الأندلسي	
الدكتور حمدي محمود منصور/عضواً أستاذ مشارك في الأدب الجاهلي	
الأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي/عضواً أستاذ الأدب العباسي (جامعة اليرموك)	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى كفها الناعمة ... التي علمتني الكتابة ....

إلى صوتها الدافئ ... الذي علمني القراءة ...

إلى ابتسامتها الحلوة ... التي ترسم السعادة ....

إليك أمي الحبيبة

إلى كفه الخشنة ... التي علمتني أن الحياة عقيدة وجهاد ...

إلى صوته الهادر ... الذي علمني أن أقول الحق والصواب ...

إلى الذي ما رأيت دمعته قط ...

إليك أبي العزيز

إليكم إخوتي :

بثينة وبتول وعلي وعماد ومعمر وعمران

كي نبقى أمناء على فضيلتي الإيمان والعلم ... كما أرادنا والدانا...

إلى كل من أحب لغة القرآن الكريم ...

أهدي هذا العمل

ع.ز

الزرقاء ٢٠٠٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتــوجه بجميل الشكر ووافر الامتنان إلى الدكتور الفاضل ياسين عايش خليل لإشــرافه على هذه الرسالة ، كما أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة: الأســتاذ الدكــتور صــلاح محمد جرار والدكتور حمدي محمود منصور والأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي ، فلهم جميعاً خالص الشكر والتقدير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
شكر وتقدير.....	د
فهرس المحتويات.....	هـ
الملخص باللغة العربية.....	ز
المقدمة	١
التمهيد	٤
أولاً : التعريف بالصورة الفنية	٥
ثانياً : التعريف بالشاعر.....	١٦
الباب الأول : موضوعات الصورة الفنية في شعر كشاجم.....	٢٨
الفصل الأول : صورة الإنسان.....	٣١
أولاً : المرأة.....	٣٢
ثانياً : الرجل.....	٤٤
الفصل الثاني : صورة الطبيعة.....	٦٠
أولاً : الطبيعة الصامتة.....	٦١
ثانياً : الطبيعة الصائتة.....	٦٥
الفصل الثالث : صورة المجتمع والحضارة.....	٨٣
الرؤية الاجتماعية والثقافية.....	٨٤
أ- الثقافة الدينية والمذهبية.....	٨٨
ب- الثقافة الأدبية.....	٩١
ج- ثقافات علمية مختلفة.....	٩٤
مظاهر مذهبية وحضارية في شعر كشاجم.....	٩٦
أولاً : التشيع.....	٩٦
ثانياً : مجالس الشراب.....	٩٩
ثالثاً : صورة القيان وآلات الموسيقى.....	١٠٤
رابعاً : صورة المأكولات.....	١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً : صورة أدوات الكتابة..... ١٠٦
سادساً : صورة بعض أدوات الترف..... ١٠٧
الباب الثاني : بناء الصورة الفنية في شعر كشاجم..... ١١٠
الفصل الأول : البناء البلاغي..... ١١١
أولاً : الصور الإشارية..... ١١٢
ثانياً : الصور التشبيهية..... ١١٥
ثالثاً : الصور الاستعارية..... ١١٩
الفصل الثاني : الصورة المفردة والعلاقات..... ١٢٤
أولاً : الصور الحسية..... ١٢٥
ثانياً : الصور العقلية..... ١٣١
ثالثاً : أشكال العلاقات للصورة المفردة..... ١٣٣
الفصل الثالث : البناء الموسيقي..... ١٣٨
أولاً : الموسيقى الخارجية في شعر كشاجم..... ١٤٠
ثانياً : الموسيقى الداخلية في شعر كشاجم..... ١٤٦
الباب الثالث : دلالة الصورة الفنية في شعر كشاجم..... ١٥٤
الفصل الأول : الرمز والأسطورة..... ١٥٥
أولاً : الرمز..... ١٥٦
ثانياً : الأسطورة ١٥٩
الفصل الثاني :الموقف الفكري للشاعر..... ١٦٤
أولاً : الحب والفراق..... ١٦٥
ثانياً : الخير والشر..... ١٦٨
ثالثاً : الجد واللهو..... ١٧٠
رابعاً: الحكمة وأبعادها الجمالية..... ١٧٣
الخاتمة..... ١٧٨
المصادر والمراجع..... ١٨١
الملخص باللغة الإنجليزية..... ١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الفنية في شعر كشاجم

إعداد

علاء الدين زكي علي موسى

المشرف

الدكتور ياسين عايش

الملخص

يتــناول هذا البحث موضوع الصورة الفنية في شعر كشاجم ، بما يهدف إلى إعادة قراءة التراث العربي، وفق الأسس الحديثة في التحليل الفني للشعر ، ولمّا كانت الصورة الفنية مصدر الخصوبة في الشعر ، وأهم الملامح التي تميّزه ، ووسيلة الشاعر في الكشف عن شاعريته ، فقد ابــتدأ الــبحث بتمهيد وقف فيه الباحث عند مفهوم مصطلح " الصورة " ، في محاولة لتحديده ، خاصــة أن المفاهــيم قد تعددت ، والآراء قد تضاربت حول الصورة ، سواء في النقد العربي القديم أو الحديث ، وقد خلص الباحث إلى أنه يمكن التعامل مع المصطلح بشكل أكثر شمولية ، فالكــناية والتشبيه والاستعارة والمجاز بعامة ، كلها قابلة لأن تكون صورة ، بما يضفي عليها الشاعر من عواطفه وانفعالاته ، ويمزجها بخياله.

ثم عرف الباحث بكشاجم ، أبي الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (ت حوالي ٣٤٨هـــ) ، الــذي اشتق لنفسه هذا الاسم من المهارات التي كان يتقنها ، كما عرف بنسبه ، وحياته ، ومؤلفاته .

وقد جاء الباب الأول " موضوعات الصورة الفنية في شعر كشاجم " في ثلاثة فصول ، تناول الباحث في الفصل الأول صورة الإنسان ، المرأة التي أفاض كشاجم في تصوير جمالها الجسدي والخلقي ، والرجل الذي رسم صورته صديقاً أو أميراً أو غير ذلك ، وتناول في الفصل الثاني صورة الطبيعة ، وما فيها من أمطار ، وأنهار ، وأزهار ، ونباتات ، وحيوانات ، كما صورها كشاجم ، وتناول في الفصل الثالث صورة المجتمع والحضارة ، والروافد الدينية ، والمذهبية ، والأدبية ، والعلمية ، التي شكلت ثقافة كشاجم الموسوعية ، وأبرز المظاهر المذهبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجتماعية في شعر كشاجم ، كالتشيع ، ومجالس الشراب ، وصورة القيان وآلات الموسيقى ، وصورة المأكولات ، وصورة أدوات الكتابة ، وصورة بعض أدوات الترف .

كمـــا جاء الباب الثاني " بناء الصورة الفنية في شعر كشاجم " في ثلاثة فصول ، عالج الـــباحث فـــي الفصل الأول أشكال الصورة البلاغية في شعر كشاجم ، الإشارية ، والتشبيهية ، والاستعارية ، وعالج في الفصل الثاني أشكال الصورة المفردة ، الحسية ، والعقلية ،وأنواعهما ، والعلاقـــات المتماثلة ، أو المتخالفة ، أو المتنافرة ، التي تجمع بين الصور المفردة ، بما يشكل صـــورة كلية هي القصيدة ، وعالج في الفصل الثالث البناء الموسيقي في شعر كشاجم ، فكانت أوزانه وقوافيه ، تتفق بصورة عامة وأوزان الشعر العربي القديم وقوافيه .

وفي الباب الثالث " دلالة الصورة الفنية في شعر كشاجم " تحدث الباحث في الفصل الأول عـــن الرمز والأسطورة ، وبين كيف أن صورة المرأة ، أو الرجل ، تصبح رمزاً إلهياً مقدساً ، فـــي بعض شعر هذا الشاعر ، بسبب ارتباطها بمعتقد العرب قبل الإسلام ، وناقش الباحث في الفـــصل الثانـــي موقف الشاعر من الحياة ، من خلال قضايا الحب والفراق ، والخير والشر ، والجد واللهو ، والحياة والموت ، بالإضافة إلى الحكم التي أسداها للإنسان ، وتتمثل في السعي الدؤوب نحو معالي الأمور ، وكل ما يؤدي إلى المجد والرفعة .

وجاءت الخاتمة في بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمـــين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فقد كثرت الدراسات التاريخية والأدبية والبلاغية عن الشعراء في العصر العباسي ، ولكن الدراسات النقدية القائمة على معطيات حديثة لتلك المرحلة ، تحتاج إلى مزيد بحث ، وخصوصاً ما يتعلق بدراسة الصورة الفنية .

إن إعادة النظر إلى التراث من زاوية نقدية جمالية حديثة ، تسهم في معرفة التطور الفني في المجتمع العربي ، وتبرز شيئاً من الأبعاد الجمالية في الشعر العباسي ، ذلك قد يكون قراءة جديـــدة للتراث ، تقوم على أسس حديثة في التحليل الفني للشعر ، وربما كان ذلك هو الهاجس الأساسي لهذا البحث . وقد اختص البحث في شعر كشاجم ، أبي الفتح محمود بن الحسين (ت حوالي ٣٤٨هـــ) أحد كتاب سيف الدولة الحمداني ، وشعراء عصره ، الذي كان شعره ريحان الأدب (كمـــا يقول الثعالبي في يتيمة الدهر) ، فغدت تجلية صوره الفنية من مستلزمات درس شعر هذا الشاعر ، وبيان استحقاقه لما نعت به .

إن شخـــصية كـــشاجم العلمـــية والأدبية ، التي أقام من اسمه دليلاً عليها ، إذ اشتقه من الحـــروف الأولى لمهاراته ، فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم مـــن مـــنجم ، والمـــيم من مغن ، كانت بمثابة دافع أساسي ، دفعني إلى محاولة التعرف على شـــاعرية هذا الشاعر المبدع ، في ضوء دراسة الصورة الفنية في شعره ، خصوصاً أنه لم يلق الاهتمام الذي يليق به ، عبر المسيرة النقدية الممتدة من عصره إلى عصرنا هذا .

كمـــا أن مـــن بين الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ، طبيعة مصطلح " الـــصورة " الـــذي شاع استخدامه في النقد العربي المعاصر ، فقد تبنته جلّ الدراسات النقدية المعاصرة ، في دراسة الشعر العربي قديمه وحديثه.

وقـــد حـــدا بـــي هذا الموضوع إلى الاطلاع على عدد من الدراسات المتخصصة ، التي اتخذت من مصطلح " الصورة " عنواناً لها ، ومن بين هذه الدراسات ، دراسة مصطفى ناصف " الـــصورة الأدبـــية " التـــي نحا فيها منحى بلاغياً نظرياً ، فركز على معالجة الاستعارة ، مع الالـــتفات إلى المعنى الأدبي ، وكذلك دراسة جابر عصفور " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب " ، وهي تقدم الإطار النظري للصورة الفنية ، ولم يحصرها في الكناية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتشبيه والاستعارة ، بل منحها أبعاداً دلالية وجمالية ، متقدمة على نظرية القدماء النقدية والجمالية .

أمـــا الدراســـة التـــي اقتـــرب مـــنهج هذا البحث منها ، فهي دراسة عبد القادر الرباعي " الصورة الفنية في شعر أبي تمام "، حيث اعتمدت الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري ، فأفـــدت مـــن منهجه ، وطريقته في تناول الصورة ، من حيث موضوعاتها ، وأساليب بنائها ، ودلالاتها الفنية .

وذلك بالإضافة إلى ما قرأته عن الصورة في دراسات أخرى ، مثل " الصورة بين القدماء والمعاصرين " لمحمد إبراهيم شادي ، و "بناء الصورة في البيان العربي " لكامل حسن البصير، و " الـــصورة البلاغية عند عبد القاهر " لأحمد علي دهمان ، و" الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي " للولي محمد ، و "الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري " لعلي البطل .

أمـــا أخـــبار كشاجم وحياته ، فقد أفدت فيه من كتاب ثريا عبد الفتاح ملحس " أبو الفتح كـــشاجم الـــبغدادي في آثاره وآثار الدارسين " ، كما أفدت من الدراسات العامة ، التي تناولت الشاعر وشعره ضمن مواضيع أخرى ، مركزة على أغراضه الشعرية ، ومضامينه ، وبخاصة الوصف ، مثل " فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين " لمصطفى الشكعة ، و"الشعر في ظل سيف الدولة " لدرويش الجندي ، و" الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني " لسعود عبد الجابر.

ومع ما تحمله هذه الدراسات من قيمة ، إلا أنها لم تلتفت كثيراً إلى جوانب الصورة الفنية فـــي شـــعر كشاجم ، ومقدرته على التصوير . ومن هنا جاءت دراستي للصورة عند كشاجم ، جامعة للمضمون والشكل ، أو المادة والبناء ،وقد اقتضت ضرورة المنهج تقسيم هذا البحث إلى: تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

وقد جاء التمهيد في شقين ، يدرس أولهما التعريف بمصطلح الصورة ، عند النقاد العرب قـــديماً وحديـــثاً ، بما يرسي الأساس النظري الذي يقوم عليه البحث . ويدرس ثانيهما التعريف بكشاجم ، اسمه ، ونسبه ، وحياته ، ومؤلفاته .

وقـــد درســـت فـــي الباب الأول موضوعات الصورة في شعر كشاجم ، من خلال ثلاثة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن صورة الإنسان ، وفي الثاني عن صورة الطبيعة ، وفي الثالث عن صورة المجتمع والحضارة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفـــي الباب الثاني عالجت طرق بناء الصورة في شعر كشاجم ، فكان الفصل الأول عن البـــناء البلاغـــي ، والفصل الثاني عن الصورة المفردة والعلاقات ، والفصل الثالث عن البناء الموسيقي .

أمـــا الـــباب الثالث ، فعالجت فيه دلالة الصورة الفنية في شعر كشاجم ، ضمن فصلين ، تحـــدثت فـــي الأول عـــن الرمز والأسطورة ، وفي الثاني عن الموقف الفكري للشاعر ، وعن الحكمة وأبعادها الجمالية .

وفي الخاتمة أتيت على ذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ولا شـــك أن هناك صعوبات قد واجهتني أثناء هذا البحث ، منها صعوبة تحديد مصطلح الصورة ، فهو ليس من المصطلحات التي اتفق على تعريف محدد لها ، بل تعددت الاجتهادات والتعـــريفات ، بحـــسب تعدد المذاهب الأدبية ، فملت إلى تعريف عبد القادر الرباعي ، وسرت على نهجه ، آخذاً بعين الاعتبار طبيعة الشاعر الفنية ، وظروفه التي تختلف عن ظروف غيره من الشعراء .

كمـــا واجهتني صعوبة عدم التأكد من نسبة بعض القصائد إلى كشاجم ، فعلى الرغم من تحقيق ديوانه غير مرة ، إلا أن النسخ المحققة منه ، قد تعرضت للزيادة والنقصان ، فاستثنيت ما تضافرت الأدلة على بطلان نسبته ، وأثبت ما تبين لي أنه راجح النسبة إليه .

ولعلـــي بـــذلك أكون قد التمست طريقاً إلى الصدق والصواب ، وأسديت خدمة إلى تراثنا المشرق ، وشعرنا المجيد .

فـــإن كان من ميزة في هذا البحث ، فمردها إلى الله سبحانه ، وإن كان من قصور ، فهو من عندي ، وحسبي أنني صدقت النية ، وأخلصت العمل ، وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

أولاً : التعريف بالصورة الفنية .

يعد مصطلح " الصورة الفنية " من المصطلحات التي لم يتفق على تعريف محدّد لها، وقد صـــنّفت المؤلفات وكثرت الدراسات في محاولات جادّة لتحديد ماهيتها ، والكشف عن مدلولها كـــونها واحـــدة من أهم القضايا النقدية التي اهتمت بها مختلف المذاهب ، فهي الوسيلة المثلى المبّينة لإبداع الأديب في إيصال أفكاره ورؤاه ، وفي استشعار مواطن الإمتاع في شعره .

الصورة في النقد العربي القديم :

تطالعـــنـــا كـــــتب النقد الأدبي العربي قديماً بمصطلح " التصوير أو الصورة " كما في قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـــ) ، أثناء حديثه عن اللفظ والمعنى ، " والمعـــاني مطروحـــة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ والبدويّ والقرويّ والمدنيّ ، وإنما الشأن فـــي إقامـــة الـــوزن وتخيّـــر اللفـــظ، وســـهولة المخرج ، وكثرة الماء، وصحة الطبع ، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير[١] ".

يتـــضح من هذا النص أن الجاحظ يعـــزو الإبداع إلى الطريقة التي تتشكل بها المعاني ، فالألفـــاظ تجـــسدّ المعاني وتخضعها لوزن معّين ، من خلال حسن انتقائها، وسهولة مخرجها ، ومناســـبتها للمعنـــى الذي يُراد التعبير عنه ، وذلك مقصد الجاحظ من النسج أو التصوير ،" إن الجاحظ كغـــيره من نقاد و أدباء عصره كانوا يقتبسون الأسماء ذات المدلولات الحسّية لتوضيح مفاهـــيم ومدلولات ذهنية ، و إنّ عينه كانت على التصوير بمعناه عند اللغويين ، و طبيعته في الشعر الجاهلـــي باعتباره عناصر حسّية مجسّدة للأفكار و المشاعر ، و لذلك لم يقل : إن الشعر هو التصوير ، وإنما قال : جنس من التصوير يعني في الماديات كالذهب والفضة وغيرهما[٢]" .

وبذلك فإن الجاحظ يقتبس لفظة التصوير بمدلولها الحسي ليوضح بها مدلولاً ذهنياً ، وهذا المدلول الذهني هو حسن تقديم المعاني بألفاظ معبرة ومنتقاة .

---

(١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ،الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٩، ج٣ ، ص١٣١-١٣٢ .

(٢) محمد إبراهيم شادي،الصورة بين القدماء والمعاصرين (دراسة بلاغية نقدية) ، مطبعة السعادة ، القاهرة، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٥-١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال دراسة الدلالات العامة ، التي يستخدم بها الجاحظ كلمة " التصوير" ومشتقاتها، فإن المصطلح يكتسب لديه دلالة خاصة ، تقوم على ثلاثة مبادىء ، " أول هذه المبادىء: أن للشعر أسلوباً خاصاً في صياغة الأفكار أو المعاني ، وهو أسلوب يقوم على إثارة الانفعال واستمالة المتلقي إلى موقف من المواقف . وثاني هذه المبادىء: أن أسلوب الشعر في الصياغة يقوم ، في جانب كبير من جوانبه ، على تقديم المعنى بطريقة حسية ، أي أن التصوير يترادف مع ما نسميه الآن بالتجسيم .و ثالث هذه المبادىء : أن التقديم الحسي للشعر يجعله قريناً للرسم، ومشابهاً في طريقة التشكيل والصياغة ، والتأثير والتلقي ، وإن اختلف عنه في المادة التي يصوغ بها ويصور بواسطتها[١] " . وعلى الرغم من ذلك ، فإن مصطلح الصورة عند الجاحظ لم يرق إلى أن يصبح مصطلحاً فنياً واضح المعالم و مؤطّر الدلالات .

وقد ذكر قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) لفظة الصورة ، في معرض حديثه عن الألفاظ والمعاني ، في قوله : " إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أن لابُدَّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجار، والفضة للصياغة [٢] "، فالمعوّل هنا على الألفاظ في تقديم المعنى بمعرض حسن ، فهي الشكل أو الصورة التي توضح بمدلولها الحسّيّ الأشياء ذات المدلول الذهني، وبذلك يسير قدامة في ركب الجاحظ ، من حيث التأكيد على الدور الذي تقدّمه الألفاظ في خدمة المعاني ، أو من حيث استعمال " التصوير " مصطلحاً فنّيّاً .

وترد لفظة الصورة عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) عندما عرّف البلاغة قائلاً: "البلاغة كلّ ما تُبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكّنُهُ في نفسه كتمكُّنِهِ في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن [٣] " ويذكرها تارة أخرى في أقسام التشبيه ، فمن أقسامه " تشبيه الشيء بالشيء صورة ، وتشبيهه به لوناً و صورة [٤] " وفي هذا إشارة إلى شكل من أشكال الصورة البلاغية وهو التشبيه ، بينما لا يرتقي مصطلح الصورة عنده ليصبح مصطلحاً نقدياً خالصاً .

أمّا الذي طوّر مفهوم الصورة ليصبح مصطلحاً نقدياً أكثر وضوحاً واستقلالاً ، فهو عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) حيث يقول : " واعلم أن قولنا "الصورة " إنما هو تمثيل وقياس

---

(١) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط٣ ، ١٩٩٢، ص٢٥٧ .

(٢) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق:كمال الدين مصطفى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص٨ .

(٣) أبو هلال العسكري ، الصناعتين (الكتابة والشعر) ، تحقيق:محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٩٥٢، ص١٠ .

(٤) نفسه ، ص٢٤٥-٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما نعمله بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلمّا رأينا البينونة في آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان تبيُّن إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيُّن خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً، عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك [١] ".

نستنتج من ذلك أن "الصورة " عند عبد القاهر لا تتوقف عند تجسيد المعنى وتقديمه بشكل حسّيّ ، إنما تتجاوز ذلك إلى التفريق والتمييز بين معنى ومعنى آخر ،لأنه يرى أنّ نظم الشعر يحتاج إلى دقة اختيار للمعاني ، بالإضافة إلى حسن انتقاء للألفاظ ، وهذه المعاني على ضربين: " ضـــربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلُّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لـــذلك المعنـــى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض . و مدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل [٢] " .

وبذلك يتسع مفهوم الصورة عند عبد القاهر حتى يشمل الألفاظ جميعها ، سواء أدلتّ على المعاني مباشرة أم دلتّ على المعاني التي بدورها تدلُّ على معانٍ أُخر ، تلك الألفاظ التي تشكل إطاراً تنضوي تحته المعاني ، أو ما يعرف بنظرية النظم عند عبد القاهر .

غير أنّ مـــن جـــاء بعد عبد القـــاهر من البلاغين لم يتوقف عند مصطلح الصورة الذي وضّحه عبد القاهر ، فقصروا اهتمامهم على جزءٍ ممّا عناه، واستعملوا لفظة "الصورة " لما يقدّم المعنى في صورة محسوسةٍ كالتشبيهات والاستعارات والكنايات [٣].

ونجد أن حازماً القرطاجنيّ (ت٦٨٤هـــ) قدم مفهوماً جديداً للصورة ، غير ما بيّنّاهُ فيما سبق ، ينبثق من الحقيقة المّميزة للشعر، التي حددها بـــ" التخييل والمحاكاة "[٤] ، بما تقوم به من تحفيز وإثارة للصورة التي ينفعل بها المتلقّي دون إعمال عقله، يقول حازم :" والتخييل أن تتمثّل للسامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجـــي ، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠٤ ،ص٥٠٨ .

(٢) نفسه ، ص٢٦٢ .

(٣) انظر: محمد إبراهيم شادي ، الصورة بين القدماء والمعاصرين ، ص٣٦-٤٥.

(٤) حازمـــاً القرطاجنـــيّ ، مـــناهج الـــبلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية، تونس ، ١٩٦٦ ،ص٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يــنفعل لتخيّلها وتصوّرها أو تصور شيء آخر بها ، انفعالاً من غير روّية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض [١] " .

ودلالة مصطلح " الصورة " عند حازم محدّدة في :"دلالة سيكولوجية خاصّة ، تترادف مع الاستعادة الذهنية لمدرك حسّي، غاب عن مجال الإدراك المباشر ، وتتصل اتصالاً وثيقاً بكل ما له صلة بالتعبير الحّسّـــي في الشعــر. والجــانب السيكولوجي للمصطلح واضح كل الوضوح في قول حازم:"إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكــل له وجود خارج الذهن ، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه ، فإذا عبَّرَ عن تلك الصور الذهنية الحاصلة على الإدراك ، أقام اللفظ المعبَّرُ به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ".كما أن الجانب الفني لمصطلح "الصورة " واضح ، أيضاً ، فــيما ذهب إليه حازم من أن " محصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثــيلها في الأذهــان " وجليٌّ أن الجانب الفني للمصطلح لا ينفصل عن الجانب السيكولوجي الذي يدعمه ويحدده [٢] ".

إنّ نتاج الأقاويل الشعرية ، كما عرفها حازم ، هو تصوير الأشياء ونقلها من عالم الوجود إلى عالم الأذهان ، ولا يكون ذلك للشعر إلا بسبب مقدرته التخييلية بواسطة الوصف المباشر أو بواسطة التشبيهات والاستعارات وغيرها من أنواع البيان .

وهكــذا فإننا نجد أنّ نقدنا العربي القديم قد تناول مصطلح " الصورة " من خلال الاهتمام بالقــضايا التي يشير إليها المصطلح ، فقد يعني توضيح المعاني ذات المدلول الحسّي بالمدلول الذهنيّ لها ، كما هو الحال عند الجاحظ ، أو قد يكون للتفريق بين معنى ومعنى آخر ، كما يرى عبد القاهر الجرجاني ، وقد يتناول المصطلح الأنواع البيانية التي اعتنى بها البلاغيون من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية بالإضافة إلى التخييل والمحاكاة .

ولعل هذا ما عناه جابر عصفور، حين قال : " ومع أنّ " الصورة الفنية " مصطلح حديث، صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد العربي والاجتهاد في ترجمتها،فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح قديم ،يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي [٣] " .

---

(١) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص٨٩ .
(٢) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص٢٩٨-٢٩٩ .
(٣) نفسه ، ص٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة في النقد العربي الحديث :

قدم النقاد العرب في العصر الحديث تعريفهم للصورة الفنية متأثرين بمفهومها عند النقّاد الغربيين ، وقد اختلفت وجهات نظرهم تبعاً لاختلاف ثقافاتهم ومصادر معرفتهم ، بحيث تتوافق مع المناهج والمدارس التي يتبنّون أفكارها. يقول أحمد مطلوب : " وقد تهيأ لمصطلح الصورة أن يعـــود إلـــى الدراسات النقدية بعد اتصال العرب بالغرب في القرن العشرين وبعد أن أخذوا يدرسون التراث العربي في ضوء المناهج الحديثة ، واختلفوا في فهم الصورة لاختلاف المنابع التي استقوا منها ، وتعدّد المذاهب الأدبية والنقدية التي لم تتفق في تحديدها ومعناها ، وظهرت دراسات تأخذ من القديم و من الجديد فحصل التباين وحدث الاختلاف ووقع الافتراق [١] ".

ويـــذهب مصطفى ناصف إلى أنّ كلمـــة " الصورة " تستعمل ، عادة ، " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسيّ ، وتطلق ، أحياناً ، مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات [٢] " .

أما إحسان عباس فهو ينظر إلى" الصورة " من زاويتين فقط : " الأولى أنّ الصورة تعبير عـــن نفـــسية الشاعر وأنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام ، والثانية أنّ دراسة الصورة مجـــتمعة قـــد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة [٣] فهي تمثل" جميع الأشكال المجازية " ويرى أنّ الاتجاه إلى دراستها " يعني الاتجاه إلى روح الشعر [٤] ".

بينما يذهب محمـــد غنيمي هلال مذهباً آخر حيث ينفي اشتراط مجازية الكلمة أو العبارة لتشكيل الصورة ، إذ إنّ العبارات الحقيقة قد تكون دقيقة التصوير خصبة الخيال وإن لم تستعن بوسائل المجاز ؛ يقول بعد انتهائه من الحديث عن الصورة في المذاهب الأدبية : " إنّ الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية ، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال ، وتكون ، مع ذلك ، دقيقة التصوير ، دالة على خيال خصب [٥] " .

والصورة عند عبد القادر الرباعي لا تعني ذلك التركيب المفرد الذي يمثله تشبيه أو كناية أو استعارة ، " ولكنها تعني أيضاً ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعة من الصور

---

(١) كامـــل حـــسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٧، ص٣ ، من تقديم أحمد مطلوب للكتاب .

(٢) مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة،ط١ ، ١٩٥٨ ، ص٣ .

(٣) إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، ط٤ ، ١٩٨٧ ، ص٢٠٠.

(٤) نفسه .

(٥) محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٤٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفــردة بعلاقتها المتعدّدة حتى تصيّره متشابك الحلقات والأجزاء بخيوط دقيقة مضمومة بعضها إلى بعض في شكل اصطلحنا على تسميته بالقصيدة [١] " .

ولكنّ " الصورة "وفق ذلك المفهوم لا تسعى إلى إلغاء التشبيه أو محو الكناية والاستعارة ، وإنما تقدّم لنا فهماً أعمق من الفهم الجزئي الذي ارتبط بكل منها في السابق [٢] " .

وبالإضــافة إلــى الأنــواع البيانية ، فإن هناك عدداً من العوامل تدخل في تحديد طبيعة الصورة " كالتجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك الحسّيّ والتشابه والدّقة ... إلخ [٣] " .

ويــرى علــي البطل أنّ طريقة الكشف عن طبيعة الصورة تعتمد على اتجاهين ، يتجه أولهمــا اتجاهاً سلوكياً يهتم بالصور الذهنية من حيث هي نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثره بالعمــل الفنــي وفهمــه لها ، ويصنّف هذا الاتجاه الصورة بحسب مادتها إلى صور بصرية و سمعية وشمّيّة وذوقية ولمسية ، فهي تشكيلات مستمدّة من عمل الحواس الخمس ، ويضاف إليها الــصور الحركية والعضوية ، وقد تغلب حاسّة منها على صورة ما فتنسب إليها ، وقد تشترك أكثــر من حاسّة في تكوين صورة أخرى مما يسمّى بالصورة المتكاملة . ويتجه ثانيهما اتجاهاً رمزياً فيدرس الصورة باعتبــارها تجسد رؤية رمزية ويهتــم منهــا بالأنماط المكــررة التي سميت بعنا قيد الصورة [٤] .

أمــا من حيث وظيفة الصورة و الدور الذي تؤديه في خدمــة العمل الأدبــي فيما يتعلّق بالأديب المبدع والناقد والمتلقي ، فإنها لا تنحصر في تجسيد الأشياء المجرّدة والعبور من الأمر المعــنوي إلى الشيء المحسوس ، أنّ تلك الفكرة غير دقيقة ، كما يرى صلاح فضل ، فوظيفة الصورة عنده " هي تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية وهو عبور يتم عن طريق الالتفاف خلف كلمة تفقد معناها على مستوى لغوي أول لتكتسبه على مستوى آخر وتؤدي بهذا دلالة ثانية لا يتيسّر أداؤها على المستوى الأول [٥] " . أو كما يحددها أحمد دهمان "بأنها ميدان امتزاج نفس

---

(١) عــبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري (دراسة في النظرية والتطبيق) ، مكتبة الكتاني ، إربد ، ط٢ ، ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

(٢) انظر : عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، مجلّة المعرفة ، ع ٢٠٤ ،١٩٧٩ ، ص ٥١ .

(٣) أحمد علي دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر ، دمشق ، دار طلاس ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

(٤) انظر علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص٢٨–٢٩ .

(٥) صــلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧٩–٢٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأديـــب بعـــالم الطبـــيعة . . . إضافة إلـــى أنّ الصورة تحقق الوحدة النفسية للشاعر وتصل بينه وبين العالم الخارجي[١] " .

وللـــصورة أهميـــة كبرى لدى الناقد " فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة ، وموقف الـــشاعر من الواقع ، وهي إحدى معاييره الهامّة في الحكم على أصالة التجربة ، وقدرة الشاعر على تشكيلها في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه [٢] " .

أمّا أهميتها للمتلقي فإنّ " أصل المتعة التي تقدمها الصورة يرتدُّ إلى نوع من التعرف على أشـــياء غيـــر معروفة ، وكأن النادر والغريب من الصور الشعرية يثير فضول النفس ، ويغذي تـــوقها إلى التعرف على ما تجهله ، فتقبل عليه ، لعلها تجد فيه ما يشبع فضولها [٣]"، فالصورة قادرة على إمتاع المتلقي وإقناعه بما تنطوي عليه من إبداع خصب ، وبما تغذّي به نفس المتلقي ومشاعره وعقله بما هو طريف وجديد .

ولكـــن ما هو التفسير للأثر الذي تحدثه الصورة الفنية في نفس المتلقي ؟ وما هي طبيعة ذلـــك التأثير ؟ وما هي الأسس النفسية التي يقوم عليها ؟ إنّ تلك الأسئلة لم يحاول أغلب النقاد والبلاغيـــين أن يـــتوقفوا إزاءها طويلاً ، كما يرى جابر عصفور، ولكن هناك قلّة فعلت ذلك ، ومـــنهم كشاجم الشاعر العباسي . عندما توقف عند ظاهرة الغناء " وحاول أن يعلل شوق النفس الإنـــسانية إليه ، وقال ، نقلاً عمن يسميّهم الحكماء ، إنّ الغناء يرتد إلى شيء يشكل على النفس فتخـــرجه ألحانـــاً، لعلها بذلك تتعرّف عليه وتتفهّمه " حرصاً على معرفة غامضها وشوقاً إلى استفتاح منغلقها [٤] " ، وعندما يعجب المتلقي بالغناء ويتشوق إلى سماعه ، فإنه يفعل ذلك لأنه يريد أن يتعرف على شيء غامض في النفس الإنسانية لا يعرفه ، ولا يدرك حقيقته ، والإنسان بطبيعته مشوق إلى مالا يعرفه .

وشبيه بذلك ما حدث في الشعر لأنّ " المثل العجيب والبيت النادر كلّما دقّ معناه ولطف ، حتى يُحتاج إلى إخراجـــه، بغـــوص الفكر عليه وإحالة الذهن فيه ، كانت النفس بما يظهر لها منه ، أكثر التذاذا وأشد استمتاعاً ، ممّا تفهمه في أول وهلة ، ولا يحتاج إلى نظر وفطنة، وليس

---

(١) أحمد دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر ، ص٣٣١ .
(٢) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص٧ .
(٣) نفسه ، ص٣٢٥ .
(٤) كـــشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين ، أدب النديم ، دراسة وشرح وتحقيق:النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك إلا لشرفها وبعد غايتها [١] " . . . ويبدو أنّ عبد القاهر تلقف هذه الفكرة من كشاجم ، لكنه حـــاول بـــسطها وتفصيلها، فرد الإعجاب بالمجاز إلى الجـــانب الفطري من النفس الإنسانية ، وحاول أن يطبق الفكرة التي أجملها كشاجم تطبيقاً عملياً على التمثيل ، يقول عبد القاهر:" ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالمزية أولى [٢] " ، لأنّ المعنى هنا يرد عن طريق التمثيل ، بشكل غير مباشر، فلا يتجلّى إلا بعد طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له [٣] " .

إنّ أهمية الصورة ودورها المؤثر في نفس المتلقي ينبثق من كون التصوير " هو القاعدة الأولـــى في التعبير [٤] " ، فمن المؤكد أن يحظى النص القرآني المعجز بهذه الخصيصة ، وهو النص الموجه إلى نفوس المتلقين وعقولهم وقلوبهم من أبناء الإنسانية جمعاء ، حتى يحدث فيها الأثر الإيجابي المقصود ، والدفء الروحي المبتغى ، فالتصوير " هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، وهو القاعدة الأولى فيه للبيان ، وهو الطريقة التي يتناول بها جميع الأغراض ، وهو الخصيصة التي لا يخطئها الباحث في جميـــع الأجزاء [٥] " وبذلك يتّضح تـــأثير الصورة الفنية على المتلقي بجلاء أكبر .

تعريف الصورة :

اخـــتلفت تعريفات الصورة لدى النقاد ، وتعددت بتعدد رؤاهم وثقافاتهم ، فمنهم من يعتمد اللغة أساساً لتحديد ماهية المصطلح الفني ، حيث يرى الولي محمد أنّ أيّ تعريف جاد للصورة: "يجـــب أن ينطلق من اللغة ، وكل تجاهل لها في التعريف يظل عملاً لا يقدّم بل يؤخّر التعريف والوصـــف [٦] " ،لأن الظاهـــرة الشعرّية ظاهرة لغوية ، يتوسَّلُ إلى إدراكها باللغة ، التي هي ماهية الشعر وحقيقته .

أمّا علي البطل فإنّه يربط بين مصطلح الصورة وشكلها ويقول في ذلك :" الصورة تشكيل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور

---

(١) كشاجم ، أدب النديم ، ص ٩٢ .
(٢) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٣٩ .
(٣) انظر : جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص٣٢٤-٣٢٦ .
(٤) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط ٨ ، ١٩٨٣ ،ص٨٦ .
(٥) نفسه ، ص٧٠ .
(٦) الولي محمد ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستمدّة من الحواس ، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسّية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسّية [١] " .

وفـــي الإطار نفسه يعرف صالح أبو أصبع الصورة فيقول : " الصورة الشعرية تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخّيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما بأساليب عدّة، إما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل [٢] " .

ومن النقاد من يعتمد العقل أساساً في تعريف الصورة ، يتول أحمد دهمان في ذلك : " إن الصورة الشعرية هي تركيبة عقلية وعاطفية معقدة، تعبّر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه وتعـــين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميّزة الإيحاء والرمز فـــيها ، والصورة هي عضوية في التجربة الشعرية ، ذلك لأن كل صورة داخلها تؤدي وظيفة محدّدة متآزرة مع غيرها ومسايرة للفكرة العامة [٣] " .

ومـــنهم من يتكئ على الشعور والوجدان في تعريف الصورة ، يقول عز الدين إسماعيل في ذلك : " الصورة دائماً غير واقعية وإن كانت منتزعة من الواقع ؛ لأن الصورة الفنيّة تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع [٤] " .

أمـــا تعـــريف عبد القادر القط للصورة ، فإنّه أكثر شمولية بما يوظفه من طاقات اللغة وإمكاناتها ، ووسائل التعبير الفني و ألوان البديع في تعريف الصورة ؛ إذ يقول عن الصورة في الشعر : " هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طـــاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس وغيـــرها من وسائل التعبير الفني [٥] " ، ويضيف إلى تعريفه أيضاً : " والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية [٦] "، وبذلك فـــإنّ الألفاظ والعبارات ومعانيها تتشكّل في إطار الصورة حتى تعبّر عن التجربة الشعرية في القصيدة .

---

(١) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ص٣٠ .
(٢) انظـــر : صالح أبو أصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلّة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ،١٩٧٩ ، ص ٣١ .
(٣) أحمد دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر ، ص٣٧٦ .
(٤) عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨ ، ص١٢٧ .
(٥) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٧٨ ، ص٤٣٥ .
(٦) نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعــرف عبد القادر الرباعي الصورة بالمفهوم الفني لها ، فهي تعني : " أية هيئة تثيرها الكلمــات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن . لكن هذا المفهوم هــو المفهــوم العــام للــصورة ، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة ، عنصر ظاهري وآخر باطني ، وإن جمــال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما : الحافز والقيمة ، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة [١] " .

وهكــذا فإن التعريفات والآراء السابقة قد تداخلت فيما بينها ، واستفاد كل اتجاه فيها من الآخــر ، بحيث يصعب التوصُّل إلى تعريف جامع مانع للصورة الفنّيّة ، وهو ما لم يجمع عليه النُّقاد من قبل .

والباحث هنا لا يقصد إلى إثبات صحّة رأي أو تخطئ آخر ، وإنما يقصد إلى انتقاء منهج للبحث يستفيد من المناهج الأخرى ولا يتبنّى موقفاً مسبقاً من أحدها ، بحيث يكون منهجاً تكامُلياً يعالج القضايا النقدية الأكثر التصاقاً وتعريفاً بالصورة الفنية .

وسوف أجتهد في الإفادة من منهج عبد القادر الرباعي في عناصر تكوين الصورة وهي : العنــصر الأول وهو العنصر الظاهري وفي الغالب يكون من العالم المحسوس ، فقد قيل : إن الصورة هي كل شيء تقوى على رؤيته أو سماعه أو لمسه أو تذوقه .

والعنصر الثاني هو العنصر الباطني المكوّن من أفكار الشاعر ونفسيته التي هزتها تجربة عميقة ، إذ تلتقي ذات الشاعر بالطبيعة الخارجية ، في كل صورة ، ليولدا معاً حياةً جديدةً ، هنا تتــضح مهمة الفن في أن يجسّم آراءنا ومشاعرنا بأشكال حسيّة ترينا ذواتنا في الشجر والمطر والطيب والصوت على هيئة خاصة من الجمال أو القبح .

والعنــصر الــثالث هو الــدافع أو الانفعال الذي يتحرك في كل ذرة من أعضاء الإنسان فــيوقظها ويطرق كل نافذة من شعوره فيفتحها ، إذ به يتيقظ الإنسان فيعمل على تأمل تجربته ونشرأجزائها ثمّ ضمها في وحدات متناسبة متعادلة يفتش لها عن موضوعات أو صور تحملها .

والعنــصر الرابع من عناصر الصورة هو القيمة التي تخلقها الصورة أو الصور ، والتي تتمثّل في تنظيم التجربة الإنسانية عامّة [٢] .

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص٤٢ .

(٢) انظر : عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص ٤٣-٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإضـــافة إلى ما يتصل بالصورة، حسب الدراسات المعاصرة والتصور الجديد للشعر، من الرمز والأسطورة [١] . وما تتطلبه الصورة من إيقاع ، " فالجانب الصوتي في الشعر عامل مهـــم فـــي البنية العامة، ويمكن لفت النظر إليه بوسائل عديدة كالوزن والقافية وأنماط الحروف الصوتية والجناس والترديد وغير ذلك [٢] .

وســـأدرس الـــنص الشعري دراسة خارجية لتحدد الزمان والمكان وتوضيح المناسبة بما يخـــدم أبعاد النص ، وأعتني كذلك بالدراسة الداخلية لبنية النص اللغوية ، من خلال الإفادة من مستويات اللغة البلاغية والموسيقية والصوتية،حتى تستوفى الصورة بأبعادها وجوانبها المختلفة.

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص٥٤ .
(٢) نفسه ، ص٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : التعريف بالشاعر[١] .

اسمه ونسبه وكنيته :

لعلّ المسعوديّ المؤرخ هو أقدم من عرّف كشاجم ، ممّن التقوه ، تعريفاً حسناً ، فقال: هو " أبــو الفتح ، محمود بن الحسين بن السنديّ بن شاهَك ، الكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والأدب [٢] " .

ولم يختلف الباحثون في تحديد اسم الشاعر الأول، فجميعهم يذكرون أنّ اسمه " محمود"، وأمــا اسم والده فقد اتفقوا على أنَّه " الحسين [٣] " . ولم يخالف هذا الرأي إلا السيوطي ، الذي يُعــدّ أوّل من نسب الشاعر إلى محمد ، وجعله والده [٤] ، فقال : " كشاجم هو محمود بن محمد بن الحسين السنديّ بن شاهك [٥] " وقد أيّده الزركلي معللاً ذلك بقوله : " ويرجح هذه التسمية أنّ جده السنديّ بن شاهك كان صاحب الشرطة في عهد الرشيد العباسي ، ووفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـــ ، فلا بد من أبوين على الأقل لملء المدّة بين صاحب الترجمة والسندي [٦] ، وقد تابعهما فــي ذلك شوقي ضيف عندما ذكر في ترجمته أنّه محمود بن محمد بن الحسين بن السنديّ بن شاهك [٧] .

والراجح أنّ اسم الشاعر هو محمود بن الحسين بن السنديّ بن شاهك ، لأنّ هذا الاسم هو ما تعارف عليه الباحثون ، قديماً وحديثاً ، ولم تتوافر الأدلّة الصحيحة على غيره [٨] .

---

(١) اعــتمدت في هذه الترجمة على ما توصّلت إليه ثريا عبد الفتاح ملحس في بحثها القيمّ : أبو الفتح كشاجم البغدادي ، في آثاره وآثار الدارسين ، دار البشير ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج٤ ، ص٣٢٧ .

(٣) انظــر : النديم ، الفهرست ، تحقيق :رضا تجدد ، مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفــري طهــران ، ١٩٧١ ، ص١٥٤ . ابــن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، والذيل عليهــا ، تحقيق : إحســان عباس ، دار صادر ، بيــروت ، ١٩٧٣ ، ج٤ ، ص٩٩ . ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتبة التجارية ، بيروت [د . ت] ، ج٣ ، ص٣٧ .

(٤) ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص١٦٥ .

(٥) الــسيوطي ، حــسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٧ ، ج١ ، ص٤٥٧ .

(٦) الزركلي ، الأعــلام ، دار العلم للملايــن ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٩٢ ، ج٧ ، ص١٦٧-١٦٨ فــي المتن والحاشية .

(٧) شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات (الشام) ، دار المعارف ، ط٣ ، ص١٨٩ .

(٨) انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص١٦٦+١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينتسب الشاعر إلى السنديّ بن شاهك بن زادان بن شهريار الرازيّ ، الفارسيّ ، الساسانيّ [١] ، وقد افتخر الشاعر بأصله الفارسيّ الساسانيّ ، وتغنّى به في شعره قائلاً [٢] :

وأنا ابنُ فرسانِ الرّما ح ، معاً وفرسانِ الصِّفاح
قومي بنو ساسانَ ليـ ـسَ حِماهُمُ بالمُستباح
العاقدو التيجانِ تضْـ ـحَكُ عن وُجُوهِهِمُ الصِّباح

لقد كان للسنديّ بن شاهك ، جدّ الشاعر الأكبر ، " دور خطير في السياسة العّباسيّة، وقد عاصر المنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون ، وكان مولى وقائداً ، وحاجباً ، وصاحب شرطة ، وقيّماً على الحبوس ، وسياسياً ، يخمد الفتن بالأمر بالمعروف ، فضلاً عن كونه بانياً للمدن ، ومعّمراً للدور والقصور[٣] " ، وبذلك فإنّ هذه الأسرة التي ينتمي إليها الشاعر كانت تتمتّع مراتب مرموقة في الدولة العّباسيّة ، وهو ما سينعكس على الشاعر ، ونظرته ففي الحياة ، كما سنرى في الدراسة الفنية لشعره .

كنّي الشاعر " بأبي الفتح " [٤]، و" أبي نصر " [٥]، و" أبي الحسين" [٦]، والمشهور من ذلك هو " أبو الفتح " .

---

(١) شاه : لفظة فارسية معناها الملك ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط١ ، ١٩٩ ، مادة (شوه) ، ج٣ ، ص٤٩٦ . أمّا الكاف في الفارسية ، المسبوقة بالفتحة ، فتلحق بالاسم ، وتفيده التصغير ، وبناء عليه فإنّ معنا شاهك في العربية " مُليك " ، انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٧٩-٨٢.

(٢) كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد لواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص٧٢-٧٣ .

(٣) انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٩١-٩٣ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ، ص٣٢٧ .

(٥) السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج١ ، ص٢٤٠ .

(٦) ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كَشاجم ومعناه :

سـمّى الـشاعر محمود بن الحسين نفسه بـ " كشاجم " ، لما كان يتقنه من العلوم ، وقد أشـار الحـصريّ القيروانـيّ إلى ذلك بقوله : " وقد ذكروا أنّه سمّى نفسه كشاجم لما يعلمه ، فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب ، والجيم من منجمّ، والميم من مغن [١] "

وقـد نقل ابن مكي مثل الرواية السابقة ، فقال : إنّ " كشاجم لقبٌ له ، جمعت أحرفه من صـناعته ، أخذ الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجمّ ، والمـيم من مغن [٢] " . ولعله يكون بذلك أول من عدّ كشاجم لقباً له ، كما ترى ثريا عبد الفتاح ملحـس ، " وقـد اتفـق الرواة ، فيما بعد ، على مصدر أوائل الحروف الثلاثية في كشاجم ، واختلفوا في الحرفين الأخيرين [٣] "، فأشار الكتبي إلى أنّ الجيم من جواد ، والميم من منجّم [٤]. أمـا ابـن العماد فقد قال إنّ الجيم من الجدل، والميم من المنطق [٥] . إلى غير ذلك من الأقوال والتفسيرات [٦].

وقـد تفرّد ابن مكّي برواية مفادها أنّ كشاجم ، بعد ذلك ، " طلب علم الطب ، حتى مهر فيه ، وصار أكبر علمه ، فزيد في اسمه طاء من طيب ، وقدمه على سائر الحروف لغلبة الطبّ عليه ، فقيل : طكشاجم ، ولكنه لم يسر كما سار كشاجم [٧] " . وأياً كانت التفسيرات في معنى " كشاجم " ، فإن ذلك يدل على مدى علمه ، وتعدد مواهبه ، ورفعة شأنه ، وكثرة الاهتمام به .

أما أنّ يكون " كشاجم " لقباً فهذا غير دقيق ؛ لأنّ اللقب في اللغة : " علم يدل على ذات معيّنة مشخّصة ، مع الإشعار بمدح أو ذم إشعاراً مقصوداً بلفظ صريح [٨] " ، وكلمة " كشاجم " لا تشعر بذلك . وقد حسم ابن هشام الخلاف في أصل وضع هذه الكلمة ، فأشار إلى أنّ اسم

---

(١) الحـصري القيروانـي ، جمـع الجواهـر في الملح والنوادر وقد طبع باسم ذيل زهر الآداب ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ص١٠٧ .
(٢) ابـن مكي ، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق :عبد العزيز مطر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مطبعة شركة الإعانات الشرقية ،١٩٦٦ ، ١٣٨ .
(٣) ثريـا عبـد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٠٠ .
(٤) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٩٩ .
(٥) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ،ص٣٧ .
(٦) انظر : ثريـا عبـد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٠٠-٢٠٤ .
(٧) ابن مكيّ ، تثقيف اللسان ، ص١٣٨ ، وتفرد برواية أخرى إذ قال : " كشاجم طخ " ، فالطاء من طباخ ، والخاء من خراء . وأظن أنّ اللفظ الأخير غير قبول ، وغير لائق بهذا الشاعر المبدع .
(٨) عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٦، ج١، ص٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كــشاجم مــن الألفــاظ المرتجلة للعلمّية ، وهي شبيهة باسم الجمع ، على زنة مفاعل ، ممنوعة من الصرف [١] .

وقد صوب ابن مكيّ حركة الكاف في " كشاجم" بأن قال : " يقولون كشاجم بضم الكاف ، والصواب هو كشاجم بفتح الكاف [٢] "، وكذلك أثبتها ابن هشام، إذ عدها على زنة "مَفاعِل" [٣].

أسرته :

كــان كشاجم وحيد والديه ، وكان والده شديد التعلّق به ، وكثير الاعتماد عليه ، وقد رثاهُ كشاجم في مرثيتين ، يقول في أولاهما [٤] :

أيُّ أبٍ رُزيتــــــــــهُ أهلكْــتُ صَبــْري إذ هلــَكْ
شمسي هَوَتْ من فلكِ الــ ــمَجْــدِ وللمَــجْــدِ فلــَكْ

ويقول في الأخرى [٥] :

تزدادُ فيكَ مصيــــــبتي خطراً إذا نَهْنَهْتُ نفســـي
وأرى الأسى منــّي عليــ ــكَ اليومَ أعظمَ منــهُ أمسِ

أما أمُّه ، فقد كان يبّرها ، ويحنو عليها ، وقد رثاها في مقطوعة مطلعها [٦] :

أبَعْدَ مُصابِ الأمِّ آلفُ مضجعاً وآوي إلى خفضٍ من العيشِ أو ظِلِّ ؟

وقــد تــزوّج كشاجم من امرأة نجيبة ، كريمة الحسب ، لعلّ اسمها هند ، وقد أنجبت له ولديه : أبا الفرج أحمد ، وأخاه أبا نصر أو النصر [٧] .

---

(١) ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٤ ، ١٩٥٦ ، ج٣ ، ص١٤١ -١٤٢ .
(٢) ابن مكي ، تثقيف اللسان ، ص١٣٨ .
(٣) ابن هشام ، أوضح المسالك ، ج٣ ، ص١٤٢ .
(٤) كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان ، ص٣٠١ .
(٥) نفسه ، ص٢٢٦ .
(٦) نفسه ، ص٣٢٨ .
(٧) ثريــا عبــد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر كشاجم ابنه أبا الفرج في شعره ، وأشار إلى أنه قد ربّاه تربية حسنة ، وأخذ بيده إلى معالي الأمور ؛ فكان الابن شفاء أبيه من الجروح والأسى [١] ، وأمله في الشدّة والرَّخاء . وقد ورد ذلك في قصيدة لكشاجم ، مطلعها [٢] :

روحي الفداء لمن إذا جرح الأسى قلبي أسَوْت به جروح إسائي

وقــد كان لكشاجم غلمان ، منهم طهاة بارعون في الطبخ ، وتقديم المقبلات ، والحلوى ، والفاكهــة ، وغيــرها ، وقد ذكر أسماء بعضهم في شعره ، وهم : كافور ودينار وسعد وبشر ونوح . بالإضافة إلى العديد من الجواري ، بينهنّ القيان والمغنيات ، والعازفات [٣] .

حياته :

ترجح الباحثة ثريا عبد الفتاح ملحس[٤] أنّ كشاجم ولد بالرملة ، إحدى ضواحي بغداد، في حدود سنة ٢٨٠ هــ ، وفيها نشأ وشبَّ حتى تلقى علومه اللغوية والأدبية والفقهية والفلكيّة على أســاتذتها وعلمائهــا وفقهائهــا ،ومنهم أبو الحسن الأخفس الصغير النحويّ (ت٣١٥ هــ) ، وإسحاق بن حنين (ت٢٩٨ هــ) ، طبيب الخلفاء ، ويحيى بن على المنجّم (ت٤٠٠ هــ) ، نــديم الخلفاء ، وغيرهم الكثير [٥] . وبقي في بغداد حتى نحو ٣٠٠ هــ ، إذ غادرها إلى بلاد الشام وهو في نحو العشرين من عمره .

وفــي حلب التقى أميرها ، الحسن بن الحسن بن رجاء (ت٣٠١ هــ) ، ومدحه . وأخذ الفقــه المتعلّق بالصيد ، حلاله وحرامه ، على الفقيه إبراهيم بن جابر (ت٣١٠ هــ) ، والتقى الأمير علي بن أحمد بن بسطام (ت٣٠٩ هــ) ، ومدحه .

وبقي في بلاد الشام،مستقراً حيث نمت بينه وبين الشاعر الصنوبريّ الحلبيّ (ت٣٣٤هــ) صداقة حميمة ، وأصبحا من فحول الشعراء الشاميين في القرن الرابع الهجري ، مما حدا

---

(١) نفسه ، ص٢٥٠-٢٥٢ .
(٢) كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان ، ص١٠ .
(٣) انظر : ثريــا عبــد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٧٧-٢٨٧ .
(٤) نفسه ، ص٢١٥-٢٢١ .
(٥) نفسه ، ص٤٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثعالبـــي إلى أن يذكر كشاجم بين شعراء الشام، ومن مولّدي أهل الشام [١]، ومن فحول البلاط الحمداني .

وقد اصطحب كشاجم الأمير أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان (ت٣١٧ هـــ) ، والد سيف الدولة ، وأصبح شاعره ، يلهج بفضله، كما أشار إلى ذلك الكتبي [٢] . ومن ثم انتقل كشاجم مع الأمير أبي الهيجاء إلى الموصل ومنها إلى بغداد في حدود سنة ٣١٣ هـــ .

ومن بغداد ارتحل كشاجم مرّة أخرى إلى بلاد الشام،أو إلى مصر، هرباً من الاضطرابات الداخلية ، والكوارث الطبيعية ، والمجاعات ، والأوبئة التي حلت بها ، فقد قضى مدة من الزمن في حلب أيام سيف الدولة ، وكان كاتباً في بلاطه .

وقد عبر كشاجم عن كثرة تنقلاته بين العراق والشام ومصر بقوله [٣] :

قدْ سَئِمْتُ الهوى وأدْأبْتُ في السَّيْـ ـرِ جُسُومَ المُضمَّراتِ العِتاقِ

وسَـلكْتُ البـلادَ شرقـاً وغربـاً وشآماً مـوصولـةً بعِراقِ

إلى أن استقرّ به المقام في مصر ، وفي ذلك يقول [٤] :

قدْ كانَ شوقي إلى مِصْرٍ يؤرّقني فالآنَ عُدْتُ وعادَتْ مِصْرُ لي دارا

وقد التقى في مصر غير واحد من القضاة والأمراء والأطباء ، منهم : أبو أحمد ، ولعله القاضي عبد الله محمد بن الخصيب (ت٣٤٨ هـــ) ، وكافور الإخشيدي (ت٣٥٦ هـــ) ، وقد هجـــاه . ومَرحَب ، ولعله الطبيب ابن مَرحب ، الذي أشار على كشاجم في شؤون صحّته [٥] . وقد استقرّ كشاجم في مصر إلى أن وافته المنّية ، في حدود سنة ٣٤٨ هـــ [٦] .

إنّ تـــنقلات كشاجم ، ورحلاته ، بين العراق والشام ومصر ، قد وفرت له بيئة خصبة ، متـــنوّعة الظواهـــر الطبيعّية ،من أنهار وجبال وبساتين ومروج خضراء ... إلخ ، يشهد فيها فـــصول الـــسنة الأربعـــة ، فيتغنّى بالربيع وبالثلج ، بالإضافة إلى جمال المدن التي زارها ، وروعتها، والأديرة التي طالما تردد إليها ، لاهياً عابثاً ، بين الفينة والأخرى .

---

(١) الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق : مفيد نحلة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ج١ ، ص٣٣ .
(٢) انظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٩٩ .
(٣) كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان ، ص٢٧٨ .
(٤) نفسه ، ص١٦٦ .
(٥) انظر : ثريـــا عبـــد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٦٨٢-٦٨٣ .
(٦) نفسه ، ص٣٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكشاجم في تنقلاته تلك ، يصحب الأدباء والشعراء والفقهاء والأطبّاء والمنجّمين والعلماء في شتى ميادين المعرفة، ممّا أثرى معرفته العلمية ، وجعله مثقفاً بثقافة عصره الذي عاش فيه، وسنجد أثر الطبيعة الخلابة ، والثقافة المتنوّعة ، في شعره، عند الدراسة الفنّية لاحقاً .

عصره :

إذا كان الراجح أن كشاجم قد ولد في حدود سنة ٢٨٠هـ ، وتوفي في حدود سنة ٣٤٨هـ [١] ، فإنّه قد عاصر سبعة من الخلفاء العباسين، وهم: المكتفي بالله ، والمقتدر بالله ، والقاهر بالله ، والراضي بالله ، والمتقي لله ، والمستكفي بالله ، والمطيع لله.

لقد نشأ كشاجم في عصر متردٍّ من الناحية السياسية ، فقد كثرت الاضطرابات والفتن الداخلية والثورات والانقلابات ، وعزل الخلفاء ، وسملت عيونهم ، وضاعت هيبة الخلافة ، إذ كثيراً ما أصبح الخليفة اسماً دون مسمّى ، وتحاربت الولايات الإسلامية فيما بينها ، وضيّعت الحدود والثغور .

ومن الناحية الاجتماعية ،فإنّ الأمر قد ازداد سوءاً ، إذ بينما ينعم الخلفاء والأمراء والوزراء بالمال الوفير ، والبذخ في شؤون حياتهم ، وأهواء نفوسهم،متناسين ما يعصف ببلادهم من الكوارث الطبيعية والأوبئة ، تطوي العامّة بطونها من الجوع ، بسبب الغلاء الشديد ، وتأكل الجيف ولحوم الدواب ، والجراد [٢] . وفي هذا الصدد ، يذكر التنوخي ، أنه في سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، شوهدت " امرأة قد شوت ولدها ، وجلست تأكله [٣] " ، وفي محنة الجوع هذه ، مات أبو الحسن الأخفش النحوي ، صديق كشاجم وأستاذه ، فقراً وغمّاً [٤].

---

(١) انظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٩٩ . ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص ٢١٦ ، ٢٣١ .

(٢) للمزيد عن تاريخ العصر الذي عاش فيه كشاجم ، انظر: ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،ط١، سنة ١٣٥٧هـ ، ج٦ ، ص٣٤٠-٣٤٥ .

(٣) التنوخي ، القاضي أبو علي المحسّن ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق: عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ج١ ، ص٣٥١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج٦، ص٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان للعناصر الدخيلة على المجتمع العربي ، من جوار وغلمان وعبيد ، من جنسيات مختلفة ، تأثير كبير في الانحلال الأخلاقي ، الذي ساد مختلف الطبقات في المجتمع ، وساعدت تجارة الرقيق على ذلك ، فكثرت محلات القيان والغلمان ، واعتاد الناس التردد إليها .

أمّا من الناحية الفكرية والثقافية، فالأمر جدُّ مختلف ، إذ ازدهرت الثقافة ، وازداد الاهتمام بالعلوم ، في شتى مجالاتها ، ويرجع الفضل في ذلك إلى عدّة أمور ، هي [١] :

أولاً : دكاكـــين الورّاقين التي كانت مثابة العلماء ، وملجأ أرباب الفكر وطلاب المعرفة ، وهي تشبه في أيامنا دور النشر ، ولكنها تزيد عليها في أنها كانت منتديات فكرية ، يجتمع فيها علماء كل فن ؛ ليتناظروا ، ويتباحثوا .

ثانـــياً : دور الكتب وما قامت به من نهضة فكرية وثقافية ، ولم تكن هذه الدور تستطيع القيام بمهماتها في التثقيف إلا بتشجيع الحكام وكبار رجال الدولة .

ثالـــثاً : مجالس العلم التي كانت تتمثل في دور العلم في تلك الفترة وهي المساجد ، ومن المعـــروف أن الطالب كان يختار الأستاذ الذي يثق في علمه ، وترتاح إليه نفسه ، وكـــان بعـــض الأســـاتذة يكملون مجالسهم في بيوتهم إذا ما انتهى وقت عملهم في المسجد .

رابعاً : المجالس الأدبية و الفكرية التي كانت تعقد في دور الولاة والوزراء والكبراء ، فقد كـــان يحـــضر هـــذه المجالس رواد الفكر وأرباب الثقافات المتنوّعة ، وكان الولاة يستقدمون العلماء من الولايات كافة،ويقدمون لهم المكافآت والجوائز،مقابل إبداعهم، وإقامتهم في كنفهم .

وأهمّ هذه المجالس ، هو مجلس سيف الدولة الحمداني ، الذي قيل فيه : " إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ، بعد الخلفاء ، ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر [٢] " ، وقد سمّي الزمان الذي عاش فيه بالزمان المذهّب ، يقول الصفدي عن سيف الدولة [٣] :

---

(١) انظر : كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان ، ص١١-١٣ ، من مقدّمة المحقق .

(٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر ،ج١ ،ص٣٧ .

(٣) الـــصفدي ، تحفـــة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق :صلاح الدين المنجد ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٥ ، ص١٤٢ ، (ملحق في كتاب أمراء دمشق في الإسلام) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان فـــي زمانـــه أفاضـــلُ سبعون لم يعرف لهم مماثلُ
فعصره سُمّي الزمان المذهّبا فيـــه نحـــاةُ بلغـــا وأدبـــا

لقد اجتمع في مجلس سيف الدولة، أصحاب المعارف المختلفة ، والثقافات المتباينة ، فعنده علمـــاء اللغـــة ، والإخباريون ، والفلاسفة ، والأطباء ، والشعراء . ومن هؤلاء: ابن خالويه ، وابـــن جنـــي ، والفارابي ، والمتنبي ، والصنوبري ، وكشاجم ، وغيرهم الكثير[١] . وقد كان كشاجم شاعراً وكاتباً في بلاط سيف الدولة ، ولعلّه قد ألف بعضاً من كتبه في عهده [٢] .

إنّ شخـــصية كـــشاجم هـــي خيـــر مثال عمليّ على العصر الذي عاش فيه ، لقد شهد الاضطرابات السياسية ، فآثر الابتعاد عنها ، إلى ما يصون شخصه وعلمه . وشهد ظلم الخلفاء والأمراء ، وقد قضى أستاذه الأخفش ، فقراً وغماً ، فضرب في الأرض حزناً ، وفراراً بحياته من الموت المحقق. واتخذ الجواري والغلمان ، متنقلاً بين الأديرة ، في شتى المدن التي زارها، أو حلّ بها ، دون أنّ يفرّط بقلمه ، إذ إنّ ثقافته العلميّة والأدبية ، ظلّت ترتحل معه ، وتنمو يوماً بعـــد يـــوم ، حتى زاحم الشعراء والكتاب في بلاط سيف الدولة ، فكان نجماً ساطعاً ، في ذلك العصر المذهّب .

علومه وصفاته :

قال الثعالبي ، في معرض حديثه عن السريّ الرّفّاء ، كان السّريّ " يورّق ، وينسخ ديوان شعر أبي الفتح كشاجم ،وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسريّ في طريقه يذهب، وعلى قالبه يضرب [٣] " .

وقـــد عـــده ابـــن شهراشوب ، من المجاهرين بالتشُّيع ، وقال: " كان شاعراً ، منجماً ، متكلماً [٤] " .

أمّـــا ابـــن العمـــاد ، فقـــال : إنّ كشاجم كان " أحد فحول الشعراء ... كان من الشعراء المجددين ، الفضلاء المبرّزين ، حتى قيل إنّ لقبه منحوت من عدّة علوم كان يتقنها... يضرب

(١) انظر : الشعر في رحاب سيف الدول الحمداني ، سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الرسالة ، ص٥٩ .
(٢) ثريـــا عبـــد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٥٩٤ .
(٣) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٢ ، ص ١٣٨ .
(٤) ابـــن شهراشـــوب ، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة والمصنفين منهم قديماً وحديثاً ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦١ ، ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بملحـــه المـــثل، فـــيقال ملـــح كشاجم ... وكان رئيساً في الكتابة ، ومقدماً في الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتمّيز به عن نظرائه ، وتدقيق يربو على أكفائه ، وتحديق في علوم التعليم أضرم في شعلة ذكائه . فهو الشاعر المفلق والنجم المتألّق ، لقب نفسه بكشاجم ... شعره أنيق ، وأرج مدوّناته فتيق ... طلب علم الطب حتى مهر فيه [١] " .

وقـــد اعتبـــرت ثريا عبـــد الفتاح ملحس كشاجمَ ، شاعراً ، عالماً ، وقالت عنه : " كان يتمـــتع بذهنـــيّة متفتحة على حضارات الأمم السابقة ، فأخذ منها ما هو إنسانيّ عالميّ ، مبتهجاً بعلومه المتعدّدة ، وثقافته العصرية الفذّة ، وإيمانه بالله ، مكرّماً الديانات كلها [٢] " .

مؤلفاته :

ذهب الشابشتي إلى أنّ لكشاجم " كتباً كثيرة ، وتأليفات طريفة [٣] "، لكنّه لم يذكر أسماءها، والذي نعرفه منها ، على قسمين .

أ_ مؤلفات كشاجم المنشورة :

١. ديوان شعر كشاجم [٤] .
٢. أدب النديم [٥] .
٣. المصايد والمطارد [٦] .

ب _ مؤلفات كشاجم المفقودة أو المخطوطة :

١. خصائص الطرب [٧] .
٢. كتاب الرسائل [٨] .

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص٣٧-٣٨ .
(٢) ثريـــا عبـــد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص ٦١ .
(٣) الشابشتي ، الديارات ، تحقيق: كوركيس عواد ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٦٦ ، ص٢٦٠ .
(٤) النديم ، الفهرست ، ص١٥٤ .
(٥) نفسه .
(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عبـــاس ، دار صادر ، بيروت ، ج١ ، ص ٣٢٨ .
(٧) انظـــر : الحـــصري القيرواني ، جمع الجواهر ، ص١٠٧ ، وفيه يقول : " وله في الغناء كتاب ملِح " ، ولكنه لم يسمِّه .
(٨) النديم ، الفهرست ، ص١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. كنز الكتاب [١] .

٤. كتاب الطبيخ [٢] .

٥. كتاب البَزْيَرة .

شعره وديوانه :

عــرف كــشاجم بأنــه : " مليح الشعر ، رقيق الطبع ، حسن الوصف [٣] " ، وقد أشار الثعالبي إلى أهمية شعره من عدّة جوانب : فكشاجم كان ريحان الأدب في بلاد الشام [٤] ، وكان لــه مــذهب فــي الــشعر، يتبعه الشعراء [٥]، وكان شعره تعزية وتسلية لمن فجعته الحوادث والكروب، وفي ذلك قيل [٦] :

يا بؤسَ من يُمْنى بدمعٍ ساجمِ يهمي على حُجُبِ الفؤادِ الواجمِ

لولا تعلله بكأسٍ مدامــــــةٍ ورسائلِ الصابي وشعرِ كشاجمِ

وقــد أثنــى علــيه مصطفى الشكعة وعلى شاعريته وأوصافه، فقال : [٧] " كشاجم إمام اللطائــف، وشاعر الأوصاف الجديدة [٨] " . وكان له رواة ، يروون شعره ، منهم : أبو الحسن المسعودي (ت٣٤٦ هــ) ، والسريّ الرفاء (ت٣٦٢ هــ) [٩] .

---

(١) القلقــشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ج١ ، ص١٨٥ .

(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٩٩ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٠ .

(٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٢ ، ص١٣٨ .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه ، ص٢٨٨ .

(٧) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في المجتمع الحمدانيين ، مطبعة المعرفة ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص٣٧٣ .

(٨) نفسه ، ص٥٣٢ .

(٩) انظــر : المــسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ، ص٣٦٣-٣٧٠. الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٢ ، ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا ديوانه ، فقد تصدّى لتحقيقه وشرحه غير واحد من الباحثين في العصر الحديث ،منهم: خيرية محمد محفوظ [١] ، والنبوي عبد الواحد شعلان [٢] ، وأبو عبد الله محمد حسن [٣]. وعلى الرغم من ذلك ، فإنّ عدداً من القصائد ظل الخلاف حول نسبتها إليه قائماً [٤] . وخضعت النسخ المحقّقة من ديوانه لزيادات كثيرة ، أهمها ما أضافه إحسان عباس [٥] ، وما نبّه عليه محمد خير البقاعي [٦] ، وما ذكرته ثريا عبد الفتاح ملحس [٧] .

وفي دراستي هذه ، سوف أفيد من هذه التحقيقات والشروح جميعها، وبالأخص تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان ، وذلك لأنه أدق التحقيقات وأشملها ، آخذاً بعين الاعتبار الزيادات التي طرأت عليه ، ومرجحاً ، في الوقت نفسه، القصائد التي تتفق وروح الشاعر لدى كشاجم، فأعيد نسبتها إليه ، وسوف أوثّق ذلك ، كلّ حسب وروده في الدراسة الفنّيّة .

---

(١) كشاجم ، الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠

(٢) كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٧ .

(٣) كشاجم ، الديوان ، تحقيق : أبو عبد الله محمد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

(٤) انظر : كشاجم ، الديوان ، دراسة وشرح وتحقيق :النبوي عبد الواحد شعلان ،ص ٢٠-٤٠ ، من مقدمة المحقق .

(٥) انظر:إحسان عباس ، ديوان كشاجم (تقييم وإضافة) ، مجلّة المورد ، العراق ، مجلد ٥ ، ع٢ ، صيف ١٩٧٦ ، ص٢٨٣ -٢٩٠ .

(٦) انظر : محمد خير البقاعي ، ديوان كشاجم بين التواضع والادعاء ، مجلّة جذور ، النادي الأدبي الثقافي بجدّة ، ج١ ، مجلد ١ ، ع١ ، فبراير ١٩٩٩ ، ص ٣٥٦-٣٥٧ .

(٧) انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص ٧٤٣-٧٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

موضوعات الصورة الفنية في شعر كشاجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

موضوعات الصورة الفنية في شعر كشاجم

مدخل :

إن موضوع الصورة الفنية هو :" المادة في هيئة معّينة تجد روح الشاعر وذاته أو تجربته بشكل عام فيها معادلاً مناسباً ، وهذه هي بداية إدراكه الحسّيّ للأشياء " [١] وهذه المادة أو الموّاد التـــي تشكّل العمل الفني تتّسم بالثبات ، ولكنّ التغيّر يطرأ على الطريقة أو المنهج الذي يتمّ به اســـتخدام هذه الموادّ ، فالأدباء و الشعراء المبدعون يتغيّرون على مرور الزمن ، وتتغيّر تبعاً لـــذلك طرق التعبير الفنّي ، و أشكاله ، أمّا المادّة التي يتركب منها العمل الفنّي ، فهي مشتركه بين هؤلاء الشعراء ، وكلّ يعبر عنها وفق ذاته أو تجربته في الحياة.

ويعد كل من الإنسان ، والطبيعة و الكائنات الحية فيها ، ومظاهر الحضارة في المجتمع ، موضوعات مشتركة بين جميع الفنون في مختلف العصور ، وطبيعة الموضوعات في معظمها حّسيّة ،لأنّ موادّ الشاعر هي :" الأشياء المحسوسة التي يستخدمها لتأليف صوره الحّسيّة ، كما يـــستخدم البـــناء الحجارة ، و الصور الحّسيّة ، كما هو معروف عند النقاد و البلاغيين ، تجعل حصول الأفكار في ذهن السامع أكثر سهولة ومتعة "[٢] .

وليـــست مواد العمل الفني مقتصرة على الأشياء الحّسيّه ،بل إنّ حواسّنا ، أحيانا ، تعجز عـــن إدراكهـــا ، فتفسح المجال للخيال و الفكر و الشعور ، كونها تعالج السلوك الإنساني ، بما تتـــضمّنه من أفكار ومواقف . يقول صاحبا نظرية الأدب :" فعلى صعيد معين نجد مواد العمل الأدبـــي الرفيع كلمات ،وهي على صعيد آخر تجربة السلوك الإنساني ، وعلى صعيد ثالث هي الأفكار الإنسانية و المواقف "[٣] .

وإذا نظرنا إلى موضوعات الصورة في شعر كشاجم ،فإننا سنجدها تنبع من ثلاثة مصادر أساسية هي :

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، دار الفارس ،عمان، ط٢، ١٩٩٩، ص٣٠

(٢) عز الدين إسماعيل ،الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ،ط٣، ١٩٧٤، ص٣٥٩.

(٣) رينـــيه ويلـــيك و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة : محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: الإنـــسان ، فقـــد اهتم كشاجم بالمرأة ، وأولاها عناية خاصة ، فتحّدث عن جمالها الجـــسدي و الخُلقي ، كما اهتمّ بالرّجل ، وتجلّى ذلك من خلال علاقته به سواء أكان صديقا أم أميراً أم غير ذلك .

ثانـــيا ً: الطبيعة ، فهي ملاذ كشاجم من الهموم و الأكدار ، ومنصرفه إلى التمّتع بمظاهر الحـــياة ، فوصـــف الطبيعة الهامدة : من أمطار، وأنهار ، وثلوج ، وتوقف طويلاً عند الطبيعة الحـــيّة : من نباتات ، وحيوانات ، وقد ساعده في ذلك كثرة تنّقلُه وترحاله بين العراق و الشام ومصر ، فتوقرت لشعره البيئة الخصبة الوافرة .

ثالثاً : المجتمع و الحضارة ، فقد عاش كشاجم في عصر يزخر بالثقافة و العلوم ، وكان شـــعره صورة صادقة عنه ، فتشيَّع لآل البيت ، ووصف مجالس الشراب والغناء ، وتفنّن في وصف مظاهر الحضارة .

وفي هذا الباب سوف نتوقف عند الصورة الفنية في كل من هذه المحاور الثلاثة ، لنكشف عن مواطن الإمتاع و الجمال الفني في شعر كشاجم ، محاولين الإلمام بجوانبها كافّة، على وجه التوضيح و التفصيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
صورة الإنسان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

صـــورة الإنـــســـان

أولـــى موضـــوعات الصورة التي سنتحدث عنها في شعر كشاجم هي الإنسان ،وعلاقة الشاعر بمن حوله في المجتمع علاقة فاعلة ، بشقّيه: المرأة و الرجل ، لقد عشق كشاجم" المرأة " ، فطفق يصفها من أخمص قدميها إلى أعلى رأسها ،وصوّر مواقفه معها ، مابين لقاء وأنس أو افتـــراق ووحشة ، وعمد إلى بيان كريم أخلاقها وصفاتها، أوسوئهما، وهو بذلك يقّدم لنا صورة عن حال " المرأة " من مختلف الجوانب .

أمّـــا " الـــرجل " فقد كانت شخصية الشاعر ، كما قدّمها لنا ، صورة عمّا كان يأمله من صفات الرجال، وقد أفاض في عرض صورة الصديق، فكان موضوع الصديق و الصداقة غالباً فـــي صـــورة " الـــرجل " لديه، بالإضافة إلى صورة الولاة، من أمراء ووزراء، وغيرهم ممّن اتصل بهم الشاعر في رحاب مجتمعه الذي عاش فيه .

ولأنّ كـــشاجم قـــد توقف عند صورة " المرأة " أكثر من " الرجل " فقد آثرنا أن نبدأ بها، بحـــيث نحلّـــل جـــزئياتها ، ونستجمع الخيوط التي نسجت صورة " المرأة " الكلية، كما أرادها الشاعر.

أولاً: المرأة.

تـــناول كشاجم موضوع المرأة في شعره من خلال الغزل، الذي شاع في العصر العّباسي علـــى نوعين : الغزل العفيف، و الغزل العابث، وقد سلك كشاجم في معظم غزله سبيل الغزل العابث، فاهتم بجمال المرأة الجسمي الحسي، كما سلك في القليل من شعره سبيل الغزل العفيف، ولقد كان في هذا صورة لعصره الذي " استطاع أن يستوعب في باطنه كل الأضداد، ومن ثم لا يعجب الإنسان إذا وجد شاعراً من شعراء هذا العصر يلتفت في شعره مرّة إلى الجمال المعنوي للمرأة، ومرّة يستغرقه جمالها الحسّي "[١].

إذا تتبعنا الصور، التي قدّمها كشاجم في" المرأة "، بشيء من التفصيل فسنجد من الملامح التي ذكرها :

---

(١) عز الدين إسماعيل، في الشعر العباسي(الرؤية و الفن) ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥ ، ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- اللون :

كــرر الشاعر في الكثير من القصائد صفة اللون الأبيض حين صوّر المرأة، فهو أول ملامح الجمال وأهمّها، من وجهة نظره، وبه يهنأ العيشُ، ويستمّر السرور، يقول كشاجم[١]:

بيضاء يحضر طيب العيش ماحضرت فإن نأت عنك غاب اللهو و الفرح

وهذا اللون علامة الحسن الفريد، يقول كشاجم: [٢]

راح وتــفاحــة مــن كــف جــارية بيضاء بالحسن و الإحسان منفــردة

وإذا كان اللون الأبيض صفة جمال حسي في المرأة، فهو كذلك صفة جمال معنوي، يتمثل في العفة و الطهارة من العيب أو الدنس : [٣]

مــثقــوبة آذانــهــا وفــي الــثــّقــب مثل شنوف الخُرّد البيض العُرُبْ

فالشاعر هنا جمع إلى معنى الخريدة، الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة، والعــروب، وهــي المرأة المتحببة إلى زوجها، معنى آخر وهو ما يرمز إليه البياض من عفة وطهارة، وبهذه المعاني جميعاً تكون المرأة جميلة المظهر و الجوهر.

وينتقل الشاعر إلى تخصيص صفة اللون الأبيض، في أجزاء من جسم المرأة، فهي بيضاء النّحر:" وبيضاء السوالف " وثناياها كذلك:" كبنات الدر بيضا " [٤] وفي هذه الصورة يشبه ثغور النساء بالأقاحي ، و أسنانهن بالبرد الأبيض ، فيقول: [٥]

ومن ثــغــور تــشــبــه الأقــاحــي مــمــلــوءةٍ مــن بــرد وراح

و الأقحوان من نبات الربيع" طيبّ الريح، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر" [٦] كأنه ثغر جارية صغيرة السِّن. ولم يكتف الشاعر بذلك، وإنّما أعجب بلباس المرأة الأبيض، نقيّ البياض: " وترفل في مصمت أبيض"[١] .

---

(١) كــشاجم،الديوان،دراسة وشــرح وتحقــيق:النبوي عبد الواحد شعلان، صفحه رقم٨٠/بيت رقم٠٣ وهو نظام سأتبعه فيما يلي من شواهد شعرية.
(٢) الديوان: ١/١٤٥.
(٣) الديوان: ٨/١٤.
(٤) الديوان: ٢/٩٠، ٩/٢٣٥.
(٥) الديوان: ٢/٨٣.
(٦) ابن منظور، لسان العرب،مادة (قحو) ،ج٥، ص ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الألوان الأخرى،التي لاقت استحسان الشاعر،فأهمها: البنفسجي و الأحمر، وقد خص بهمـــا لـــون خدود الجواري[٢] ، ونشهد ذلك عندما يقرص أحدهم خَدّ الجارية، بقصد المداعبة والملاطفة ، كما في قوله[٣] :

وكـــأنّ البنفسج الغضّ فيها أثر القرص في خدود الجواري

وفـــي حالة الخجل، فإنّ الخدود تكسوها حمرة، تعبيراً عن الخفر و الحياء و الاضطراب الذي يسكن النفس، كما هي حالة الفتاة عند زفافها ، يقول في وصف الخمر: [٤]

فهاتها كالعروس محمرّة الـــ ـــخدّين في مِعْجَرٍ من الحَبَبِ

وقد تكون الخدود حمراء اللون، نلمح من خلالها شامة سوداء، تزيدها جمالاً، وهي بذلك تشبه ورد شقائق النعمان الأحمر، وقد التقط كشاجم هذا المنظر البديع ، وصوّره قائلاً[٥] :

الآن أشبه خدّه ورد الشقيق علانيه ْ

لما بدا في كفّه خالٌ كنقطة غاليـــه ْ

ب- الهيئة و الحركة:

الـــتفت الشاعر إلى هيئة المرأة في حالي حزنها وفرحها، وصوّر حركتها أدقّ التصوير، وهو بذلك يجعلنا نبصر صورة الجمال، حتى لو تراءت في موقف محزن: [٦]

كلفَ الفؤادُ بشادنٍ أبصرتُهُ في مأتمٍ يبكي بطرفٍ أدْعَجِ

مـــازال يخمشُ خدّه ببنانِهِ حتى تنقّبَ وردُهُ ببنـــــفسَجِ

فالـــشاعر هـــنا يـــنقل إلينا مشهد اللوعة و الحزن و البكاء، مثلما يحدث في المآتم عادة، ويسجّل فيه ما يعتري النفس من ألم، تترجمه بحركات اللطم على الوجوه بالأصابع، حتى تحول لون الخد الأحمر إلى سواد يشبه لون البنفسج.

وفـــي مشهد الوداع الحزين، ينقل الشاعر هيئة المعشوقة، وهي تحاذر أن يراها الرقباء، فتكتفي بإشارة من عينها، أو حركة من يدها، ثم تلوذ مكسوفة الخاطر، تعض على أصابعها، وقد زينت أظافرها بلون العنّاب، ولمعت أسنانها البيضاء المتناسقة كحبات البَرَد[١]:

---

(١) الديوان: ٣/١٥٣.
(٢) الديوان:٣/١٦٢ ، ٨/٢٨٦، ٣/٣٤٤.
(٣) الديوان:٨/٤٨٦ .
(٤) الديوان:٦/٤٢٨ . معجر : الاعتجار : لف العمامة ، ولبسة للمرأة . الثوب تشده المرأة إلى رأسها .
(٥) الديوان:١/٤١٧-٢ . غالية : طيب .
(٦) الديوان:١/٦٦-٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودّعتها ولهيب الشوق في كبدي　　والبَين يُبْعِدُ بين الروح و الجسد
وداع صبّين لـــم يمكـــن وداعهما　　إلا بلحظة عَـــين أو بنـــان يـــد
وحاذرت أعين الواشين فانصرفت　　تَعَضّ من غيظها العُنّاب بالبَترَد

وإذا كانت المرأة منهكة متعبة، بفعل الاعتداء الغاشم عليها، فإن صورة الذل التي ترتسم علـــيها، وحالة الإعياء التي تكتنفها، تصيب الإبل التي تحملها، وهذا ما حدث مع نساء آل البيت بعد معركة كربلاء[٢]:

وسيق نسوانه طلائقَ أحـــــ　　ـــزانٍ تهادى بهم طلائحُهْ

أما في حالة الفرح، فإنه يصف المرأة التي ترقص طرباً ،وتتحرك برشاقة ،وخفة شديدة ، حتى تستميل إليها العيون و القلوب[٣]:

وراقصة على كرة وحبل　　كخطف البرق أو لمع السراب

ولأنّ جـــسمها ليّن ناعم دائماً ، فإنها تتثنى في مشيتها وتهتز، مثلما تهز الصّبا الأغصان الليّـــنة الخضراء، كأغصان البان و الخيزران[٤] ، وهذه الحركات الجميلة، توحي بدلال المرأة، وغنجها، وهي صفات أنثوية محببة في المرأة، تأسر قلوب الرجال، والشاعر واحد منهم[٥] :

غنج اللحظ ولين المنطق　　ملـــكا قلـــبـــي عليّ فشقـــي
أقـــبلت تهتز في مشيتها　　هِزّة الغُصن الرطيب المورق

ولا يفوت كشاجم أن يسجل بعض الحركات المخصوصة في جسم المرأة، إمعاناً في جذب الانتباه إليها، وافتتان النفوس بجمالها[٦]:

مهفهف الأعطاف مُرْتَجّ الكَفَلْ

ج- الطيب و الزينة و اللباس:

اهتم كشاجم بزينة المرأة وطيبها، وما تضفيه على جمالها من وسائل الزينة المختلفة، وقد صوّر الشاعر لنا المرأة المنعّمة، التي نشأت في القصر، فهي مشغولة دائماً بنفسها ولون ثيابها، وتسريح شعرها، وجواريها يخدمنها، فتظهر بينهن كالبدر بين النجوم المضيئة[٧] :

طَـــلَـــعَتْ فـــي مُـــصبّغٍ جُلْنَاري　　طَلـــعـــَة البدر في ابتـــداء النهار

---

(١) الديوان: ١٠٣/١-٣ .
(٢) الديوان: ٩٨/١٢ . – الطلائح: جمع طِلح وهو الضعيف المهزول من الإبل.
(٣) الديوان: ٣١/٦ .
(٤) الديوان:٥٨/٧، ١٤٢/٢ ،١٤٨/٣ ، ٣١١/٣ .
(٥) الديوان: ٢٨٧/١-٢.
(٦) الديوان: ٣٤٨/١. مهفهف الأعطاف: ضامر البطن ، دقيق الخصر . الكفل : العجز .
(٧) الديوان: ١٤٧/١-٣ . الطرار : جمع طرة وهي الناصية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طاف من حولها الجواري فقلنا الـــ ـــبَدْرُ حفَّت به النجوم الـــدّراري
خيزرانية المعاطف قصريْـــ ـــيَةٌ قَصْرِ الطّرار و الأكْوَار

أمـــا الروائح و ألوان التجميل المحببة لديها فهي : البخور و المسك والكافور[١]،وقد رسم الشاعر لوحة فنية، ترينا جمال النساء المترفات،فقال[٢] :

مـــا تُغطّي أكوارُ تلك البدور من ضيا أوجُهٍ وليْلِ شُعور
وتـــواري تلك الجيوب اللواتي عَرضتها ظباءُ تلك القصور
مـــن نحور من اللُّجين حسان طوّقتها مخانق الـــكافـــور
غانيات عن الحُلِيّ فما يُحْـــــ ـــلين إلا بالمسك أو بالعبير

و الـــشاعر هـــنا يصور المرأة من خلال لباسها الذي ترتديه، فالحجاب يغطي من النساء وجـــوهاً مـــشرقة كالبدور، وشعوراً سوداء اللون كالليل، أمّا أعناقها فهي كالفضة لوناً وحسناً، وهـــي إن استغنت عن الحلي ، فإن رائحة العطر تفوح منها، فتملأ الجوّ بأرج الكافور و المسك والعبير.

أمّـــا إذا قامت تسرّح شعرها، وتنشره بعد خلع الحجاب، فإنّ رائحة المسك تفوح منه إذا مالا مسه المشط[٣]:

ومُرَجّلٍ بالمِسْك يعبَقُ من رَيّاهُ حين يَمَسُّهُ المُشْطُ

و الكحل من وسائل تجميل العين، فإذا كانت المرأة نجلاء العين، بيضاء اللون، فإنّ تزيين عيونها بلون الكحل الأسود، يزيدها جمالاً[٤]:

كـــحلٌ مَـــرَتْه الدموع من مُقَلٍ نُجْلٍ فأوفت به على يَقَق

وقد ذكر كشاجم عدداً من وسائل تزيين المرأة، بحسب مكان وضع الزينة في جسم المرأة، فالعقد يزيّن صدر المرأة، وقد عبّر عنه الشاعر بالمسابح،ونلاحظ أنه يصر على تحديد موقعه[٥]:

وعلّقن سود مسابحهنّ دُوين النهود وفوق السُّرَرْ

و الـــسوار زينة للمعصم، ولكن الجارية بغية الملاطفة و المداعبة، تضع المسبحة مكان السوار ، وكأنها تؤمن بمخالفة المألوف إثارة[٦]:

وقد جعلت لتُؤنسني مكان سوارها سُبَحَا

---

(١) الديوان: ٨/٥٨ ، ٣/١٦١، ٤/٤١٧ .
(٢) الديوان: ١/١٦٩-٣ و ٦ .
(٣) الديوان : ٧/٢٥١ .
(٤) الديوان : ٦/٢٨٢.اليقق : شدّة البياض.
(٥) الديوان : ١٩/١٨١ .
(٦) الديوان : ٢/٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و الخـــاتم زيـــنة لأصابع اليد، وقد اتخذه الشاعر وسيلة لملاعبة جاريته البيضاء، و التي شـــبهها بالبدر في حالك الليل، وهي ذات أصابع ناعمة، وفم مستدير الشكل كالخاتم ، وهو في هـــذا يرسم صورة لعبثه وعبثها ، مستثمراً الجناس مع الحركة الأنثوية المثيرة ، بالإضافة إلى رقة الأبيات وخفتها [١]:

لاعـــبـــتُ بالخاتمِ إنسانةً ... كالبدرِ في داجي الدُّجى الفاحمِ

ثـــمّ إذا تـــابعتُ أخذي لهُ ... من البـــنانِ الترِّفِ الـــناعـــمِ

خبّته في فيها فقلتُ: انظروا ... قد خبّتِ الـــخاتمَ في الخـــاتـــمِ

و الخلخال زينة لساق المرأة، وقد كنّى الشاعر عن لونه الأحمر بالنار، وكنّى عن بياض ساق المرأة بالبَرَد، وبذلك استطاعت المرأة أن تغلب بجمالها جمال خلخالها[٢]:

قلتُ وقدْ أبصرتها حاسراً ... عن ساقِها فاضِلَ أذيالـــهأ

لو لم تكنْ من بَرَدٍ ساقها ... لاحترقتْ من نارِ خَلْخَالها

أمّـــا اللـــباس الذي يزين جسم المرأة، فقد ورد في شعر كشاجم بعض نماذجه كالمجاسد، والقرامط و المروط، و الثوب المصبوغ" مصبّغ جُلّنَاري" ، و الثوب المصمت بلا لون"مصمت أبيض" ، و الخمار[٣] .

ويـــتخذ الـــشاعر من اللباس وسيلة للكشف عن جمال الجسد، فإذا أراد أن يصور بياض المرأة، ببياض القمر وسط زرقة السماء، جاء بلباس أزرق شفاف الغلالة كالهواء ، يتكشف من خلاله نور جسدها الناصع[٤]:

أقبلتْ في غِلالة زرقاءِ ... زرقة لُفّتْ بـــجـــري الـــماءِ

فتأمّلتُ في الغلالةِ منها ... جسدَ النورِ في قميصِ الهواءِ

هي بدرٌ وإنّ أحسنَ لونٍ ... ظهرَ البدرُ فيهِ لونُ السمـــاءِ

وإذا أراد أن يعبّر عن اكتنازها، وضخامة أردافها، ونضوج ثدييها، اختار اللباس الطويل المـــسترسل، الذي تلفّه المرأة على جسدها، المرط ، فيضيق عن الأرداف و الثديين، فيبرزهما للعيان[٥]:

---

(١) الديوان : ١/٤٦٢-٣.
(٢) الديوان : ٨/٣٢٠-٩.
(٣) الديوان : ٣/١٠٤ ، ١/٢٥٠-٢ ، ٣/١،١٥٣/١٤٧ ، ١/٣٢٧.
(٤) الديوان : ١/٩-٣.الغلاله: شعار (لباس) يلبس تحت الثوب .
(٥) الديوان : ٨/٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثقلُ الأردافِ يشْخَصُ عن أردافــِهِ ونــُهــودِهِ المِرْطُ

ولأنّها ربيبة قصر، فإنها تتخذ من الكَوْر تاجاً يزين رأسها، وتشتمل بثوب، يزيدها حسناً[١]:

قصرية تُوّجتْ بالكَوْر واشتملتْ كم فتنةٍ تحتَ ذاكَ الكَوْر و الشّمله ْ

وعلى كل حال، فكل زيّ ترتديه، سوف يعجب الشاعر[٢]:

فــي كــلِّ ما زيٍّ تــرو قُ وكلُّ ما تشدو اقتراحي

ومهما ترتدي من لباس ، فإنها ستبدو جميلة[٣]:

كلُّ اللِّباس عليها مَعْرِضٌ حسنٌ وكلُّ ما تتغنّى فهو مُقْتَرَحُ

ومادامت في عيني كشاجم جميلة، فلا يضيرها إن لم تتجمّل باللباس[٤]:

وأسمَحَتْ فاجتذبتُ مِئزَرَها ياحُسْنها حاسراً ومؤتزره ْ

د- جسم المرأة:

يحمــد الــشعراء فــي المرأة أن تكون دقيقة الخصر، ضخمة الصدر و المؤخرة، ممتلئة الــساعدين و الساقين، ذات وجه مشرق، يفترّ عن ثغر صغير، وأسنان بيضاء نقية، وأن تكون عيونها واسعة، ذات أجفان مريضة. هكذا رآها كشاجم، ولكنّه أراد أن يمتّع أذنه بحسن المسمع، كمــا تتمــتّع عينه بحسن المنظر، فأضاف إلى الصفات السابقة، جمال الصوت، وبحّة الحلق، ولاغرو فقد كان كشاجم عالماً بالموسيقى،ومغنياً،لا يعجبه إلا ما يوافق حسه المرهف، ومزاجه الحاد، وفيما يلي سنتتبّع صورة جسم المرأة، كما رسمها كشاجم، ورضيت عنها نفسه.

فقــد أكثــرمن تصوير دقة خصر المرأة، مع امتلاء موضع الخلخال و السوار، يقول في ذلك[٥]:

وكأنّما خَلخالُهُ وسِوارُهُ صَمَتا لنُطقٍ وِشَاحِهِ وحِقابِهِ

ويــصف دقة الخصر، مقابل ضخامة الأرداف، وطول الشعر، الذي يلامس الخلاخيل في الساقين [٦]:

ومحكّماً أردافه في خصره ومصافحاً خَلْخَالُهُ بضفائرهْ

(١) الديوان : ٧/٣١٠.الكوْر : لوث العمامة وإدارتها كالتكوير .
(٢) الديوان : ١٧/٧٢.
(٣) الديوان : ٤/٨٠.
(٤) الديوان : ١٠/٢٠٤.
(٥) الديوان :١٠/١٨.الحقاب : شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها .
(٦) الديوان :٢/١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتوقف الشاعر عند امتلاء جسد المرأة فهي " بَضّة" ، ثقيلة الأوراك وضخمة العجيزة " رداح" ، ممتلئة مستديرة الساقين" ممكورة "، ضخمة الفخذين " لقاء"[١] .

وهـــي مغنـــية كعـــاب، قـــد نهد ثديها وأشرف، ومثالها الأرض التي أخصبت، فأنبتت الثمار،أمّا هي فقد أحسنت التغذية، وكان ثمرة شبابها أن بان ثدياها في صدرها[٢]:

ومنزل قينة سهل الجناب تضمّن كل آنسة كَـــعَـــابِ

غـــذتها نعمة ولذيذ عيش فأنبت صدرها ثمر الشبابِ

وتلحّ في ذهن الشاعر، صورة ثمر الأشجار، مرتبطة بصورة الثدي، فيشبه ثمر الأترج بالنهود، ويشبه ثمر التين الأسود، بثدي المرأة السوداء" كثدايا ناهدات الزّنج" [٣].وتحثه صورة الصّدر الجميلة ، بما يزينها من ثديين لطيفين ، على جماع المرأة [٤] :

ومن مُشَارٍ على التَّرائبِ في صحيحةِ الصَّدرِ غيرِ منكسره ْ

ورضاب فمها يشبه طعم العسل اللذيذ[٥]:

ضَرَبِ في ارتشافِ ذاكَ الرُّضابِ خُلْباً كانَ برقُ ذاكَ السَّحابِ

وريقها زينة أسنانها البيضاء المتباعدة عن بعضها، وهي صفة الثغر المستحبة[٦]:

وثغرٌ واضحٌ زيـــّـــ ـــــنَ منهُ الظّلمُ تفلِيجَهْ

ويعجبه من المرأة أن تكون ليّنة ناعمة، واسعة العينين[٧] :

كأنّ خُرّد عِيْنٍ بها يُضاحِكْن خُرّد

ويـــشبه ورد النرجس بالعيون، في اتساعها ورونقها، وكذلك في حركة أجفانها، عندما يغشاها النعاس، فتطبق جفنيها ثم تفتحهما[٨] :

ورنجسٍ زاكي النَّسيمِ بَضٍّ

مثلَ العيونِ رَنّقت للغَمْـــضِ

ترنو ويغشاها الكرى فتُغْضِي

---

(١) الديوان: ٧/٧١،٩/١٦ ، ٥/٩١ ، ٤/٣١٠ .
(٢) الديوان:٣٠/١-٢ .
(٣) الديوان :٥/٥٣، ٣/٦٨ .
(٤) الديوان: ١٢/٢٠٥ .من معاني مادة " مشر " : النشاط و التحريك للجماع . الترائب : أسفل العنق .
(٥) الديوان: ١/١٥.
(٦) الديوان: ١١/٥٩.الظلم : ماء الأسنان و بريقها .
(٧) الديوان: ٧/١٣١.
(٨) الديوان :٨/٢٣٧-٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورة هذه الأجفان أنها مريضة دائماً[١] ،وهي صفة توحي بالدلال و الخفر و الأنوثة وهي صفات مستحبّة في المرأة، وقد صوّر الشاعر فعلها في جسمه،إذ أصابته بعدوى مرضها، وجرّح شوقه إليها أجفانه[٢] :

يا من لأجفان قريحة سهرت لأجفان مليحة
لم تترك المُقل المريـ ـضة فيّ جارحة صحيحة

ويطربه في غنائها، أن تكون مبحوحة الحلق، ناعمة الصوت[٣]،فيسري غناؤها في الكون، ويبعث الحياة في جنباته، وما ذاك إلا ليستمع إلى جمال صوتها[٤] :

وجارية تستميل القلوب وترنو فتجرح حباتها
إذا ما تغنّت نمى كل شيءٍ جمادٍ وأصغى لأصواتها
ومادت لها الأرض أو كادت الـ ـحياة تعُاد لأمواتها

وفي هذه المقطوعة الشعرية، نتلمس صورة المرأة، بشكل متكامل، فهي بيضاء مستديرة الوجه مثل البدر، تمشي بتثنّ ودلال مثل الغصن المهتز بفعل الريح، وقد ربطت حول شعرها كوراً ، فكان هالة من نور يزينها، وهي بذلك تفتك بالقلوب و العقول، وتعمل فيهما عمل الخمر، وقد شبهها الشاعر بالظبية، في رشاقتها وامتلائها وجمالها، فكنى بالقضيب عن قوامها، وبالكثيب عن أوراكها الضخمة، وبالقمر عن وجهها المنير[٥] :

طلعت كالقمر التمّ بَدَرْ وَمَشَتْ مِشْيَة ذي الفتك خَطَرْ
وَتثنّت كتثني الغُصْن في يوم ريح وغمامٍ ومطرْ
لاثت الكَوْرَ على مَفْرِقِها فرأينا هالةً حول القَمَرْ
شُبّهت بالراح فاشتُقّ لها اسمُها منها فَسَمّوْها سُكُرْ
ظبية مخلوقة أقسامها من قضيب وكثيب وقَمَرْ

هـ- أخلاق المرأة:

إذا نظرنا إلى الصور السابقة، فإننا سنجدها حسية، تصور وجه المرأة وعينيها وفمها ويديها وصدرها وأردافها وخصرها ورجليها، و الشاعر لا يقف عند هذا النوع من الصور وحسب، بل يقدم صوراً معنوية للمرأة، تبيّن عفتها وحياءها وتمنعها، مقابل تهالكها على الرجال

(١) الديوان: ١١/٧٢ ، ٢/١٢٨ .
(٢) الديوان: ١/٧٤-٢.
(٣) الديوان: ١/١٠٨.
(٤) الديوان: ١/٥٠-٣.
(٥) الديوان :١/١٧٦-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإخلافها للوعد وإدمانها الهجران لمحبها، وبالجملة فهي صور تمثل أخلاق المرأة، الإيجابية و السليبة.

فمــن أخلاقهــا الإيجابية العفة و الحياء، فهي ومثيلاتها في السن، يقتصرن في العشق و التحبّب على أزواجهن، ولا يعرن النظر إلى غيرهم[١] :

برزت وأتراب لها عُرُبٌ فجعلتُ أصرف نحوها النّظرا

وهي تنظر خفية، من وراء السّتر، ومن داخل الخدور[٢] :

فما تطّبيه لحاظ الظباء تطالعه من سُجُوْف الكِلل

وإذا حدّثها أهلها بحديث، أو وجهّوا إليها نصحاً، فإنّها تعيه، وتصرف سمعها إليه[٣] :

روى لها أهلُها حديثاً وعته أذن لها سمعية

وهي امرأة متمنعة عن الرجال، صدود عن رغباتهم، فلا ينالها إلاّ من ترغب هي فيه، وبعد أن يستأذنها في ذلك[٤] :

تأبى النّوال إذا أستميـــــ ـــــحت لو تكون المستميحة

وقد تكون حلوة الكلام، عذبة البيان، على الرغم من إعادتها للحديث غير ومرّة[٥] :

يُعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يستقبح الشيء المعادُ

ومن المحاسن التي تتمتع بها، وقد ورثتها عن آبائها، أن تكون كريمة الأصل نجيبة، وقد خصّ كشاجم بهذه الصفة، زوجته وأمّ ولده[٦] :

وغدوت معتلياً له من أمّه وهي النجيبة وابنة النجباء

ومن أخلاق المرأة السلبية، أن تكون هلوكاً، فاجرة متساقطة على الرجال، مقّرطة بزينتها[٧] :

كأنّ هلوكاً حبتها السَّوا ر أو سلب الكفّ أسوارَها

وهي مخلفة للوعد، بخيلة عن الوفاء به [١] :

---

(١) الديوان: ١/١٦٤.
(٢) الديوان: ٢/٣٤٤.
(٣) الديوان: ٢/٢٦٦.
(٤) الديوان :٢٠/٧٥.
(٥) الديوان: ٢/١٣٤.
(٦) الديوان: ٦/١١.
(٧) الديوان: ١٧/١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضنّت بموعدها فقلت لها : يا هذه فَعِدَي بأن تَعِدِي

وقد صوّرها الشاعر، كثيرة الهجر له[٢] ، فما إن تمنحه شيئاً من القرب و الوصال، حتى تسارع إلى فراقه وهجره، ويأتي بمقايسة عقلية لفعلها،فتسجل عينه اللاقطة، صورة السهم، الذي لا يكاد يقترب من القوس، إلاّ ليرحل عنها، فلا يصفو بجواره[٣] :

أرى وصـــالك لا يــصفو لآمله و الهجر يتبعه ركضاً على الأثر

كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت عليه أبعدُها عن مَنْــزع الــوتر

وقد تكون غريرة، جاهلة، لا تجربة لديها في الحياة[٤] :

تعانقه بين الندامى غريرة كعاب إليها موتُه وحياتهُ

وإذا أرادت أن تستمع إلى نصيحة من أحد، فإنها تستمع إلى إبليس[٥] :

وهي لا تهتدي لهذا ولكن هو مما أفادها إبليس

أو تستمع إلى الواشين الحاسدين، و العدّال الذين يرمون إلى تكدير العلاقة بين المتحابين[٦] :

لا تقبلي قول الوُشاة فإنني لم أُصغ فيكِ إلى مقال العُذّلِ

إني أُعيذكِ أن يكدّر آخرٌ بمقالة الواشين صـــفو الأوّلِ

وليــتها تــصفو على سماع النصيحة، من الله سبحانه وتعالى، في تنسكها، إذ سرعان ما تلهو وتنزح[٧] :

بليت بحب ناسكة تشوب بنسكها مرحــا

تظل إذا ذكرت لها لتكذب قول من نصحا

ومما يتصل بصورة المرأة في شعر كشاجم، العادات المتبعة في زواج الرجل منها ، من خطبة ومهر وزفاف وعرس، وما تنتهي به العلاقة، إذا مات الزوج عن زوجه، فتغدو أرملة.

وتختــزن في ذهن الشاعر، صورة المرأة عندما تتّبرج لخاطبها، فتظهر له زينتها، طمعاً في أن ينالها، دون غيرها من النساء، وكذلك عطايا ممدوحه، وهباته، يتنافسن في إرضاء الناس حتى يظفر الممدوح بالعطية، دون غيره من الأمراء[٨] :

---

(١) الديوان: ٤/١٢٨.
(٢) الديوان: ٢/٤٤ ، ٢/٤٨-٣ ، ٥/٥٢.
(٣) الديوان: ١/٤٥٠-٢.
(٤) الديوان: ٤/٥٥.
(٥) الديوان: ٦/٢٢٠ .
(٦) الديوان:٣/٣٢٧-٤ .
(٧) الديوان: ١/٨٥و٣ .
(٨) الديوان: ٨/١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثرٌ حياؤه و العطايا يتبرّجْن منه للخُطّاب

وقد يخاف الشاعر، أن تتراجع المرأة عن الزواج، إذا ما تأخّر المهر، و الصداق الذي هو حقها عليه[١] :

وعجّلت لها المهَر لِئلاّ تنفر المُهرة

وقد يكون المهر معنوياً، يدّخر عند الله تعالى، بالأجر و الثواب، وقد رسم الشاعر صورة الــزفاف الحــزين، للتي تموت قبل أن يتم زواجها، وكأنها قد زُفّت إلى القبر، ولعلّ القبر، في بعــض الأحيان خير من الأزواج، الذين يظلمون زوجاتهم، يقول كشاجم، معزياً صديقه أبا بكر عن موت ابنته[٢] :

أتأســى يا أبا بكر لموت الحُرّة البِكْر ؟
وقــد زوجتها القبر وما كالقبر من صِهْر
وعوّضت بها الأجر وما كالأجر من مهر
زفــاف أهــديت فيه من الخِدْر إلى القبر

أمّا إذا حالفها الحظّ ، وأصبحت عروساً، فإنها ستكون الأجمل، في كل عرس[٣] :

ما شهدت و النساء عرساً فشُكّ في أنها العروس

وقــد يمــوت عنها زوجها، بعد ذلك، فتغدو أرملة ، مهجورة من قبل الرجال، وقد صوّر الشاعر حالتها هذه، بحالة صديقه، إن زاره، فلا يلبث أن يجفوه ويهجره [٤]:

فاجعل لنا حظاً من الحال التي عمّا قليل منك تغدو أرملة

وقد ورد في شعر كشاجم ، أسماء نساء مخصوصة كليلى، وهند، وسعدى وسلمى، ونُوار[٥] ، وهــي أسماء دأب الشعراء على الرمز بها ، في تصوير محبوباتهم ، أما حُبّ كشاجم، فلم يكن حقيقياً، كذلك الذي نجده عن العذريين.

لقــد مثّل الغزل الحسي اللاهي معظم غزل كشاجم، وهذا ليس غريباً، لأنّ هذا النوع من الغزل قد شاع في عصره، إذ كثر الجواري، وتنافس الأغنياء و الموسرون في شرائهن، بقصد اللهو و الغناء، و أصبح الغزل بهنّ ضرب من العبث المجون، فانحطّ قدر المرأة في الشعر، ولم

(١) الديوان: ٣٢/١٧٤ .
(٢) الديوان: ١/٢٠٢-٤ .
(٣) الديوان: ٢/٢١٨.
(٤) الديوان :٧/٣٣٠.
(٥) الديوان: ١/٢٤٥ ، ١/٣٠٥، ٤/٣٧٦ ،١/٤٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعـــد نرى من الغزل العفيف الرّاقي، الذي يمسّ المشاعر و القلوب، إلا أقلّ القليل، وهكذا كانت الحضارة جناية، من بعض الوجوه، على الغزل [١].

ثانياً : الرجل .

وردت فـــي شـــعر كشاجم صور تبرز شخصية الشاعر، وهمّته العالية، واعتداده بنفسه وشعره، وحزنه وبكاءه المتواصل، وأنّه رحّالة وصيّاد ماهر ، كما جاءت كثير من الصور في الديوان، تعبّر عن وفاء الشاعر لأصدقائه، وإعجابه بممدوحيه من الأمراء، والوزراء، وغيرهم، ممن أحبهم الشاعر، أو أبغضهم، وسنتتبّع هذه الصور ، كما رسمها الشاعر، بكلماته و أشعاره.

أ- شخصية الشاعر:

نـــستطيع أن نـــتلمس صورة كشاجم في شعره، من خلال فخره بنفسه،لأنه بذلك يقّدم لنا شخصيته، كما رآها، أو كما أرادها أن تكون، و" ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها، في غير منافرة إلا أن يكون شاعراً، فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه" [٢] .

فالـــشاعر يفخـــر بأصله الفارسي، وبكرم أجداده، الذي ورثه عنهم، فكان الكرم فيه خَلْقاً وطبـــيعة، وتقفز إلى ذهنه صورة الميسر، فيصوّر نفسه وقد حالفه الحظّ على الدوام، فكان من الرابحين، لأن نفسه تتوق المجد دائماً[٣] :

شهدت نداك مناسب ... لي في ذرى كسرى صريحهْ
وسجيحة لي في المكا ... رم إنّ لي فيها ســجيــحهْ
متــخيّراً منها معلّـــ ... ـــلى المجد مجتنياً منيحهْ

وهمّته سامية، طموحة إلى المجد، وعزيمته لا تفلها عظائم الأمور، ولا تضعفها المصائب و الدّواهي، فإذا ما اعتراه خطب، فإنّه يستنجد بأدبه وشجاعته، فهما له خير معين[٤] :

ووصـــــلت ذاك بـــهّمة ... في المجد ساميـــة طـــموحـــهْ
وعـــزيـــمة لا بالكـــليـــ ... ـــلة في الخطوب ولا الطليحهْ
وجعلت من كفي نصيـــــ ... ـــباً للـــيـــراعـــة و الصفيحْه
فكـــلاهـــما لـــي صاحب ... فـــي كل داهـــيـــة جـــموحهْ

---

(١) انظر: علي ابراهيم أبو زيد ، الصورة الفنية في شعر دعبل بن على الخزاعي، دار المعارف، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ١٩٨ .
(٢) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعاده ، مصر، ط٣ ،١٩٦٣، ج١ ، ص٢٥.
(٣) الديوان : ٢٢/٧٥-٢٤. المعلى: السهم الرابح من سهام الميسر، المنيح: السهم الخاسر.
(٤) الديوان : ٢٨/٧٦-٣١. الصفيحة : السيف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا فخـــره بشعره وكتابته، وبلاغة نظمه ونثره، فهو محط ركاب الفخر لديه، وعنوان تميّـــزه عن غيره، من الشعراء و الكتاب، ولا ننسى أنه قد زاحمهم، في بلاط سيف الدولة، فلا يرضى بأقلّ من منزلة النبوّة بينهم، فمهما حاولوا اللحاق به، فليسوا بمستطيعين[١] :

على أنّي نبيّ الشّعـــــر قد جئت على فترة
فـــلو أنصف حُسّادي رأوني فوقهم قـــطـــرة
بَغَوا شأوي في الشعر فما إن قطعوا شـــعـــرة

وقد انتهج لنفسه، طريقاً خاصاً، في كتابة الشعر، فليس مقصده من الشعر، الذمّ أو المدح، طمعاً في المال، و التكسب على أبواب الأمراء، بل إنّه يقول الشعر ، تعبيراً عن مكنونات نفسه، وأدبه الرفيع[٢] :

ولقـــد ســـننت من الكتا بة للهوى طرقاً فســـيـــحهْ
ولئن شعرتُ لما تعْمـــــ ـــمَدتُ الهجاء ولا المديحهْ
لكـــن وجدت الشعر للِـــ ـــــآداب ترجمة فصيحـــهْ

أما إذا تعرض للعدوان ، فإنّ لسانه أمضى من حد السيف، وقلمه الذي لا يجف عن الذود عنه، يستحيل أفعواناً، أو حيّة تلسع العدو، وفي الوقت نفسه، يكرم الحليف الصديق، الموالي له، في مقابل أعدائه وخصومه[٣] :

أوَ ليس اللسان مني أمضى من ظبات المهنّدات الرّقاق؟
ويـــدي تحمل الأنامل منها قلماً ليس دمـــعه بالـــرّاقي
أفعـــواناً تُهال منه الأعادي حية يستعيذ مـــنـــها الراقي
مطـــرقاً يهلك العَدو عقاباً ويريش الولي ذا الإخـــفاق

وهنا تتضح مقدرة الشاعر الفنية ، على تصوير الحسن قبيحاً، و القبيح حسناً[٤] ، فصورة اللـــسان في أذهاننا، آنسة لطيفة، أما الشاعر فقد أحالها، حادّة عنيفة، تقمع الأعداء. أما صورة الأفعـــى أو الحـــيّة، فهـــي رهيبة في النفس، تخافها وتكرهها، لكنّ نفسية الشاعر" شكلت منها أوضـــاعاً صورية، تتناسب وإحساس الفخر و القوة الذي فيها ، ومن هنا أصبحت الحية ، بدلاً من أن تكون عدوة للشاعر يرهبها، قوة يرهب بها غيره " [٥] .

---

(١) الديوان : ١١/١٧٣-١٣.
(٢) الديوان : ٢٥/٧٥، ٣٢/٧٦-٣٣ .
(٣) الديوان : ٧/٢٧٨-٨ ، ٩/٢٧٩-١٠ .
(٤) انظر: جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ص٢٨٨ .
(٥) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و الذي يشهد صور الفخر السابقة، يهاله أن يرى الشاعر بكّاء، لا يرقأ له دمع، ولا تجف له عين، تحّسراً على آل البيت، ومصابهم الأليم في كربلاء[١] ،أو تعبيراً عن آلام البعد، ولواعج الحـــب، فالـــشاعر يشّبه غزارة دمعه المنهمل ، بالأمطار الغزيرة، ويجّسد دموعه في وجه كل فتى، عاشق حزين [٢] :

دموعي فيكَ أنواءٌ غزارُ وحبي لا يقــرُّ لهُ قــرارُ
وكلُّ فتىً علاهُ ثوبُ سُقْمٍ فذاكَ الثوبُ منِّي مُسْتَعارُ

وقد كان كشاجم، مرهف الحسّ، رقيق النفس، يتفجّع لأبسط الأشياء، ويقيم مأتماً وعويلاً، لأهون الأمور، فقد رثى منديلاً سرق منه، وقدحاً انكسر، وقمرياً مات، وطاووساً افتقد[٣] .

ونـــستطيع أن نتلمس في شعره، صورة الشاعر الرحّالة، الذي جاب العراق وبلاد الشام ومصر، وتنّقل في كل اتجاه من الأرض، طلباً للعلياء و المجد[٤] :

يا هندُ لا تنكري في الأرضِ مضطربي فإنّما أبتغي العلياءَ لي ولكِ

ويـــصوّر الـــشاعر ، صعوبة الرحلة ، ومشقّة السفر، فيجتاز الأراضي السهلة، و الجبال الوعـــرة، وفـــي ســـبيل ذلك ،فإنه يمتطي من الخيل السلهبة، العظيمة الجسيمة، وقد أثر كثرة الترحال على ظهرها، وأحياناً يركب الأمواج العالية كالجبال، بفعل تكدّر الماء واضطرابه، وفي هذا الجو المشحون بالصعوبات، يستحضر الشاعر صورة العشق ، الذي يجمع المتحابين، مهما كانت الظروف، ويصوّر نفسه وقد أوفى للبعاد، ما عليه من حقوق[٥] :

تـــرفعني بلدةٌ و تخفضني أخرى فمِنْ سهلةٍ و مِنْ وعره ْ
فـــتارةً فوقَ ظهرِ سَلْهَبَةٍ قطاتُها بالـــبدادِ مـــُنْعَـــقِـــرَه ْ
وتـــارةً في الفراتِ طاميةً أمواجُهُ كالـــجـــبال مُعْتَـــكِرَه ْ
حـــتى كأنّ البعادَ يعشقني أو طالبتني يدُ الـــنـــّوى بِترَه ْ

و ليس على الشاعر من حرج في هذا ، فالناس كلهم أهل ، و الأرض دار للجميع[٦] :

حيثما كنتَ كنتَ صدراً فكلّ النـــ ـــــاس أهلٌ و سائرُ الأرض دارُ

ومـــما يتـــصل بشخـــصية الشاعر ، وصف حالته عندما يخرج إلى الصّيد ، وقد جاءت الـــصورة هـــنا اســـتكمالاً لمستلزمات صورة الصيد ، بشكل عام ، فهو يخرج إلى الصيد في

(١) الديوان :٣/١-٢ ، ١٠/١-٣ .
(٢) الديوان :٤٥١/١-٢ .
(٣) الديوان: ٦٢ ، ٧٧ ، ٢٠١ ، ٣٦٤ .
(٤) الديوان: ٣٠٥/١.
(٥) الديوان :٢٠٦/٣٠-٣٣ .
(٦) الديوان: ٤٤٨/٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصباح الباكر ، قبل أن يستفيق الذئب ، و قبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الفجر ، وقد أعدّ للصيد صقراً ، ربّاه وكأنه واحد من أولاده ، يقول في أرجوزة على شكل شعر الطرد بعامة [١] :

غاديتها قبل غدّو السّيد و قبل أن يجهر بالتوحيد

بطـــائر يعدّ في الأسود مربّب كالولد الـــمولـــود

ثـــمّ اتخذ مكاناً آمنا ، يرقب من خلاله سرب الظباء ، وقد صور هيئته ، في الاحتراس و الحذر ، و التربّص بسكينة و هدوء ،مثل هيئة الخائف المذعور، المستتر عن غريمه، حتى إذا عـــنّ له السرب، سبقت أقدامه الريح، و تنقل بخفة من مكان منخفض إلى آخر مرتفع ،و عندما اطمأنّ إلى وضعه الجديد ، أطلق صقره ، فانحطّ على الظباء ، و أحكم قبضته عليها بشدّة [٢] :

فـــحدت حيد الخائف المز ؤود حتى سرقت الريح من بعيد

وصرت بعد الهبط في الصعود فانحط مثل الحجر الصيخود

ولم يكن يخرج إلى الصيد وحده ، و إنّما يصحب فتية ، يوافقونه في الطباع و الصفات ، هم يشاركونه في الأصل و النسب ، من الفرس الذي يصبرون على أحداث الدهر ، و يكونون عوناً له في الحضر و السفر[٣] :

في زُمرةٍ خير زُمرْ من نَفرٍ أي نَـــفَـــرْ

من آل ساسان صُبُرْ على تصاريف الغِيَرْ

مساعدين في الحَضَرْ موافقين في السَّفـــرْ

و يصور هيئته عند الصّيد ، إذ يرتدي سلاحاً كاملاً ، حتى ليظن من رآه أنه قد خرج للمعركة ، أو ليطلب دم أحد من الأعداء ، و يحمل في يساره ، رمحاً محكمة الصنع ، يصيب بها الفريسة عندما يقنصها[٤] :

مستصحباً شكَة ليست ليوم وغى ولا لثار من الأعداء مطلـــوب

وفـــي يساري من الخطّيّ محكمة متى طلبتُ بها أدركتُ مطلوبي

أو يحمل سيفاً طويلاً قاطعاً[٥] :

وعن يساري من سُيُو فِ الهند ذو شَطَبٍ سَبَطْ

وهـــو فـــي صيده ، يمتطي صهوة جواد أجرد ، قصير الشعر سبّاق ، سريع كأنه يسبح بيديه، من شدّة العدو[١] :

---

(١) الديوان: ٦/١٠٩-٧ .
(٢) الديوان ١١/١١٠-١٢ .انظر في الحاشية .
(٣) الديوان ٤٠/٢١٥-٤١ و ٤٣ .
(٤) الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم : خيرة محمد محفوظ ، ١١/٥٦-١٢. الشكة: السلاح ، الخطي : الرمح .
(٥) الديوان : ٢١/٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تحت سَرجي سابحٌ أجْرَدُ رَهْوٌ ذو مَعَطّ

و يصف نفسه بأنه حاذق في الصيد ، متقن له ، يسمّي الله تعالى ، و ينتظر رزقه[٢] :

خرجنا أمس للصيد و كنّا فيه حُذّاقــا

فَــسَــمّيْنا و أرسلنا على بختك إطلاقا

فــجــاد الله بالرّزق و كان الله رزّاقــا

و يصور حذقه و مهارته في الصيد ، إذ يقصر عنه بعض أصحابه ، أما هو فأشدهم ترقباً و أنفذهم عزيمة ، حتى إذا رمى صيده ، أخذ بألبابهم ، و ظفر بالرهان منهم[٣] :

و ظهرت أو كربت أن تظهرا و قال من كان أحدّ بصرا

لــمــن يــليه جذلاً مستبشرا: أما ترى أما ترى أما ترى

فــمنــبض أو مــستــجدٌ وترا ومطلقٌ بسهمه فقصّــــرا

وممسكٌ أجدر بــه أن يــظفرا و كنتُ من أشدّهم تنــظّرا

لا أُنْفِــدُ الــعزمة أو استظهرا حتى إذا أمكنني أن أقــدرا

بــهرتهــم سبعاً و مثلي بهرا فقدّم المقدار مــن تــأخّرا

و هو لا يخيب في صيده أبداً ، وما جناه طعام له و لأصحابه[٤] :

فرحت جذلان لم تكدر مشارب لذ اتــي ولــم تــلــق أمــالــي بــتخييب

وراح صحبي من صيدي و شكرهم وقفٌ على ما اجتنوا من حسن مصحوبي

أو يدخّر صيده لوقت المحل و القحط ، طعاماً لضيفه الزائر ليلاً[٥] :

وترانا في الجَدْب نَخْصبُ منها بقِرىً يستعدُّ للطّرّاق

وصورة كشاجم الصّياد ، بما تتضمّنه ، من نجاح دائم في الصيد ، و طبيعة مهيّأة للظفر، مهــا كانــت طريدته ، سواء أدبت على الأرض ، أم طارت في الهواء ، هذه الصورة توحي بشجاعة شخصيته ، وتكسبه فخراً ، وذكراً طيّبا على مرّ الأيام[٦] :

فلم يزل في عَجَبٍ عَاجِبٍ يأخذ ما دَبّ و ما طارا

فــيــا لــه يوماً هرقنا به من دم ما صدناهُ أنهارا

ولّــى و أبــقى ذِكْرهَ بَعْدَهُ لسائر الطُّرادِ أسْمــارا

ب- الأصدقاء :

---

(١) الديوان : ٢٧/٢٤٧ . الرهو : السير السهل ، المعط : المد .
(٢) الديوان : ٢/٢٩٨-٤ .
(٣) الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ، ٥/١٩٥-١٠ .
(٤) الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ، ١٨/٥٧-١٩ .
(٥) الديوان : ٣٠/٢٨٠ .
(٦) الديوان : ٢٨/٤٤٤ ، ٢٩/٤٤٥-٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كشاجم نظرة خاصة في الصديق و الصداقة ، و قد أولاهما عنايته في شعره ، ومن خلالها استطاع أن يقدم لنا ، صورة واضحة المعالم ، عن واجبات الأصدقاء ، و حقوقهم تجاه بعضهم ولـــيس بـــين الـــصديق و صديقه ، حدود فاصلة ، عند كشاجم ، إنما هما متحدان ، متآخيان ، متكاملان ، يعضد أحدهما الآخر ، صورهما جسمان بروح واحدة ، مثل النقطتين في خط واحد، يقول في صديقة أبي بكر الصنوبري[١] :

ما حال في قُربٍ ولا بُعْدٍ سَّيان منه القربُ و الشّحْط
جسمان و الروحان واحدة كالنقطتين حواهمـــا خـــط
فـــإذا افتقرت فلي به جِدَة و إذا اغتربت فلي به رَهْط

و يـــصور قـــرب الأخ من أخيه ، كما تقترب أصابع اليد الواحدة من بعضها ، أو كما يقتـــرن اللفـــظ بالمعنـــى في اللغة ، أو هما متماثلان في جميع الأحوال ، كما ألف المثنيان في اللحن، و هما شخص واحد ، إذ يحل أحدهما مكان الآخر ، في غيابه ، و ما ذاك إلا لأنهما قد اشـــتركا فـــي الأخـــلاق ، و العلوم ، و الآراء ، و الصفات ، وهو ما نستطيع أن نفّسر به هذا الاتحاد و الاندماج[٢] :

أخ كـــان مني في قربه بحيث بنان يدي من بناني
وكنا كأحسن لفظ امرئ يؤلّفه في بديع المعـــانـــي
يروح و يغدو على حالة سواء كما ألف المـــثنيـــان
إذا غبت مّثلني شخصه فمن يره فكأنْ قد رآنـــــي

وقد صور توافق الأصدقاء ، و اجتماع أمرهم في الخير و الشّر ، بتوافق أسنان المشط ، و اجتماعها إلى بعضها [٣]:

تشاكلوا فأشكلوا فهم كأسنان المُشُط

وللصداقة عنده مكانة متميزة ، فهي ثابتة في صميم القلب ، و البؤبؤ في العين، مصونة من التبدّل و الاختلال[٤]:

لكم في صميم قلبي وفي إنـــــ ســـــان عيني مودّة لا تعار

وهي تقوم على تآلف الأرواح ، و تلاؤمها ، منزهة عن المنافع[٥]:

---

(١) الديوان : ٢٥٣/١٩-٢١.
(٢) الديوان : ٣٩٥/١-٤.
(٣) الديوان : ٢٤٦/١٨.
(٤) الديوان : ٤٤٨/١٥.
(٥) الديوان : ٩٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصديق متى أباينه بالجســـــ ـــــم أجد روحه تلائم روحي

ولكــن علـــى الصديق أن يكون عوناً لصديقة ، فإن عثر أنهضه ، وان ظهرت منه خلة ســـدها ، و إن حضر زين حضرته ، وإن غاب حافظ على غيبته ، فهو شريكه في الضراء و السراء[١] :

أخوك الذي إن عثر ت انهض من عثرتك

وإن ظـــهـــرت خلة له سد من خـــلـــتـــك

يزينك في حضرتك و يرعاك في غيبتـــك

شـــريكك في محنتك و أنسك في نعمـــتـــك

و من صور الصداقة المستحبة لدى الشاعر ، أن يعذر الأخ أخاه ، فيدوم بينهما التسامح و الغفـــران ، و تبقـــى أســـباب المودة و الألفة ، وفي هذه الصورة يشبه الشاعر اتحاد جسمي الصديقين بروح واحدة ، باتحاد الخمر بالماء[٢] :

اعذر أخاك فما عليه جناح لا غرو أن تتألف الأرواح

جسمان ألف بالهوى روحاهما إحداهما ماء و أخرى راحُ

ومـــن صـــور الصداقة المستحبة لديه ، أن يحفظ الأصدقاء أسرار بعضهم ، وقد صور الشاعر السر ، محفوظاً في مكان آمن ، فلا سبيل إلى الكشف عنه ،مثل الوعاء المختوم ، الذي ليس بالإمكان فتحه وفضه[٣] :

وحصّلتُ أسرار الصديق بمُحْرزٍ من الحفظ عندي ما لخاتَمِهِ فَضُّ

ومن صور الصداقة ، أن يرضى الصديق عن صديقه ، وهي صورة تملأ نفس الشاعر ، وتغذي خياله ، فينصرف إلى رؤيتها في الطبيعة من حوله[٤] :

وروض عن صنيع الغيث راض كما رضي الصديق عن الصديق

والـــشاعر يدعـــو إلى حفظ المودة بين الأصدقاء ، ويصور سعادة العذال والحساد ، في التفـــريق بيـــنهم ، فـــإذا كانت الصداقة قائمة على أسس متينة ، كالنسب والإيمان ، تصفو فيها الأرواح ، وتمتـــزج كامتزاج الخمر بالماء ، فلن تفلح مساعي الحساد ، وسيبقى سبيل الصداقة ماضياً ، والمودة قائمة[٥] :

لا أصد متهما للصديق أسرتي وأسرته من قبيل

---

(١) الديوان : ١/٥٢-٢ ، ٣/٥٣-٤ .
(٢) الديوان : ١/٧٩-٢.انظر في الحاشية .
(٣) الديوان : ٢٣/٢٤١.
(٤) الديوان : ١/٢٨٦.
(٥) الديوان : ٧/٣٣٨-٩ و٩ و١٢-١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنفس مؤلفة بالإخاء كلها تدين بحب الرسول
فارج الظلام وهادي الأنام والوصيّ صاحبه والبتــول
وامــتزاج أنفسنا بالصفاء كامتزاج صوب حيا لشمول
غــيــر أن ذا حسد قد يلجّ في الدخول بينهما بالفضول
وهــو لا يفوز بما يرتجيه لا ولا يضلهما عن سبــيل

وتتعاظم غيرة الشاعر على صديقه ، حتى إنه ليصور غيرته عليه ، وحفظه لصداقته ، بغيرته على امرأته ، وصونه لها[١] :

واعلم أنني أغار على أخي وخِلّي كما أغار على عِرْسي

ويلتمس له الأعذار ، حاضاً على عدم الإسراع في معاتبة الصديق ، إذا ما بدرت منه زلة أو هفوة[٢] :

أقِلْ ذا الوُدِّ عَثْرَته وَقِهْهُ على سَنَن الطريق المستقيمة
ولا تُسرع بمَعْتَبَةٍ عليه فقد يهفو ونيّتــه سلــيــمة

والعتاب ، كما يرى الأزهري ، " مخاطبة الإدلال وكلام المدلين أخلاء لهم ، طالبين حسن مــراجعتهم [٣] " ، والأصــدقاء إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب ، فهو "حياة المودة ، وشاهد الوفاء " ، وهو " داعية الألفة وقيد الصحبة " ،هذا إذا قل ، وتوقف عند حد الاستعطاف ، أما إذا كثر وتطور إلى " الاحتجاج والانتصاف " خشن جانبه ، وأصبح "سبباً وكيداً من أسباب القطيعة والجفاء[٤] " .

وقد اصطفى كشاجم من أصدقائه ، أبا بكر الصنوبري ، لما بينهما من تشابه ، في مختلف الأهواء والعادات ، يصل إلى حد التطابق أحياناً[٥] ، وقد نشأت بينهما ، مطارحات ومعاتبات .

فإذا أحس كشاجم بفتور الصنوبري تجاهه ، وابتعاده عنه ، وهجره إياه ، متناسياً علاقتهما الحميمة ، راح يعاتبه عتاباً عنيفاً ، مصوراً نفسه بالأخ الصادق ، المخلص في علاقته بأخيه ، أما الصنوبري فقد أصابته عدوى الدهر ، فأصبح غادراً ، هاجراً لأخيه ، فيصرخ كشاجم بملأ فيه[٦]:

ألا أبلغ أبا بكر مقالاً من أخ بَــرِّ

---

(١) الديوان : ٢٢٢/ ٢.
(٢) الديوان : ٣٦٢/١-٢.
(٣) ابن منظور ، لسان العرب، مادة (عتب) ، ج٤ ، ص٢٤٩ .
(٤) ابن رشيق، العمدة ، ج٢ ، ص١٦٠ .
(٥) انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٥١٢ .
(٦) الديوان : ٢٠٧/١-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يناديك بإخلاص وما ناداك من عُقْرِ
أظـــنّ الدهر أعداك فأخلدت إلى الغــدرِ
فما ترغب في الوصل ولا تزهد في الهجرِ
ولا تــخــطرني منك على بال ولا ذكــرِ

حتى إذا عاد إليه هدوؤه ، وسكنت نفسه ، عاتب الصنوبري ، عتاباً رقيقاً ، مذكراً إياه ، بالأيام الحلوة ، التي قضياها معاً ، وقد رسم للصداقة بينهما ، صوراً جميلة ، فهما متآلفان في الــسراء والضراء ، وفي الصحو والسكر ، وشبه تحالفهما ، بالماء والخمر ، وبالشمس والبدر، وبالعود والزمر [١]:

أتنسى زمــناً كُنّا به كالماء فــي الخمــرِ ؟
ألــيــفَين حليفَين على الإعســار والــيسرِ
مُــكبَّين على اللذا ت في الصحو وفي السكرِ
نرى في فلك الآدا ب كالشــمس وكالــبــدرِ
كما ألفت الحكمــ ــة بين الــعــود والزمرِ

ولكــشاجم قــصيدة أخرى ، يعاتب فيها الصنوبري ، تفيض رقة وعذوبة ، وفيها يصور علاقــتهما الحميمة ، وأن كل واحد منهما يستجيب لرغبات أخيه ، كما تنقدح النار ، وتشتعل ، بفعــل احــتكاك العــيدان ببعــضها ، وهما يتبادلان الرأي والمشورة ، وينظران إلى بعضهما بــإخلاص ، كمــا ينظر زياد بن أبيه إلى ابن صخر ، وهو معاوية ، في إشارة تاريخية ، إلى صورة المودة والتصافي بين الإخوان [٢]:

أخ لي كنت أغْبَط باعتقادِه ولا أخشى التنكُّر مــن ودادِه
وأقبسه فــيوري من زنادي ويقبسني فأوري مــن زنــادِه
وأعــضده بــرأي من سداد ويعضدني برأي مــن ســدادِه
وكان وكنت بالإخلاص منه بحيث يُرى ابنُ صَخْرٍ من زيادِه

ونستــشعر هنا مرارة التعبير بالفعل (كان) ، إذ سرعان ما تبدلت المودة ، جفاءً وعناداً ، فيتوجه كشاجم إلى معاتبة صديقه ، لعله يثوب إلى رشده ، ويقوده انفعاله إلى أن يتلمس صور الطبــيعة مــن حوله ، فينقل صورة الدابة المذللة القياد، في إشارة إلى وداعة الصداقة بينهما ، ويستدعي صورة المطر الشديد ، الذي يعقب المطر الخفيف ، وصورة الماء الكثير ، الذي تبين

(١) الديوان : ٢٠٧/٦-٩، ٢٠٨/١٠ .انظر في الحاشية .
(٢) الديوان : ١٣٦/١ و٤-٥ و ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثرته في مقابل القليل منه ، أملاً في أن تعود صداقتهما إلى ما كانت عليه ، وهيهات له ذلك ، فيهجر النوم ، ويعتريه الأرق[١] :

وكـــان قـــيـــادُهُ بيدي ذليلاً ... فصعّبتِ الحوادثُ من قـــيـــادِهِ ْ

وعـــانـــدنـــي ولـــم أعلمْ بأنّي ... سأَثْقَلُ من هـــواهُ إلى عـــنـــادِهِ ْ

وقـــدْ يـــنـــهـــلُّ بعد الطلّ وبلٌ ... وغمرُ الماءِ يظهرُ في ثـــمـــادِهِ ْ

جفا فأبانَ عن طرفي لذيذَ الـــــ ... ـــكرى وأزالَ خدّي عن وسادِهِ ْ

ويبلغ الحزن من كشاجم مبلغه، فيزيد من العتاب، ويخط أبياته بمداد من دموع، وتبدو له صورة الموت ،فلا يتردد في أن يبذل نفسه في سبيل من أحب، بل لما طلب بثأر دم ابن عمه أو ابنه لو قتل أحدهما على يدي صديقه ، إرضاء له ، وأملاً في أن يغفر له ، وهذا غاية ما يبذله المرء، في الوفاء للصديق، و الحفاظ على الصداقة[٢]:

ومال إلى البعادِ ولستُ أخشى ... حِمامَ الموتِ إلا في بعـــادِهِ ْ

ولـــو سفكتْ يداهُ دمَ ابنِ عمّي ... أو ابني لم أَتِـــرُهُ ولم أعادِهِ ْ

ولـــو قـــتلي أرادَ قتلتُ نفسي ... له عمداً لـــيـــبلغَ من مرادِهِ ْ

فـــما كتبتْ يدي الأبياتَ حتى ... جرى قلمي بدمعي في مدادِهِ ْ

وإنْ أَكُ مـــذنباً وعفوتَ عنّي ... فإن الله يعفو عـــن عـــبـــادِهِ ْ

وقـــد اســـتعمل كشاجم في شعره، عدة ألفاظ تعبر عن (الصديق) كالنديم، و الصاحب ، و الأخ، فـــي حقل دلالي واحد [٣]، غير أنه غلب استخدام لفظة الأخ، ولعل كشاجم قد أنس بهذه اللفظة ، لأنه وحيد والديه،فلا أقل من أن ينزل الصديق من نفسه، منزلة الأخ من أخيه.

جـــ- الأمراء:

جـــاءت صـــورة الأمراء ، في شعر كشاجم ، من خلال المدح، الذي لم يكن مكثراً فيه ، ولـــذا لم يتجاوز عدد الممدوحين منهم ستة ، منهم الوزير ابن مقلة[٤]. ولعل عزوفه عن أبواب الأمـــراء، واعتـــزاله مـــيدان السياسة ، إلى ميدان العلم و الأدب،وعدم اتكائه على التكسب في الـــشعر، وطبيعته التي تأنف المقام في ظل أحد، يسوغ قلة شعر المديح عنده، حتى إننا لنعجب، كيف لم يمدح سيف الدولة وقد عاش في كنفه قسطاً من حياته !

---

(١) الديوان : ٩/١٣٧ و ١١ و ١٨-١٩ .الثماد: الماء القليل .

(٢) الديوان : ١٢/١٣٧ ، ٢١/١٣٨-٢٢ و ٢٩-٣٠ .

(٣) الديوان : ٥/٥٤، ١/١٨٦، ١/١٣٦، ٧/٣٣٨ .

(٤) هـــو محمد بن علي بن الحسين ، أبو علي المعروف بابن مقلة ، ولد ببغداد سنة ٢٧٢هـــ ، وقد وزر لثلاثة من الخلفاء : المقتدر بـــالله والقاهـــر بالله والراضي بالله ، وقد حبس وجرت عليه المكاره ، فقطعت يده ، ثم قطع لسانه ، ثم مات سنة ٣٢٨هـــ . ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج٦، ص٣٠٩-٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقــد جــرت العــادة عند الشعراء ، أن يقفوا على أبواب الأمراء و الوزراء، يمدحونهم بفــضائل العقــل و الــشجاعة و العدل و العفة، وما يتفرع من تلك الفضائل من صفات، فمدح الأمراء يكون " بالكرم و الشجاعة، ويمن النقيبة، وسداد الرأي، والتيقظ و الحزم والدهاء ، وما ناسب ذلك.ويطمح بهم في الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم ، وما انتهت إليه ممالكهم، حتى تكون رتبة العظماء منهم ، ثانية عن رتبة الخلفاء" [١] ، أما الوزراء فيمدحون" بالعلم و الحلم و الكرم، وحسن التدبير، وتثمير الأموال، ونحو ذلك " [٢] .

والشاعر بإضفائه تلك الصفات الكريمة على ممدوحه، إنما كان يصور " المثل الأعلى للحاكم كما يتراءى في أذهان الشعب "[٣].

ولقــد وعى كشاجم ذلك ، وصدر عنه في شعره، فرسم صوراً لممدوحيه من الأمراء، تــضج بالتهويل و التعظيم لشأنهم، حتى إن القصر ليفرح بقدوم الأمير، وهو يتبخر في جنباته، وتــود ســقوفه الذهبية، لو أنها بمنزلة أرضيته، حتى تنعم بالقرب من الأمير ، وتشتم شيئاً من رائحة ثوبه، المتدلي على الأرض. يقول في الحسين بن علي التنوخي[٤] :

أتتِ البِشارةُ قصْرَهُ بقدومِهِ ... فعلا سُرورُ صُحُونِهِ وقِبابِهِ

واخــتالَ فيهِ فَوَد تِبْرُ سُقُوفِهِ ... لو أنَّهُ بمكانِ ثوبِ رحابِــهِ

حسداً على ما مَسّ من أذيالِهِ ... في مَشيهِ واشتمَّ من هُدّابِــهِ

وهــو يــرى ابــن مقلة السابق في كل أمر، الغالب دائماً ، نعله على هامات خصومه ، قصوراً منهم أن يدانوه [٥] :

جارى إلــى المجدِ أقواماً فبــدّهُمُ ... وجاءَ من بَعدِهِ من رَامَه قبلَــهْ

وطــاولــوهُ فمــا زالتْ لهُ هِمَمٌ ... حتى أرَتْه على هاماتهم نَعْلَــهْ

وقصّروا أن ينالوا بُعدَ شأو فتىً ... جرى فأحزرَ في ميدانِهِ الخَصْلَهْ

ومــا كــان ذلــك إلا لأنه سيد القوم، العليم بشؤون الملك، الشجاع المتهيئ للقتال في كل وقت، وقد صوره الشاعر هنا، بصور الطبيعة الحية، فهو كالحية التي تقذف السم، و النحلة التي تقــذف العسل ، من حسن تدبيره وحنكته ، فما يخطه سماً حيناً وعسلاً حيناً آخر ، ولا يستطيع منافسوه إلا أن يخفضوا أبصارهم، حين ينظرون إليه، مهابة وإجلالاً[٦] :

---

(١) حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء، ص١٧٠.
(٢) نفسه .
(٣) شوقي ضيف، الشعر وطوابعه على مر العصور ، دا المعارف، مصر [د . ت] ، ص ٩٣ .
(٤) الديوان : ١٩/٢٢-٢٤ . لم نعثر له على ترجمة .
(٥) الديوان : ٣١٤/٤٥-٤٧ .
(٦) الديوان : ٣١٥/٥٣-٥٥ و ٥٨ .القرم: السيّد ، النضناض : الحية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قــرْمٌ إذا مـــا أجالتْ كفــُهُ قلماً ... في الطِّرس قُلتَ: كميٌّ ينتضي نَصْلَهْ

يمجّ ضربين من صابٍ ومن عسلٍ ... ومعنيين مــن النّضْناض و النَّحْلــه ْ

يــبكي بــبحرٍ من التدبير موقعهُ ... في حيثُ حَلَّ ولكنْ دمــعُــهُ طلَّــهْ

كــم مُــقــلةٍ لعــظيمٍ في رياسته ... تُغضي إذ لحظتْ يوماً بني مُــقلــهْ

ومــن الــصفات التــي يمــدح بهــا الأمير، العلم و الأدب ،فأبو العباس محمد بن أحمد الرشيدي[١]، خطيب بني العباس، وشاعرهم، وإذا خطب أو أنشد الشعر، رأيت القوم وكأن على رؤوسهم الطير، ينظرون إليه ويستمعون مقاله[٢] :

وخطيبُ المهدّبين بني العَبْـــ ... ـــبَاسِ في كلِّ محفَلٍ مشهودِ

وتــرى نحوهُ المسامعَ تصغي ... لحديثٍ ينصّهُ أو نــشــيــدِ

وكأنَّ الرؤوسَ من فوقها الطيــ ... ـــرُ سكوناً إلى أغــرَّ نَجيدِ

وقــد صوره الشاعر بالبحر في العلم ، و الطود في الحلم، وأنه بهي الطلعة، بشير خير، مــثل الصورة التي يوحي بها الهلال، في ليلة العيد، واستدعى صوراً من التاريخ، استطاع من خلالهــا، أن يفــضل الرشيدي، على أعلام الأدب، فهو يتفوق على سحبان وائل في الفصاحة، وعلى عبد الحميد الكاتب في البلاغة، ولو سمع مروان بن محمد بيانه، لما أعجبه لفظ كاتبه عبد الحميد[٣] :

بــحــر علم غداةَ حجّةِ خصْمٍ ... طود حِلْم هلالُ لــيــلةِ عــيــدِ

لو يباري سَحْبَان في محكم القو ... ل لأمسى سَحْبَانُ غير ســديــدِ

أو ينــاجي عبدَ الحميد لما أعْــ ... ـــجَبَ مروانَ لفظُ عبدِ الحميد

بالإضافة إلى كونه عالماً بحدود القرآن الكريم ، وبأسانيد الحديث الشريف[٤] :

إنْ سَألنكَ عن حدودِ كتابِ الــ ... ـــلهِ أوضحتَ مُشكلاتِ الحدودِ

أو ســمــعنا منكَ الحديثَ فإسنا ... دُكَ لا بالواهي ولا الــمــردودِ

أما شجاعة الأمير ونجدته، فإن الشاعر يشبهه بالأسد دائماً، كما يشبه مضاء سيفه بأظفار الأسد ، وفعل رمحه بأنياب الحية الخبيثة . يقول في الحسن بن علي التنوخي[٥] :

أسدٌ وبيضُ الهندِ من إظفارهِ ... صِلٌ وسُمْرُ الخطِّ من أنيابِهِ

---

(١) لم نعثر له على ترجمة .
(٢) الديوان : ١٩/١١٢ و ٢١ ، ١١٣/ ٢٣ .
(٣) الديوان : ٢٥/١١٣-٢٧.
(٤) الديوان : ٣٥/١١٤-٣٦.
(٥) الديوان : ١٢/١٨.الصل : الحية التي لا ينفع لعضتها علاج . الخط : الرمح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بعض الأحيان ، تنتقل الشجاعة إلى حيز جديد ، هو ميدان الكتابة والرياسة ، ويكون الأميـــر أشـــجع من الأسد ، فأبو القاسم علي بن بسطام[١]يسطو على الأسد ويقهره،ولكن تأخذه الرأفة والرحمة ، فيبقي على شبليه ، تحنناً ، وهذا دأبه مع الأيتام. [٢] :

فـــرأيتُ ليثَ كتابةٍ ورياسةٍ يسطو بليثِ الغابِ و الآجامِ

فكففتَ عن شبليهِ إنكَ لم تزلْ متحنناً حَدْباً على الأيـــتـــامِ

و الأميـــر قاهر للشدائد و المصاعب و الخطوب، تارة بقلمه، وأخرى بسهمه . يقول في الحسن بن الحسن[٣] :

وسُمْر الحروفِ تجلي الخطوبَ إذا ما بسُمْر الدُوِيّ استُعِنْ

ويقول في الحسين بن على التنوخي [٤] :

فإذا رمى هدفَ الخطوبِ فإنَّما في رُقعة البُرْجاس سهمُ صوابِهِ

حتى إذا رأته الخطوب ، ولّت دبرها، وتملكها الخوف، من بطشه بها . يقول في عبيد الله ابن إبراهيم التنوخي [٥] :

ما رأتْهُ الخطوبُ أطرق إلا نَكَصَتْ خِيفةً على الأعقابِ

وكأنّ الخطوبَ خوفاً تواصَتْ بينها باجتنابِ ذاكَ الجنابِ

وقـــد صـــور الشاعر كرم الأمير، وجوده وإحسانه، بالمطر الغزير الهتون، الذي يعوّض جدْب الأرض، فهو حصن منيع به يعتصم ، يقول في الحسن بن الحسن[٦] :

كـــريمٌ إذا ما اعتصمنا بهِ لجأنا إلى محصناتِ الجُنَنْ

وإنْ أمسكَ الغيثُ جادتْ لنا سحائبُ من راحتيه هُتُنْ

وكأن البحر يسكن صدره الرحيب، فمهما زاد في العطاء، فهناك مُتسع للجود و الإحسان، حتى غدا أمل الراجين، وبغية كل طالب . يقول في عبيد الله بن إبراهيم التنوخي[٧] :

لو تَبحَّرْتَ جوده لحسبتَ الـــــ بحْرَ في صَدْرِهِ الرَّحِيْبِ الرِّحابِ

أغْـــرَبَتْ في الندى سجاياهُ قِدْماً فـــدعوناهُ طـــالِـــبَ الـــطُـــلابِ

---

(١) هـــو القائـــد الأمير أبو القاسم ، علي بن أحمد بن بسطام ، تقلد خراج حلب في عهد المقتدر بالله ، ثم أصبح أميرها . ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٧، ص ١٠٠.

(٢) كشاجم،أبو الفتح محمود بن الحسين ، المصايد و المطارد ، حققه وعلق عليه : محمد أسعد طلس، دار اليقظة، بغداد، ص١٧٦ .

(٣) الديوان :٢٧/٢٨٢ .

(٤) الديوان : ١٦/١٩ . البرجاس : غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه .

(٥) الديوان : ٢٥/١٧، ١٤/١٦ . لم نعثر له على ترجمة .

(٦) الديـــوان : ١٥/٣٨١-١٦. هـــو الأمير الحسن بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ، قلده المكتفي بالله إمارة حلب ، مات بحلب سنة ٣٠١هـــ فجأة . ابن العديم ، زبدة الحلب ، ص١٠٠.

(٧) الديوان :١٩/١٦-٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــإذا أراد الـــشاعر أن يشكره على عطاياه، فإنه سيتعب نفسه في سبيل ذلك، ولن يجزيه حقه[١] :

فمتى تطلَّبَ أنْ يقومَ بشكرِ ما أو ليتَ أتعبَ نفسهُ بطلابِهِ

د –الآخرون:

ورد فـــي شعر كشاجم مقطوعات شعرية، في أناس غير معروفين لنا ،ولكنهم عاشوا في مجـــتمع الشاعر ، وتفاعل بدوره معهم، فنقل لنا صوراً من وحي علاقته بهم ، وهم وإن كانوا يمـــثلون" المرأة " أو " الرجل " ، فإننا آثرنا أن نفرد لهم حديثاً خاصاً، لأن الصورة الكلية التي تجمعهم، قد جاءت في باب الهجاء.

و الهجـــاء ضد المديح، وقد جرت عادة الشعراء، على أن يلجؤوا في هجائهم إلى أضداد الفضائل، فيجعلوها في المهجو ، " وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تـــركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب، فالهجاء به دون ما تقدم "[٢]. ومثال هذا النوع،ذلك الهجاء الذي يقصد منه التهزل والإضحاك ،ومنه هجاء كشاجم .

" لقـــد طرق كشاجم ميدان الهجاء الشخصي، فكان هجاؤه رسماً ساخراً هازلاً، اعتمد به علـــى التصوير وبراعة الرسم" [٣] ومن صور الهجاء عنده، وصفه جارية أحد أصدقائه، فهي حين تقبل سوداء اللون،ترى ليلاً مقبلاً إلا من وضح بياض الشيب في سالفتيها،شفتاها غليظتان، نحـــيلة البدن، مشقوقة القدمين ،قد غدت مأوى للفئران والخنافس، ذات رائحة كريهة ، تصرع الصحيح الجسم[٤] :

يُقبِلُ الليلُ حين تُقبِلُ لولا وَضَحٌ في سوادِ سَالفـــتيـــهَا
شـــفتـــاها غليظتانِ ولكنْ جُعِلَ الانضمامُ في شَفْرتَيها
رُب فأرٍ وخـــنـــفساءٍ أُثِيْرا من خلالِ الشقوقِ في قدميها
وصحيحٍ مـــسلـــمٍ صَرَعتْهُ نَفَحاتُ الصّنّانِ من إبطـــيها

وصورة هجاء أخرى، يشبه فيها الشاعر، الرجل البدين بجبل رضوى، فخلقته بغيضة إلى النفس، لا تكاد تفهمها،وهو نهمٌ، يأكل ولا يشبع، ويشرب ولا يرتوي، ونتيجة لذلك انتفخ بطنه، وصار كالمزادة المملوءة ماء[٥] :

---

(١) الديوان :٣١/٢٠ .
(٢) ابن رشيق، العمدة، ج٢ ، ص١٧٤ .
(٣) سعود محمود عبد الجابر، الشعر في رحاب سيف الدولة، ص ٢٣٣ .
(٤)الديوان : ٢/٤١٨-٤و٧.
(٥) الديوان: ١/٤٠٨-٤ . رضوى: جبل بالمدينة المنورة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُـقَـدمُ الخِلقة ممقوتها ذُو صُوَرة أثقلُ من رَضوى
أصبحَ لا سُخناً ولا بارداً غَثاً فلا مُراً ولا حُـلـوْا
مُرَبعُ الجسمِ صفيُّ الحشا لا يشبعُ الدَهرَ ولا يـرْوَى
كـأنـمـا قُدّامُهُ بـطنُهُ راويةٌ قد نقـصـتْ دَلْـوا

ومـن الـصور الساخرة المضحكة، هجاء الشاعر لأنف رجل مرّ في السوق، فكأن أنفه الطويل، حاجب يمشي أمامه، ومخطته تكاد تغرق السوق ، وكأنه كنيف معلق على وجهه[١] :

لـقـد مَرّ عبدُ اللِه بالأمسِ راكباً له حاجبٌ من أنفه ومُـطـرَّقُ
وعنَّتْ له في جانبِ السُّوقِ مَخْطَةٌ توهمتُ أن السوقَ منها سيغرقُ
فـأقـذرْ بـه أنـفاً وأقذرْ بـربِّهِ على وجههِ منهُ كنيفٌ مُـعـلّقُ

إن الصور السابقة حسية، لا تخاطب الوجدان، و الشاعر يقصد منها الإضحاك و التندّر ، وإظهار القدرة على رسم الصور الطريفة، من خلال المفارقة وخرق المألوف .

كمـا نحـبّ أن نتوقف عند بعض من الصور التي أثرت في نفسية الشاعر، وأبانت عن صدق عاطفته، ورقة أحاسيسه ومشاعره، وهيّجت فيه البكاء، لعلنا نستطيع أن نتلمّس في شعره ، بعضاً من ملامح الأدب الباكي ، ويّتضح ذلك من خلال رثائه لوالديه.

فقـد بكى الشاعر أمّه، وتفجّع من مصابه في موتها ، فلم تعد له حاجة في الحياة الهانئة بعدها، وهنا يرسم الشاعر صورة حزينة، وهي إرضاع عينه لقبر أمّه بالدموع الغزيرة ، جزاء ماتكلّفته في حياتها لأجله من حمل ورضاعة، وهي صورة فريدة، غير ما ألفناه من سقيا السماء للقبر ، كما هو الحال في رثاء أبيه، يقول في رثاء أمّه[٢]:

أبَعْدَ مُصَاب الأمّ آلفٌ مضجعاً وآوي إلى خُفْضٍ من العَيْش وأظل ؟
ستُرْضع عيني قبرها من دموعها بما كُلّفته من رَضَاعي ومن حملي

ويقول في رثاء أبيه [٣] :

لا تبعُدْنّ أبي الشفيـ ـقَ وإنْ غَدَوْتَ رهينَ رَمْسَ
وسقى ضريحكَ وابلٌ يُضْحي بِصَـوْبتهِ ويَمْسي

وشـتان بين أن يسقى القبر بالدموع، وبين أن يسقى بالمطر، فالصورة الأولى أشدّ وقعاً على النفس ، وأعظم خَطْباً ، ولعلّ الشاعر عبّر بذلك عن أنّ المصيبة بفقد الأم ، أكبر منها بفقد الأب .

(١) الديوان: ٢٨٥/١-٣ .
(٢) الديوان: ٣٢٨/١-٢
(٣) الديوان: ٢٦٦/٤-٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقــد شهدنا كشاجم يقدّم نفسه فداءً للصداقة بينه وبين أبي بكر الصّنوبريّ، وهو هنا يقدم جــسده فــداءً لأبــيه مَرّتين، مرّة ليحمل الأمراض عنه، ومرّة ليحمل الموت بدله، وفي غاية التضحية و الوفاء[١] :

ودِدْتُ لو بجسدي كُنْتُ احتملْتُ عِلّلكْ

ودِدْتُ أنيّ لِلمَنَا يا كُنْتُ يوماً بَدَلكْ

أمّا في رثاء الأم فإنّ الصورة تنقلب راساً على عقب، إذ يكون موت الابن قبل أمّه، شديد الــوطأة عليها، تتجرّع بسببه الثكل ، وتذوق مرارة الفقد، ولذلك فإنّ كشاجم فدى غمّ أمّه عليه بحسرته عليها، لعلّ ذلك يخفف عنه ويسلّي عن نفسه الحزينة[٢] :

يُهوّنُ من وجدي وليس بهيّنٍ سلامتها بالموتِ من جُرْعة الثكلِ

وكان عليها أنْ أُقدّمَ قبْلها أشَدّ وأدْهى من تقدُّمها قبلي

فقد فُدِيَتْ من غمّها بي بحسرتي عليها وفيما بين ذلك ما يُسْلي

لقــد عبّــر الشاعر بتلك الصورة الفريدة، عن حقيقة مشاعر الأم تجاه ابنها، وليست كما يقول مصطفى الشكعة " صورة غريبة حقاً، تتنافى مع الإيثار، و الحبّ[٣]" ، بل إنّ الموت، في كثيــر مــن الأحيان، يكون أرحم من حياة ملؤها الغمّ و الحَزَن، تموت فيها الأم غير مرّة، كلّما تذكرّت ابنها ، أو مرّ بها على خاطر .

ونحن نشهد هنا صورة الحياة القاتمة، التي خيّمت على كشاجم بعد موت أبيه، فلم يكن لها من الحياة إلاّ الاسم، إذ صارت موحشة غريبة، مظلمة بسبب المصائب و الويلات، التي تكالبت عليه، وقد كان أبوه يدفعها عنه حال حياته[٤] :

ولقد علَتْ دُنيايَ بَعْــــ ـــــدَكَ وَحْشَةٌ من بَعْدِ أُنْسِ

وعِشْتُ في ظُلَمِ الخُطُو بِ وكُنْت مصباحي وشمسي

وتركني غرضاً لِنَبْــــ ـــــلِ الحادثات وكُنْت تُرْسِي

وعــند الموت، يشعر الإنسان بضعفه، ويوقف بحتمية الفناء، فيصوغ الشاعر ذلك حكماً، تعبّر عن المصير لافرار منه [٥] :

يا أبتي كُلُّ أبٍ يُورَدُ يَوْماً مَنْهلكْ

و الحَيُّ يقفو من مضى به الرّدى حيثُ سَلَكْ

---

(١) الديوان: ٨/٣٠٢-٩.
(٢) الديوان: ٥/٣٢٨-٦ .
(٣) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص٢١٥ .
(٤) الديوان:٨/٢٦٦-٦ .
(٥) الديوان:١٥/٣٠٢-١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
صورة الطبيعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

صورة الطبيعة

توقف كشاجم في شعره عند وصف الطبيعة، بشقّيها الصامت والصائت ، فصوّر السماء ومـــا فيها من أمطار وثلوج ونجوم، كما صور الأرض وما فيها من صحارٍ وجبال وأنهار، هذا فـــي الـــشق الـــصامت من الطبيعة، أمّا في شقّها الصائت ، فإنّه قد أفاض في تصوير النباتات والحيوانات، بأنواعها المختلفة. وقد ساعده في ذلك، تنقله في بلدان متنوعة الطبيعة والمناخ، إذ كـــان الشاعر، كما أسلفنا، يرتحل بين العراق وبلاد الشام ومصر، وتسجل عينه اللاقطة ما تراه من مشاهد وحركات، تنفعل لها نفسه، وتختزنها ذاكرته، ليصوغها، فيما بعد، صوراً تملأ السمع والبصر.

أولاً: الطبيعة الصامتة .

وسوف نقتصر هنا، على صورة الأمطار والثلوج والأنهار، لأنها صورة متكاملة، تجمع لوحة السماء بلوحة الأرض، وتتضمّن عناصر الصوت واللون والحركة، وتعكس نفسية الشاعر الحزينة الباكية، المحبّة للحياة، إذ " ليس لذكر الرياح والديم ارتباط باختلاف المناخ فقط، ولكنّه يمـــتدّ إلـــى تأثيـــر هذا الاختلاف على حياة الناس، واختلاف المشاعر والأفعال المترتبة على اختلاف المناخ الطبيعي "[١].

عـــرفنا كشاجم، رقيق النفس، مرهف الحسّ، بكّاء، وبهذه المشاعر، كانت صورة المطر، في بعض جوانبها، تشبه صورة الدموع، التي تنهمر من عيون العاشقين [٢] :

وأرى القطر قد تتابع يحكي دمع عَينَي أخي فؤاد قَريح

وإذا مـــنعت نـــساء آل البيت من البكاء، جرّاء ما أصابهنّ في كربلاء، فإن السماء تبكي عليهنّ وتنوح، والمطر شاهد ذلك [٣] :

وهنّ بالوعيد من النـــــــــ ـــنَوح وعزُّ العلا نوائحهْ

ويروقه، كما مر معنا ، أن يستسقي المطر، في موقف الموت الأليم، ليروّي ضريح والده الحبيب، صباحاً ومساءً[٤] :

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٤،ص ٤٥.
(٢) الديوان : ٤/٩٣.
(٣) الديوان :١٣/٩٩.
(٤) الديوان: ٤/٢٢٦-٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تبعدنّ أبي الشفيـــــ ـــق وإن غدوت رهين رمسِ
وسقـــى ضريحك وابلٌ يُضـــحـــى بـــِصَوَبَتِهِ ويُمسي

ومثله في قبر الإمام الحسين [١]:

لا بَرِحَ الغيثُ كُلَّ شارقةٍ تهمي غواديه أو روايُحُهْ
على ثرىً حَلَّهُ غريبُ رسو لِ الله مجروحةٌ جوارحُهْ

وتلـــحُّ علـــيه صـــورة المطـــر والبكاء، فيشبّه المطر بالدموع، وفي المقابل، فإنّه يشبه البرق، بالابتسامة الشامتة [٢]:

والغيثُ يبكي في خِلال نباتها والبَرقُ يضحكُ منه ضِحكَ الشَّامِتِ

ومثله في الغيم والروض [٣]:

غـــيـــمٌ مـــدامعه تفِيضُ وثيـــابـــه ســـُودٌ وبـــيضُ
يبكي فيضحك من طويلـــ ـــلِ بكائه الرَّوضُ الأريضُ

والمطـــر عند الشاعر، معادل للكرم، في الكثرة والتتابع، فصديقه الممدوح، كثير العطايا، كالرّيح المرسلة [٤]:

وشبيه بالرّوض خُلقاً وبالقَطـــ ـــرِ نَوالاً وراحة بالرِّيح

وقـــد يكون الممدوح، أكثر نوالاً من المطر، فالسحاب يتعلم منه الجود ، والجبل يتولد من حلمه ورجاحة عقله . يقول في الإمام علي، كرم الله وجهه [٥]:

بجودٍ تعلّم منه السحاب وحِلم تولّد منه الجبل

وقـــد اســـتعمل الشاعر، مرادفات شتى للمطر، كالغيث، والقطر، والوسميّ وهو مطر الـــربيع، والعهاد وهو أول مطر السنة، والوبل، والطل، والأنواء، والرهام وهو المطر الخفيف، والغمـــام [٦]، ولا شـــك أن كلا منها يغذي صورة المطر، ويكشف عن دقة تصوير الشاعر في التفـــريق بـــين هذه المرادفات.وقد نوع الشاعر في الأوضاع والهيئات، التي كان يضع المطر ومـــرادفاته فـــيها، ويتضّح ذلك من خلال تتبع صورة " السحابة الماطرة" ، التي جلاّها الشاعر تجلية إنسانية، فجعلها ذات عواطف وأحاسيس. يقول في صفة سحابة [٧]:

---

(١) الديوان: ٩/٩٨-١٠ .
(٢) الديوان: ٣/٥٣.
(٣) الديوان: ١/٢٣٤-٢ .
(٤) الديوان: ٨/٩٧ .
(٥) الديوان: ١٧/٣٤٥ .
(٦) الديوان: ٣/٥٣، ٤/٩٣ ، ٨/٩٠ ، ١٠/١٢١ ،٥/٢٢٦، ١٠/٧ ، ٢/٣٦٣-٣ .
(٧) الديوان: ١/٤٤٠-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغادية والشمس في طرادها مكنونها للسِّرِّ فـــي فـــؤادها
مريضة تشكو إلى عُوّادها بياضها قد ضاع في سوادها

ويقول في أخرى [١]:

كأنـــما نسألها عن حالها وراحت الرَّياح من كَلالها
وكاد أن ينهض لاستقبالها فسمَّحت بالري من زُلالها

ويقول في ثالثة [٢]:

ساريةٌ بين الدّياجي السود مكحولة الأجفان بالسُّهود

ويقول في رابعة [٣]:

لها على الرَّوضة في بعادها تعطُّف الأمّ على أولادها

فكـــل وضـــع، فـــي كلّ صورة مما سبق، يختلف عن الوضع الآخر، ويعطي صورة للـــسحابة، مـــن جانـــب إنـــساني معيّن، فالسحابة في الصورة الأولى: تخبّئ السِّرّ في فؤادها، وتمـــرض وتـــشكو وتـــزار، وهي في الصورة الثانية: تتحدّث وتحاور، وتزور وتُستقبل، وفي الثالثة: تكتحل، وتسهر وتأرق، وفي الرابعة: تحنّ وتتعطّف.

ومما يتصل بالمطر، البرق والرّعد، وقد أولاهما الشاعر عنايته، فاتخذ منهما موضوعاً في تصوير الغناء الجميل، واللحن العذب [٤]:

ومسمعة إذا غنّتك صَوتاً فما لك من فراق الحِلمِ بُدُّ
كأنّ يسارها في العود برقٌ ويمناها إذا ضربته رَعدُ

وقد طرب الشاعر إلى الرّعد، فشبه به إيقاع الطبول [٥]:

ومحسنة موقعة بطبل كصوت الرعد من خلل السحابِ

أمّا وميض البرق، وسرعة لمعانه، فقد استعمله في تصوير سرعة الخيل، ونشاطها [٦]:

من كل طِرفٍ سابح طمَّاح مُناسِبٍ للبَرقِ والرِّياحِ

ورسم له صورة في خفقان القلب، وخفّة يد السارق [٧]:

أرقتَ أم نِمتَ لضَوءٍ بارقِ مُؤتَلِقٍ مثل الفؤادِ الخافقِ

---

(١) الديوان: ٥/٤٦٠-٦.
(٢) الديوان: ١/١٠٩.
(٣) الديوان: ٤/٤٤٠.
(٤) الديوان: ٥/١٣٥-٦.
(٥) الديوان: ٤/٣١.
(٦) الديوان: ٥/٨٤.
(٧) الديوان: ١/٢٩٤-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنه إصبَعُ كفِّ السارق يسوقُها الرَّعدُ بغير سائق

وقــد يجمــع البرق والرعد، ليشكّلا صورتين متضادتين، كالمنافق الذي يظهر غير ما يبطن [١]:

برقُهُ لمحةٌ ولكن له رَعــــ ـــــدٌ بطيءٌ يكسو المسامع وقرا
كخليٍّ منافق للّذي يَهــــــ ـــــواهُ يبكي جهراً ويضحك سِرّا

أمّا وصف الثلج، فقد اعتبر فيه الشاعر مجدداً؛ إذ " إنّ الثلجيات فن جديد، يظهر لأولّ مرّة، عند شاعري بني حمدان: كشاجم والصنوبري [٢] "، وتتجلّى صورة الثلج، من خلال أثره في الأرض، ولونه الأبيض الأثير لدى نفس الشاعر.

فــالأرض قد ازّينت، وتحلّت بالزبرجد والدُّرّ الأبيض، وأخذت تضحك، لكثرة ما تناثر على سطحها من ثلوج، وهي شائبة بسبب البياض الذي يغطيها، ولكنّها تُسَرّ بهذا الشّيب وتبتهج [٣]:

ثلجٌ وشمسٌ وصوبُ غاديةٍ فالأرض من كل جانب غُرَّه
باتــت وقيــعانها زبرجدةٌ فأصبحت قد تحــوّلــت دُرّه
كأنــهــا والثلوج تضحكها ثُعارُ مِمّن أحــبّــه ثــغــره
كــأنّ في الــجوّ أيدياً نثرت دُراً علينا فأسرعــت نــثره
شابت فَسُرَّت بذاك وابتهجت وكان عهدي بالشَّيب يُستكرَه

أمــا الأشــجار، فقــد تــزّينت بملاءةٍ بيضاء، تهتكها الرِّيح عمّا قريب، واستحال لون غصونها الخضراء، إلى أبيض، فهي كالدُّرّ على قضيب زبرجد، أمّا أغصانها العارية، السوداء كعــود الهند، فقد تحوّل لونها كذلك إلى الأبيض، وتعطّر الجوّ برائحة العنبر والمسك، استكمالا للفرح بقدوم الثلج [٤]:

أوفى على خُضر الغصون فأصبحت كالدُّرّ في قُضُب الزَّبَرجَد يُسلكُ
وتــزَيــنُ الأشــجــار مــنه مُلأءةٌ عمّا قليــلٍ بالرِّيــاح تُــهــتَّكُ
كــانت كــعود الهند طُــرِّي فانكفا في لون أبيض وهو أسود أحلكُ
والــجوُّ مــن أرج الهــواء كــأنَّهُ ثوبٌ يُعنــبــر تــارةً ويــمَسَّكُ

(١) الديوان: ٦/٤٤٢-٧.
(٢) مصطفى الشكعة ،فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص٣٦٢.
(٣) الديوان: ٢/١٥٦-٦ .
(٤) الديوان: ٤/٣٠٧-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وردت في شعر كشاجم، صور لعدد من الأنهار، كدجلة والفرات في العراق، وقُويق في حلب، والنيل في مصر [١]، التفت فيها الشاعر، إلى حركة النهر، وسيره باستقامة بعد اعوجاج، فاستدعى إحدى صور الطبيعة الحيّة، وهي صورة الأفعوان، وشبه حركة النهر بحركته. يقول في نهر قويق [٢] :

والنهر بين اعتدالٍ مِن سَيرِهِ أو تأوُّدْ
كأفعوانٍ تلوّى ثُمّ استوَى وتمدّدْ

كما التفت إلى حركة الأمواج، واضطرابها، بين صعود وهبوط. يقول في نهر النيل [٣]:

والنِّيل مستكملٌ زيادته مثل دروع الكماة منتثره
تغدو الزواريق فيه مُصعِدَة بنا وطَوراً تروحُ منحدره

ويقول في نهر الفرات [٤]:

وتارةً في الفرات طامية أمواجُهُ كالجبالِ معتكره

والشاعر، في هذه الصور، يعبّر عن المشقّة والمعاناة التي واجهته، أثناء رحلته في مختلف الأماكن والبلدان، لعلّه يجد ما يخفف عن نفسه آلام الحزن، ومصائب الأيّام.

ثانياً: الطبيعة الصائتة.

أ- **النبات.**

استخدم كشاجم أسماء بعض النباتات، وأوصافها، كالرّياض والأزهار والورود، والأشجار المثمرة، في رسم صور مختلفة، وهو في ذلك يوظّف معاني هذه الأسماء ومدلولاتها، توظيفاً فنياً في توضيح المعنى الذي يريده، والصورة التي يقصدها.

لقد أحب الشاعر الأرض الرّوضة كثيراً، فاتخذ منها موضوعات للكثير من الصور، التي تحتلّ من نفسه مكاناً مميزاً وجميلاً، مثل الرّوض في افتتانه وروعة منظره، وتناسق نباتاته وأزهاره، وكذلك كانت خطوط أجزاء القران [٥] :

وكأن الخطوط فيها رياضٌ شاكراتٌ صنيعة الأنواءِ

(١) الديوان: ٣/٣٠٠، ٣٢/٢٠٦، ١/١٣٠، ٢٥/٢٠٦ .
(٢) الديوان: ١٣/١٣١-١٤.
(٣) الديوان: ٢٥/٢٠٦-٢٦.
(٤) الديوان: ٣٢/٢٠٦.
(٥) الديوان: ١٠/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والــرياض الجميل مرتع للجميلات، يتخيّرن أزهاره وثماره، وهو مثال وجه الممدوح، في وضاءته وحيويته [١]:

في رياض الجمال يأخُذن ما شِئـــ ـــنَ من الــجُلَّنارِ والعُنّابِ
ورياض الجمال فـــي وجهه تُغـــ ـذى بماء العُلا وماء الشبابِ

ومن شدّة إعجابه بالرياض وألوانها، تصوّر النار على شاكلتها [٢]:

هَـلـمـّا بكانوننا جاحماً وقــولا لــموقــدنا أجّجِ
الى ان ترى لهباً كالرياض فناهيك من منظر مبهجِ

وللــصداقة أخــلاق، ينبغــي أن تكون رحبة ليّنة، يحدوها الرّضى والوفاق، وقد تمثّل ذلك في الروض [٣]:

وشبيه بالرّوض خُلقاً وبالقَطـــ ـــــــر نوالاً وراحة بالرّيح

وقد يتمثله الروض [٤]:

وروض عن صنيع الغيث راضٍ كما رضي الصديق عن الصديقِ

وقد اختصر الشاعر وصف جمال الروض، في رثاء طاووسه، فجعل الروض يسعى على قدَم [٥]:

وأي عُذرٍ لمُقلةٍ بَعدَ الــطّ طــاووسُ عنها إن لم تفض بدم؟!
رزئتُه روضــة ترفٌ ولم أســمع بــروض يســعى على قدم

كمــا اعتنــى بتــصوير الأزهار والورود، التي تزين الروض، وتعطّر الجوّ بأريجها الــشذيّ، وبخاصة في الغزل من أغراض شعره، فشبه بالنرجس عيون حبيبته، وخصّ البنفسج والجلّنار وشقائق النعمان والورد بلون وجنتيها، والأقاحي بثغرها الناصع [٦].

أمّــا الأزهــار ذوات الرائحة الطيّبة، فقد ذكر منها: الريحان والعرار والشيح، والسوسن والبهار، والرَّند [٧]، هذا في حالة فرحة، أمّا إذا اعتراه الحزن، فإنّ هذه الأزهار تفقد نضارتها ورائحتها، وتذوي شيئاً فشيئاً، إلى أن تموت. يقول في رثاء غلامه بشر [٨]:

يَذبُلُ شيئاً بعد شيءٍ كما يَذبُلُ بعد النَّضرة الياسِمين

---

(١) الديوان: ٦/١٦، ٢٦/١٧.
(٢) الديوان: ١/٦٥-٢.
(٣) الديوان: ٨/٩٧.
(٤) الديوان: ١/٢٨٦.
(٥) الديوان: ٥/٣٦٤-٦.
(٦) الديوان: ٢/٤٠، ٣/١٦٢، ٣/١٥٣، ٢/٤١٧ ، ١٠/١٣٠، ٢/٨٣ .
(٧) الديوان: ١١/٩٤، ٢/٢٢٥، ٣/٤٣٣ .
(٨) الديوان: ٣٧/٤٠٦-٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــأنّه فــوق حــشيّاته ريحانةٌ أبطأ عنها مَعِين
يا موتُ أخليتَ مكان الذي له مكانٌ في فؤادي مكين

والتفت الشاعر إلى حركة الأزهار وأوراقها، مثل أزهار النّيلوفر في نهر قويق، عندما تحركها الريح، فتغمسها في الماء، أو تخرجها منه، وقد شبهّها بالسُّرُج التي تطفئها شدة الريح، كما صوّر حركتها المتدرّجة، بفعل هبوب الصبا عليها، بحركة الشعر الأجعد المتموّج، وصوّر امتزاجها بأشعة الشمس، بامتزاج الفضة مع الذهب [١]:

كأنّ (نِيلوفَرَ) الزَّهـــ ـــــر فيه سُرجٌ تَوَقَّدْ
طــوراً تضيء وطوراً لِشِــدَّة الــريح تُخــمَدْ
إذا الــصَّبَا دَرَّجــته أرَتكَ شّــعراً مُجــعّــدْ
وإن تألّق للشَّمـــــ ـــس فيه ضَوءٌ مُوَردْ
حــسبــتَ أنّ لــُجــَيناً يُذاف فيه بــِعــَسجــَدْ

أمّــا أوراق النيلوفــر الخــضراء، فقد رسم لها الشاعر صورة جميلة، نابعة من التوهُّم والخــيال الخــصب، استدعى فيها آثار أخفاف الإبل، في تربة خضراء، بفعل الزمرد المنثور فوقها [٢]:

كأن أوراقه الخُضــ ـــرَ بين مَثنَى ومَوحَدْ
آثار أخــفــاف إبــلٍ في تُــربــة مــن زُمُــرّدْ

وكثيــراً ما يقرن وصف الروض بشرب الخمر، فصنوف الأزهار تزيّن الأرض بأجمل الحُلــل، وأطيب الروائح، وزهور شقائق النعمان، بلونها الأحمر، تطوّق المكان، وكأنها كؤوس مــن خرز أحمر، وبهذا يهيّئ الشاعر الأجواء لشرب الخمر، مع صديقه الظريف، متناسياً كل الهموم والأحزان[٣]:

أما ترى مــصر كــيف قد جُمِعَت بها صنوف الرِّياض في مجلِس ؟!
السوسن الغَضّ والبنفسَج والـــ ـــورد وصُفرُ البهار والنَّرجِس
كــأنــما الأرض ألــبــسَت حُللاً من فاخر العبقريّ والسـنــدُس
وقــد أحــاطــت بــهــا شــقائقها كأنّها مــن عــقائــق أكــؤُس
فــاشــرب عــلى الزهر من معتقة بحلية شبرويــة الــمــغــرس
وصــُل سَــورَة الــهــموم بــهــا مــع النّديم الظّريف والمؤنــس

(١) الديوان: ١٣٢/١٧-١٨ و ٢١-٢٣ .انظر في لفظة (نيلوفر) : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ،ص٨٦٩.
(٢) الديوان: ١٣٢/١٩-٢٠ .
(٣) الديوان: ٢٢٥/١-٢ و ٤-٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم الشاعر بالأشجار، وخصوصاً المثمرة منها، فالتفت إلى متانتها تارة، فكنى بها عن أصـــل ممدوحـــة الكريم " من عود نبعتك الكريم" [١]، والتفت إلى لين أغصانها تارة أخرى، فـــشبه بها قوام المرأة " خيزرانية المعاطف" [٢]، ووصف الكثيرمن ثمارها، كالرمان، والتين، والبطـــيخ، والـــنارنج وهـــو نوع من البرتقال، والأترج، والباقلاء، والأزاذ وهو نوع جيد من التمر [٣].

والشاعر في تصويره لهذه الثمار، يقصد إلى إمتاع الذوق والبصر، في أنٍ معاً، حتى تكون اللذّة أكبر، باشتراك غير حاسّة من الحواسّ فيها، ولهذا فإن طعم التمر عسل، وهو من الأنواع الجيدة، الأزاذ، وشكله يملأ العين، إذ لولا أنّ النوى تمسكه، لسقط على الأرض، فهو تمر ناضج يقطر كالعسل [٤]:

لِنا على دجلة نخـــلٌ مُنتَخَلْ ... نُسلِفُه ماءً ويقضينا عسلْ
وعَـــظـــمُ الأزادُ فيـــه ونَبُلْ ... فأمتع الأفواهَ منه والمُقَلْ
لولا النّوى يُمسِك منه لَهَطَلْ ... تعاقبته غُدوات وأُصُـــلْ

وكثيـــراً مـــا يـــصف الثمار بالجواهر الثمينة، كالعسجد وهو الذهب، واللجين وهو الفضة، واللؤلؤ، والزّبرجد، والدّرّ، والياقوت، وفي ذلك تصوير يجذب انتباه العين، ويزيد متعتها، ولعلّ الـــشاعر أراد أن يقدّر الطبيعة، التي تهب مادّة الحياة، بأثمن الأشياء وأنفسها. يقول في وصف الباقلاء ، مثيراً لحواس الشم والذوق واللمس والبصر[٥]:

مِسكِ الثّرى شُهدِ الجنى غض ندي ... ذي ورق يكحل عين الأرمدِ
أو كـــالفصوص في أكـــفّ الخُرَّدِ ... أو كبنات اللؤلؤ المـــنضـــدِ
في طـــيٍّ أصـــدافٍ مـــن الزّبرجد ... مفروشة بالكُرسُف المُـــزَبَّدِ

ويقول في وصف الرُّمّان، مبرزاً لونه الأصفر، ورائحته الزكيّة [٦] :

ولاح رُمـــّانـــُنـــا فزيّننا ... بين صحيح وبين مـــفتـــوتِ
من كل مُصقَرّةٍ مُزَعفَرَةٍ ... تفوق في الحُسن كلّ منعوتِ
كأنّها حُقـــّةٌ فإن فُتِحت ... فَصُرةٌ من فُصـــوص ياقوتِ

(١) الديوان: ٣/٢٢٧ .
(٢) الديوان: ٣/١٤٨ .
(٣) الديوان: ١/٤٧-٣، ١/٦٧-٢ ، ١/١٨٥-٥ ، ١/١٩٢-٢، ١/٣٢٤-٣ ، ٤/٣٢٥ ،٣/٣٢-٥، ١٣/٣١٨ .
(٤) الديوان: ١/٣١٧ ، ١٣/٣١٨ و ١٥ .
(٥) الديوان: ٢/١١٦ و ٥-٦ .الخرد : جمع خريدة وهي الفتاة الناعمة . الكرسف : القطن . المزبد : المنور والمنفوش .
(٦) الديوان: ١/٤٧-٣ .حقة : وعاء من خشب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقــد حــرص الشاعر، في رسم هذه الصور، على إبراز الألوان، فوصف التين الأسود والأبــيض والأصفر [١]، وصوّر شكله اللطيف، كبساط الأكل عندما يجمع من أطرافه الأربعة. يقول في وصف تين أسود وأبيض [٢].

أهــلاً بــتــين جاءنا مبتسماً عــلى طبــقْ
يحــكي الصباح بعضه وبعضه يحكي الغسقْ
كســفــرةٍ مــضمومة مجموعة بلا حــلــقْ

ونلحظ أنّ صور الثمار هذه، تقف عند حدود الحسّ، ولا تتعدّاه إلى مخاطبة الوجدان، فالقصد منها التظرّف، وإظهار المقدرة على رسم الصور الطريفة.

ب-**الحيوان:**

وصــف كشاجم في شعره حياة بعض الحيوانات، وصوّر نشاطها وحركاتها، وبخاصّة ما كــان يــتخذ وســيلة للصيد، كالخيل والكلاب والبازي والباشق والصقر، وهو" أكثر الشعراء الحمدانيــين قــولاً في الطّرد، وأدقهم وصفاً لجوارح الطير، فقد كان عالماً بها، خبيراً بأحوالها وأنواعها وأمراضها، ملمّاً بطريقة تدريبها، فألّف في ذلك كتاب المصايد والمطارد [٣]".

ولــم يــتّخذ الــصيد وسيلة للعيش والتكسّب، وإنما هو لدّة يمارسها، أو حرب يخوضها، فيخــرج مــنها منتــصراً على أعدائه، وقدوته في ذلك فعل الملوك، إذ إنّ " الفرق بين الملك المتــصيّد والقــانص المتكسّب، أنّ الملك هو الذي يطارد بخيله، وكلابه، وجوارحه، ويضجر الوحش ويؤذيها ولا يطلب غراتها، والمتعيّش بالقنص هو الذي يغتال بشباكه، وحبائله، ويخفي شخصه [٤] " . يقول كشاجم في لذة الصيد [٥] :

يا غدوات الصّيد ما أحلاكِ ومُنّة الشاهين ما أقوالكِ
لــم تكذبي فراسة الأملاكِ إياكِ أعني مادحاً إياكِ

١- الخيل:

وهي عنوان القوة في الحرب، وعنوان العزة والجمال في السّلم، اتخذها الشاعر مراكب له، وصوّر أجزاء جسمها تصويراً حسياً، فهي خيل جسيمة طويلة العظام " فوق ظهر سلهبة"

(١) الديوان: ١/٤٢٠-٢ ، ٣/٤٢١-٥ .
(٢) الديوان: ١/٢٩٧ ،٢/٢٩٨-٣ .
(٣) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص ٣٣١ .
(٤) كشاجم ، المصايد و المطارد ، ص ١٥- ١٦ .
(٥) الديوان: ١١/٤٩٣-١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــي قـــصيرة الشعر أصيلة "الجُرد الجياد " نحيلة الخصور، كالسهم قبل أن يراش وينصل " ضُـــمّر الأحشاء كالقداح " [١] أما عنقها الضخمة الطويلة ، فهي كالجذع المرتفع وفيه جحر للضبع [٢] :

وكأنمّا هاديه جِذع مُشرف وكأنمّا للضبع فيه وِجارُ

وإذا أخرجت ألسنتها من أشداقها، فإنها تشبه السيوف المستلّة من الأغماد [٣] :

تصفُ البيضَ والجفونَ إذا ما أخرجت ألسُناً من الأشداقِ

أمّـــا إذا جُـــرِّدت مـــن لباسها، فإنها تكشف عن جسم جميل، كأن تموجات متنه ثوبٌ مزركش بالذهب، وكأن جمال أذنيه خطٌ مفوّف في الورق [٤] :

كـــأنّ مـــتـــنـــيهِ إذا ما عنهما الجُـــلُّ كُـــشِـــطْ
مُـــلاءةٌ مـــــوشـــيـــةٌ فيها من الـــتّـــبـــر نُقّـــطْ
كـــــأنّ أذنـــيـــــهِ إذا ريع بشخص فاخـــتـــلطْ
أحسن ما يُكتَبُ في الـــ ـــقرطاس من "لا" إذ تُخَطْ

ولـــم يكـــتف الشاعر بهذا التصوير الحسّي لتفاصيل جسم الخيل، بل قدّم صوراً لصافتها المعنويّة، فهي كريمة "طِرف " تطمح بالفوز "طمّاح " وخالية من عيب "الحِرَان والحِمَاح" لأنها من "العتاق" وقد تمّ اختيارها " من أصول كريمة الأخلاق[٥] " وهي مطيعة سلسلة القياد، ولكنها متأهبّة لكل سرعة وقفز [٦] :

ماءٌ تدفق طاعة وسلاسة فإذا استُدِرّ الحُضرُ منه فنارُ

أمّـــا ما يقترن بصور الخيل من ألوان فنجد: الأسود الذي لا يخالط سواده لون اخر "ذي بُهمة" والخيل الأحمر والأسود " الكُمَيت" والأسود "أدهم"ولكن قوائمه وناصيته بيضاء " لولا الحجول والغرر "[٧] .

وقـــد صور الشاعر هيأتها عند المشي، وسرعة حركتها، وأطلق عليها أسماء تشي بذلك، مـــثل " ســـابح"لسبحها بيديها في سيرها و " طمّاح" و "الحُضر" عندما ترفع يديها أو جسمها أثناء الركض و "طِمِر" أي المستعدّة للوثوب و " رَهوٌ" لسيرها السهل و "ذو مَعَط " [٨]عندما

---

(١) الديوان: ٣/٥٤ ، ٣١/٢٠٦ ، ١٢١ /١٣ ، ٨/٨٤ .
(٢) الديوان: ٧/١٥٢ .
(٣) الديوان:٢٧/٢٨٠ .
(٤) الديوان: ٣١/٢٤٧-٣٢ ،٣٣/٢٤٨-٣٤ .الجل : ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٥) الديوان: ٥/٨٤-٦ ، ٢/٢٧٨ ، ٢٤/٢٨٠ .
(٦) الديوان: ٣/١٥٢ .الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه.
(٧) الديوان: ٧/٨٤، ١/١٥٢، ٢٧/٢١٤-٢٨ .
(٨) الديوان: ٥/٨٤-٦ ،٢٥/٢١٣، ٢٧/٢٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تــباعد بــين يديها ورجليها في العَدو، وهي دائماً تسبق الريح والبرق، وتندفع أقوى من موج البحر، وأشدّ من تَدفّق السّيل [١] :

وســابــحٍ نَهدٍ طَمِرْ ... لو سابق الرِّيح ظَهَرْ
أو ساجل البرق فَخَرْ ... أو كاثر البحر كَثَــرْ
أو بَادَرَ الــسيل بَدَرْ ... أدهمُ كالليل اعتكــَرْ

وهي كذلك خيل أصيلة، أسرع من لمح البصر، تهز ذنبها في السير وتختال، وهي عظيمة الخِلقــة، شديدة البأس، وكأن سنابكها أحجار، وعندما تركض، فإن الأحجار الصلبة تتطاير من تحــتها، وهنا يرسم الشاعر صورة طريفة للخيل، وكأنها تفرّ من نار اشتعلت في جسمها، فهي دائمة الحركة، سريعة العدو، ويشبّهها بكلاب الصّيد السّلوقيّة، التي تسبق بخفّتها وميض الخاطر فــي النفس، ولمح البصر في العين، والشاعر هنا كعادته في الصيد، يخرج في الصباح الباكر، مع صفوة أصدقائه [٢] :

وحــبّــذا يــومٌ بِكَرنابةٍ ... والفجــر أســفــر إســفاراً
وكــلُّنا مبــتهجٌ مُــــمتَطٍ ... طِرفاً يفوت الطرف خطّارا
كــأنّه مــن عظيم تركيبه ... صوّرُه الجــبــارُ جــبــارا
يخطو على صُمٍّ إذا حثّها ... ألقَت على الأحجار أحجارا
كــأنّــنا في وقت إرسالهِ ... نُضرِمُ في أعطافِــهِ نــارا
يــخُــبُّ خبّاباً ســلوقِيَّةٌ ... تفوتُ أوهاماً وأبــصــَارا

هــذا وقــد استبشر الشاعر بالخيل، وعدّها من الفأل الحسن، ففضّل ناصِيتها على عُرفها وذنبها، واستبشر بطالعها خيراً، كالذي يرتجى من المناصب الرّفيعة. يقول في وصف مِذَبّة [٣]:

ناصية الأدهم في عودها ... لم تكُ من عُرفٍ ولا من ذَنَبْ
وذاك فــــالٌ إن تــأمَّلتَهُ ... لِمَا تُرجي من نواحي الرُّتَبْ

٢- الكلاب:

لقــد كــان الشاعر يحبِّذ استصحاب الكلاب مع الخيل في رحلة الصيد، فهي إحدى وسائل الــصيد المهمّة، وقد صورّها الشاعر أدقّ التصوير، ووصف أجزاء جسمها، وألوانها، وهيأتها عند الصيد، ممّا يشي بمدى اعتنائه بها، وانتقائه لأجود أنواعها.

---

(١) الديوان: ٢١٣/٢٥-٢٦، ٢١٤/٢٧ .
(٢) الديوان: ٤٤٣/١١-١٣ ، ٤٤٤/١٤-١٦ .
(٣) الديوان: ٢١/٣-٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقــد صــوّرها الشاعر، وقد رُبطت بالسُّيور والحبال المتينة، بعدّة صور قوامها التشبيه، فضلوعها تشبه الأقواس المأخوذة من الشجر الصّلب، ولمعان أحداقها يشبه ضوء فتيلة السراج الطّــويل الحــادّ في إشارة إلى حدة أبصارها، ومقدرتها على مطاردة فريستها، أمّا شكل آذانها فيشبه السوط الذي يحمله الشرطي [١] :

فحبّذا مُستَصحباً ذاك وهذا مُرتَبَــط ْ
بأكــلُبٍ منوطةٍ بها الســيُورُ والمُقَط ْ
كأنــما ضلوعها قسيٌّ نَبعٍ لــم تُخَط ْ
كــــأنما أحداقها لمعُ الدُّبالِ المستَلِــط ْ
كأنّــمــا أذانــها أنصاف دِرّات الشُّرَط ْ

وهي كلاب ضخمة الذراعين والصّدر، نحيلة الوسط ضامرة الخصر، كأنها ممنوعة عن الغذاء، حتى تحافظ على سرعتها وخفّة حركتها، يقول الشاعر في صورة أحد الكلاب [٢]:

عبل الذراعَين عَظيــ ــمِ الزَّور مخطوفِ الوَسَط ْ

ويقول في صورة أخرى [٣]:

مــضــمر أحشاؤها كــأنــهــا لــم تغــذ قــط ْ

أمّــا مــا يــتعلّق بأشكال الكلاب وألوانها، فمنها ما هو مخطط الجلد، أو مُرَقّطه باللون الأصفر أو الأحمر [٤]. وقد صوّر الشاعر هيأتها عند الصيد، واستعار لذلك النشوة التي تفعلها الخمــر بالإنــسان، أو الاضطراب الذي يحدثه المجنون، ومن مَسَّهُ الجِنّ، وهي صور تنبض بالحياة والحركة، وتصف نشاط الكلب في مطاردة الصّيد، وكأنّه مُوكّلٌ بجلب الرِّزق للصيادين، مشروط بذلك العمل [٥]:

كــأنّــه مــن مــرح بعاتِقِ الرَّاحِ استُعِط ْ
أو شخص مجنون رأى عارض جِنٍّ فاختلط ْ
كــأنــمــا نــعــيــمنا فَرضٌ عليه مشتَرَط ْ

(١) الديوان: ٢٤٨/٣٥-٣٨ و ٤٠.المقّط : الحبال ،الذبال : فتيلة السراج ، المستلط :الطويل الحاد .
(٢) الديوان: ٢٤٨/٤٤ .
(٣) الديوان:٢٤٨/٣٩ .
(٤) الديوان: ٢٤٨/٤١-٤٣ .
(٥) الديوان: ٢٤٩/٤٥-٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممـــا يتـــصل بالصّيد، صورة البقر الوحشي عندما ترى الكلب، إذ تتبلد في مكانها من الخوف، وكأنها أصبحت مربوطة فيه، أمّا الوعول فإنّها توقن بأنّ الجبال لن تعصمها من الكلب، إذ سرعان ما سيفرّق جمعها،ويلتقط الذي يختاره منها،لينعم بأكلها الصيادون شواءً أو طبخاً [١]:

تبلَّـد الـوَحـشُ إذا عايـنـّه وتُـرتـبـط ْ
وتـوقن العُـصمُ إذا رأتـه أن سـوف تُحَط ْ
يُنـثـَرُ ما يُنفى وما يُختار منـها يُلـتقـَط ْ
توسعنا صيداً فمَطـبوخٌ ومشويٌ خَمِط ْ

هـذا وقد التفت الشاعر إلى صوت الكلب، ووظفّه في صور هازئة، الغرض منها الهجاء والسخرية، كما في قوله- ذامّاً قتلة الإمام الحسين، المتطاولين على حرمة آل البيت - [٢]:

إن عبتموهم بجهلكم سفهاً ما ضَرّ بدر السّماء نابحُه ْ

أو في قوله هاجياً من تطاول عليه [٣]:

اخـسأ لحاكَ الله كلبَ دناءةٍ كلباً يروحُ على النُّباح ويغتدي
يهدي المدائحَ للّئام فإنْ هجا فهجاؤُهُ أبـداً لأهـلِ الـسؤدَدِ

٣- البازي:

البـزاة وسـيلة الملـوك والأمراء المثلى في الصيد، وهي رمز العزة والقوة، فهي ملوك الجوارح [٤]، عرفت بالذكاء وسرعة الاستئناس؛ لهذا اقتناها كشاجم، وحفلت طردياته بصورها أكثر من غيرها من جوارح الطّير.

ومـن مظاهـر عـناية الشاعر بالبازي، صورة تأديب البازي في الصيد، وتأهيله لتلك المهمّة، فيتم اختياره من أفضل الأنواع، فهو متأهب للقيام والوثوب على الدوام [٥]:

وقد حملنا كُلَّ مُستَوفِزٍ أدّبه الحاذقُ واختارا

وهو أقوى من أقرانه، التي تنكص وتجبن عن قتاله؛ إذ ينتهز الفرصة المناسبة، ثم ينقض على فريسته [٦]:

أقرانه تنكلُ عن برازهِ يبادرُ الفرصة في انتهازهِ

---

(١) الديوان: ٤٨/٢٤٩-٥١ .
(٢) الديوان: ٢٩/١٠٠ .
(٣) الديوان: ١/١٢٢-٢ .
(٤) أبـو عبد الله الحسن بن الحسين ، البيزرة ، نظر فيه وعلق عليه : محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٥٣، ص٧٠ .
(٥) الديوان:٢٠/٤٤٤ .
(٦) الديوان، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٤/٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــو ذكـــي، أدرك المطلوب منه، واكتفى بالإشارة دون الحاجة إلى إثارته بالنغم، كقرع طبل ونحوه [١]:

فهمَ التأديبَ حتى لاكتفى بالإشاراتِ له دونَ النَّغَم

وقـــد اهـــتم الشاعر بتفاصيل جسم البازي، فصوّر أجزاءه تصويراً حسيّاً؛ قوامه التشبيه الهـــادف إلـــى الـــشرح والتوضيح، فجناحا البازي كالصحيفتين المتلاصقتين، ومقلته كالدينار الأصفر المستدير، ونظره لا يخطئ طريدته حتى يفتك بها، وقد علّق فيه جرس صغير، وكأنه ينذرها بالهلاك [٢]:

يَمـــُدّ متينين امتِداداً كما قرَنتَ بالطّومارِ طومارا
يَفتِقُ حِملاقين عَن مُقلةٍ يخالها النـــّاظرُ دينـــارا
صادقة تُعمِلُ لحظاً إلى مقاتلِ الطّائر نـــظّـــارا
مُـــخاتِلٌ لكنْ له جُلجُلٌ لم يَألُ إعذاراً وإنـــذارا

وفـــي صـــورة أخرى، يخص الشاعر البازيّ الأبيض بالوصف، وهو اللون المحبب لديه، ويـــتخلل هـــذا البـــياض بـــريق لامع، كالأثر الذي يحدثه العطرفي الثوب،أما مقلته فإنها تشبه الياقوتة،ومخالبه الحادة تعمل عمل السكاكين،وهو في سرعة انقضاضه على طريدته، أسرع من سقوط النجم، أو طرفة العين، حتى تغدو الطيور أسيرة بين يديه [٣]:

أبيضَ إلاّ لُمعاً فـــوق الفِـــرا كأنّها رشٌّ عـــبيرٍ فـــي مُـــلا
كـــأنّـــــما نـــاظرُهُ إذا سما ياقوتةٌ تهدى إلى بعضِ الـــدُّمى
كـــأنّمـــا نيطـــتْ بكفّيه مُدى أوحى من النَّجمِ إذا النجمُ هوى
أو رجعةُ الطَّرْفِ سما ثم انثنى تستأسرُ الطَّيـــرُ لـــه إذا بَـــدا

وهو يتعقب آثار الطير بسرعة السهم ، ويهوي عليها بمنسره الحادّ ، فيتلطخ بدمائها ، ثم يلتزم ظهرها فيحملها معه[٤] :

ساعة حتى إذا أطلقتـــُهُ مَرَّ فـــي آثارها مَـــرَّ الزَّلَم ْ
فانتحى أبعدَها ثم هوى وعلى المَنْسِرِ منهُ نضْحُ دم ْ
وهو مُوفٍ فوقها ملتزمُ ظهرها يا بئسَ ذاكَ الملتزم ْ

(١) الديوان، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٩/٤٥٧ .
(٢) الديوان: ١٨/٤٤٤ و ٢١-٢٣ .
(٣) الديوان، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٤/٣٣-٥ و ٧ ، ٨/٣٤ .
(٤) نفسه ، ١٢/٤٥٨-١٤.الزلم : السهم لا ريش عليه . المنسر : منقار الطير الجارح.النضح: رشاش الماء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــن صـــور سرعة البازي، واندفاعه في طلب طريدته، تشبيهه بشعلة النار المتوهجّة، التـــي تلـــتهم ما تراه في طريقها، وقد استدعى الشاعر هنا إحدى صور المجتمع، وهي صورة طلب الثأر، وخوف العار من عدم الوفاء به، وكذلك البازي في حرصه على الإمساك بطريدته، والظفر بها [١]:

كأنّـــه شـــعلة نـــارٍ إذا عاين فتخاء وحـــُشـــنارا
أو عـــربـــيٌّ فـــاتك ثائر يخاف في تقصيره العارا
فلم يزل في عجب عاجب يأخذ مـــادبّ وماطـــارا

ومما يتصل بصورة البازي، صورة الطير التي يطاردها، فما إن تراه حتى توقن بالهلاك، والموت المحقّق [٢] :

تستأسر الطير له إذا بدا
موقنة منه بحتف وردى

وهـــي ذلـــيلة ضعيفة، في مقابل عزّة البازي، بسبب إحرازه النصر عليها، وسرعته في قضاء الحاجة باصطيادها [٣] :

ضامن زاد جَدّ في إحرازه نَدباً هوان الطَّير في إعزازه

والـــبازي ينجح دائماً في مهمّته، ويفتك بطريدته من الطير، فترى آثار دمها على منقاره، وقد أمسكها من ظهرها، واستأصلها، فهو كالملك الذي يأمر ويحكم، فيطاع أمره، وينفذ حكمه[٤] :

فانتحى أبعدها ثم هوى وعلى المِنسر منه نَضح دَمْ
وهو موف فوقها ملتزم ظهرها يا بئس ذاك الملتزمْ
لم تزل تخترم الطيرَ به كُلّما حكّمتَهُ فـــيـــها حَـــكَمْ

ومن الطريف في صورة البازي، التفات الشاعر إلى الغزل، وتشبيه انحناء منقار البازي بخصلة الشعر المتدلّية على خدّ الفتاة، التي شبهها بولد الغزال [٥] :

كأنّما المنسرِ من حيث انحنى عَطفَهُ صُدغ خُطّ في خَدّ رشا

وقد شبه الشاعر سرعة زيارة حبيبه بسرعة البازي، الذي يختطف صيده كطرفة عين [١]:

---

(١) الديوان: ٢٤/٤٤٤-٢٥ و ٢٨ .
(٢) الديوان، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٨/٣٤-٩ .
(٣)نفسه، ٢٧٧/ ٣ .
(٤) نفسه، ١٣/٤٥٨-١٤ و ١٦ .
(٥) نفسه ، ٦/٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن بَين أن دنا وتناءى عنك إلاّ زمان خطفة بازي

٤- الباشق:

حــرص الــشاعر علــى تصوير الباشق تصويراً حسّيّاً، كما فعل في تصوير غيره من الجــوارح، وعمــد إلــى التشبيه الهادف إلى الشرح والتوضيح، مبرزاً الألوان، فصدر الباشق وريش جناحه،يبدوان وكأن فتاة جميلة قد خضبتهما، وأعضاؤه خفيفة وكأنها من هواء، ونحول جــسمه كنحول جسم العاشق المحبّ، ومقلته الصفراء من ذهب، وقد زُيّنت هامته بريش جميل، وكأنّــه حدائــق غنّاء، أمّا مخالبه الحادّة، فهي معقوفة كالأهلّة،وقد سالت الدماء من يدي حامله بسببها [٢] :

نُــبِّئتُ عندك باشقاً متخيَّرا للصَّيد لم يُرَ مِثْلُهُ من باشقِ

وكأنّ جُؤجُؤَهُ وريش جناحيه خُضباً بنقش يد الفتاة العاتقِ

وكأنّما سكن الهوى أعضاءَهُ فأعّارهنّ نحول جسم العاشقِ

ذا مــُقــلةٍ ذهبــية في هامةٍ محفوفةٍ من ريشها بحــدائقِ

ومخالبٍ مــثــل الأهلّة طالما أدمّين كفَّ البازيار الحــاذقِ

وفي صورة أخرى، يشبّه صوره بالزخارف التي تجمّل الثوب المصبوغ، ويشبّه مقلته المستديرة بالخاتم من ذهب [٣] :

كأنّما جُؤجُؤُهُ وَشيٌ مَحُوكٌ في نَمَطْ

كــأنّما مقلتُهُ فصٌّ من التِّبر خُرِطْ

أمّا سرعة طيران الباشق، وشدّة انقضاضه على الطيور، فقد شبهه الشاعر بالكوكب الذي يــسقط من السماء، والسهم الذي ينطلق من القوس، وهو يتبع الطّير كيفما اتجه، حتى ينجح في اصطياده [٤] :

كالكوكب المنقضّ أو سهمٍ من القوس انخرطْ

يهــبــط بالطير معاً إذا عــلا ثــمّ هَــبــَطْ

ويشبه سرعته كذلك بالريح و وميض البرق [٥]:

وإذا انبرى نحو الطريدة خِلتَهُ كالرِّيح في الإسراع أو كالبارق

---

(١) الديوان : ٣/٢١٧ .
(٢) الديوان: ٤/٢٩١، ٦/٢٩٢-٩ .
(٣) الديوان: ٥٤/٢٤٩-٥٥ .نمط: ثوب مصبوغ .
(٤) الديوان:٥٣/٢٤٩ و٥٦ .
(٥) الديوان: ١٠/٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد صوّر الشاعر الباشق بهيئة القائد الهُمام، ذي الحماسة والمروءة والكبر والفخر،وهو ما تدلُّ عليه لفظة "نخوة"، في مقابل الكره والبغض لأعدائه، وهو ما تدل عليه لفظة "سخط"، واستعمل للصّيد به لفظة "غزا" التي تعني السير إلى قتال العدوّ وانتهابه، كما استعمل لنتيجة الصيد لفظة " أردى" التي تدل على هلاك الأعداء والفتك بهم، والظّفر في نهاية القتال[١] :

وباشق ذي نخوةٍ على الطيور ذو سَخَطْ
غزا فأردى حَجَلاً منها ودُرَّاجاً وبَطْ

ولعلّ الصورة السابقة، وغيرها الكثير من صور الصّيد، توحي بما يجول في أعماق كشاجم، من رغبة في النَّيل من أعدائه، وطموح إلى الظفر بهم، لأنّ الصّيد في حقيقته صورة من صور الحرب، أمّا أن يكون كشاجم قد خاض حرباً حقيقة، فهذا لا دليل عليه فيما اطلعنا عليه من شعره وسيرة حياته.

٥- الصقر:

اعتنى كشاجم بالصقر،واستعمله وسيلة من وسائل الصّيد، فأدّبه ودرّبه بنفسه، وأكسبه مهارة الانقضاض على طريدته، وقد خصّ نفسه بالصقر الأحمر، إذ يُحمد من الصَقر أنّ يكون أحمر اللون، " والمعروف عن الصّقر أنّه من الجوارح بمنزلة البغال من الدّوابّ، لأنّه أصبر على الشدّة، وأشدُّ إقداماً "[٢] .

وقد صوّر الشاعر أجزاء جسم الصقر تصويراً حسياً، قوامه التشبيه، فهو أجدل بمعنى محكم الفتل، قوي قادر على الفتك بالظباء والبقر الوحشي " والعرب تحمد من الصقور ما قرنص وحشياً، وتذمّ ما قرنص داجناً[٣] "، وهو قصير الذنب؛ إذ يحمد من الصقر أن يكون قصير الذنب، أمّا أجنحته فقويّة، ويشبه ريشها قوادم النّسر، أو السيوف القاطعة، وصدره مُرَقّط، يشبه النقط في الحروف المكتوبة، وقد نال عناية الشاعر، فصار نحيل الجسم سبّاقاً، يخرج به إلى الصيد، كعادته، في الصباح الباكر [٤] :

غدونا وطرف النجم وسنان غائر وقد نزل الإصباح والليل سائِرُ
بأجدلَ من حُمر الصقور مُؤدّبٍ وأكرم ما قرّبت منها الأحامِرُ
جريٌ على قتل الظّباء وإنّني ليعجبني أن يكسرَ الوحشَ طائرُ
قصير الذُّنابى والقُدامى كأنها قوادم نَسرٍ أو سيوفٌ بواترُ

(١) الديوان:٥٢/٢٤٩ و ٥٧ .
(٢) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٣٣١ .
(٣) كشاجم، المصايد و المطارد ، ص ٨٤ .
(٤) الديوان: ٣/٤٨٣-٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورُقّــشَ مــنه جــؤجؤٌ فــكأنَّه أعارته إعجام الحروف الدفــاترُ
فما زلت بالإضمار حتى صنعتُهُ وليس يحوزُ السَّبق إلاّ الأضامِرُ

كمــا صوّر طائراً آخر من جنس الصقر، وهو الشاهين، في صيده لطيور الكراكي، فهو مــدرّب مــؤدّب في الصّيد، مُلملم الهامة، يشبه الرجل الشجاع الذي يلبس سلاحه، ولكنّ سلاح الــشاهين هو المنقار الحادّ، والمخالب القويّة الفاتكة، حتى إذا رأته طيور الكراكي، فإنها توقن بالهلاك، إذ سرعان ما يتركها تترنّح على الرّمال، أسيرة فلا فكاك لها، وبفعله هذا استحقّ مدح الشاعر وثناءه [١] :

مــؤدّب الإطلاق والإمساك ململَم الــهامةِ كالــمــَداكِ
مثل الكَمِيِّ في السلاح الشاكي ذي مِنسر ضخم له شكّاكِ
ومخــلــب بــحــدّه بــتــّاكِ للحُجب عن قلوبها هتّاكِ
حتــى إذا قــلــت لــه دَرَاكِ وحلّقت تسمو إلى الأفلاكِ
مُــمــتَدّةِ الأعنــاق والأوراكِ مُوقنةً بعاجــل الــهــلاكِ
غــادرها تــهوي على الدِّكاك أسرى بكفّيه بلا فــكــاكِ
يــا غــدوات الصيد ما أحلاكِ ومُنّة الشاهيــن ما أقواكِ

ومن الملاحظ هنا، أنّ هذه الصور التشبيهيّة تهدف إلى الشرح والتوضيح والمقارنة، وتقف عند حدود الجزئية، دون أن تلتحم معاً في كلّ متكامل، إذ بإمكاننا في هذه الصور أن نقدّم ونؤخرّ ونحذف ما نشاء، دون أن يخلّ ذلك بالمعنى.

٦- بقية الحيوانات:

وردت فــي الديوان أبيات من الشعر تصف بعضاً من الحيوانات، غير تلك المستعملة في الــصيد، وقد وظّفها الشاعر في العديد من الصور الناجحة، والتفت إلى تصوير أجزاء جسمها، بما يخدم الغرض الشعري التي جاءّت بصدده.

فهو عندما يشير إلى سعة علمه، يفتخر بعجز الجمل الضخم المرتفع السّنام، الأكوم، عن حمل الصحف التي أودعها هذا العلم [٢] :

أو مُوعِياً صُحُفي سِوى ما أبتغيه من الجُــماهِــر ْ
لجمعتُ مالا يستقّلــــــــ ـــلُ بحمله كُومُ الأباعِر ْ

(١) الديوان: ٥/٤٩٣-١١ .الدّكاك : جمع الدكة وهي ما استوى من الرمل .
(٢) الديوان: ٤/١٩٢-٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا عندما يهجو شخصاً، فإنّه يقرن ما بين الغارب، وهو الظهر ما بين السنام والعنق، والمنسم، وهــو خفّ الجمل، فيكنّي بالأول عن المجد، ويكنّي بالثاني عن الذل، نافياً أن يتطاول عليه أحد في العلم [١] :

إن تكُ ذا علمٍ فمن ذا الذي مثل الذي تعلمُ لــم يعــلــم ؟

ولستَ في الغارب من دولةٍ ونحن من دونك في المَنسِم

وكثيراً ما يكني عن المرأة بالغزال والظبي والريم والرّشا والشادن، وهي ولد الغزال، أو المهــاة، وهــي البقــر الوحشيّ[٢]، فهي صور تعكس جمال المرأة، ورشاقتها، وحور عينيها، وبــياض جــسمها، أمّا الرجل فقد اتخذ له صورة الأسد، في معرض الفخر والمدح، ونوّع في الأســماء الدالّــة علــيه، كالهزبر والضيغم، والليث[٣]، ولكلٍّ من هذه الأسماء دلالة نفسيّة لدى الــشاعر، رســم من خلالها صوراً تقليدية للمدوح، ولكنّه قصد إلى التجديد في بعضها، بتغيير الأوضاع المألوفة عن الأسد وتبديلها، نحو قوله [٤] :

وعانق الليثُ ظبيَ الــــ ـــــكِنَاسِ في مَيسِ مُجسِدِ

فلــيس هــناك أحد رأى الأسد.، الليث، بهذه الوداعة واللطافة، بحيث يعانق الظبي، ولكن الشاعر تركنا نتخيّل ذلك، ونتأمّله، ليقدم لنا صورة عن فخره بنفسه، وغزله بمحبوبه، وعلاقتهما اللطيفة معاً.

وقــد كــره الشاعر من الحيوانات القرد والفأر لقبحهما، والحمار لبلادته، والضفدع لقبح صــوتها،ووظف ذلك في صور الهجاء الساخر [٥]، بينما أعجب بالكَبش والبرذون والنمر [٦]، واتخذ منها موضوعات في العديد من الصور المعبّرة عن دخيلة نفسه.

أمّــا الطيور فقد اهتمّ بها الشاعر، إذ طرب إلى تغريدها، واستوقفه حسن صوت الهزار، وغــناء الحمــام [٧]، كمــا التفت إلى أجنحتها، فشبّه شراعي السفينة بالقوادم المنشورة، وشبه المجاديف بالقوادم غير المنشورة. كما في قوله يصف السفينة [٨] :

طارت إليك تطايُراً بقوادِمٍ منشورةٍ وقوادمٍ لم تُنشَرِ

---

(١) الديوان: ٥/٣٧٥-٦ .
(٢) الديوان: ١٤/٧٥ ، ٢/٣٤٤ ، ١/٣٥٠ ، ٢/٢٩، ١/١٦٦، ٢/١٥ .
(٣) الديوان: ١٢/١٨، ٢٤/٤، ١٧/١٩ ، ٢/١٢٠ .
(٤) الديوان: ٣٢/١٣٣ . الكناس : بيت الغزال في الشجر .
(٥) الديوان: ٤/٣٤ ، ٤/٤١٨ ، ٤/١٨٤ ، ١/٢٦٩ .
(٦) الديوان: ٢٦/١٠٠ ، ٢٨٨، ٤٧٧ .
(٧) الديوان: ١/١٢٩ ، ٩/١٥٤، ٦/٥٣.
(٨) الديوان: ٥/٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستغلّ قوة ريش القوادم، في التعبير عن قوّته، وكنّى عن أطفاله الصّغار بالأفراخ ليّنة الرّيش[١]:

ولي قوادم لو أنّي جدفتُ بها لأنهضتني ولكن أفرخي زُغُبُ

أمّا حالتها عندما تبيض، فقد رسم لها الشاعر صورة طريفة ساخرة، صوّر فيها حالة من أذهله الجمال وافتتن بصاحبه، حتى كاد أن يبيض من شدّة الشوق إليه [٢]:

لو رأت عيناك من صـــا حبه طرفاً غضيضا
وثـــنأيـــا واضـــحـــات كبنات الـــدرّ بيضا
كـــدت مـــن شـــدّة شـــوق وافتنانٍ أن تـــبيضا

وقد استعمل بيض النعام، في التعبير عن الذّلة والمهانة، وصغار الشيء بعد أن كان عزيزاً [٣] :

يمتطين الخوان أرؤس خِرفا نٍ وينزلن عنه بيض نَعامِ

كمـــا صـــوّر العديـــد من الطيور، كالطاووس والقُمريّ في رثائهما، والديك الصدوح في معرض مدحه إيّاه [٤].

والـــتفت الشاعر إلى الحشرات، فاتخذ من آثار مشي النّمل والدّبى، وهي أصغر ما يكون مـــن الجـــراد والنمل، عدّة صور، تكشف عن دقة ملاحظته، وسعة خياله، فشبه كلمات القرآن الكريم بأثر النمل على جسد الفتاة الليّنة الجلد [٥]:

مثل ما أثّر الدّبيبُ من النمـــ ـــلِ على جلد بَضّةٍ غيداء

وشبه أهداب المنديل الرفيعة، بأيدي النمل التي تركت آثارها على التراب الناعم [٦]:

كأنّما مفتولٌ أهدابها أيدي دَبىً في نَسَقٍ مُزوَجَه

والتشبيه نفسه ينطبق على أثر البزر الأسود في فصّ البطيخ [٧]:

يظنّه الناظر إن تقرّرا دَبّ الدَّبى بمتنه فأثّرا

وكذلك في حدّة سيفه ومضائه [٨]:

كأنّ نملاً دارجاً صَاعَدَ فيه وانهبَطْ

(١) الديوان: ٣/٢٣.
(٢) الديوان: ٨/٢٣٥-١٠.
(٣) الديوان: ٦/٢٥٨ .
(٤) الديوان: ٣٦٤، ٢٠١ ،٢/٩٣ ، ٤٧٠ .
(٥) الديوان:١٦/٧ .
(٦) الديوان: ٥/٦٣ .
(٧) الديوان: ٤/١٨٥ .
(٨) الديوان: ٢٣/٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جعل الشاعر من الحشرات مصدراً لضرب الأمثلة [١]، كما في المثل القائل: "الذباب علـــى المـــاذيّ وقاع" ،وقد أحسن استخدامه، عندما هجا أعداءه بأنهم الذّباب، ومدح نفسه بانّه العسل [٢]:

وَجَلّ قدري فاستحلُّوا مساجلتي إنّ الذباب على المادّي وقاعُ

ومن الأمثلة الأخرى، التي جاءت صورة الحيوان موضوعاً لها، المثل القائل: " أخشن من قنفذ" لأن الشوك يكسو جلد القنفذ، وقد شبه الشاعر قشر البطيخ به [٣] :

بظاهرٍ أخشَنَ من قنفَذٍ وباطِنٍ ألْيَنَ من زُبدِ

أمّـــا الجمـــل وشدّة صبره وتحمُّله، فقد جاء المثل باقتران الليل به، لأنّه يتسع للكثير من الأعمـــال، بخـــلاف النهار الذي تكثر فيه الشواغل، يقول المثل "اتّخذ الليلَ جملاً" ،وقد تمثّله الشاعر في قوله [٤]:

أتخذ الليلَ جَمل حُمِّلَ الليلُ حـــَمَل ْ

آمَنُ فيه زائراً يَشغَلَني عن الشَّغُل ْ

وممـــا يدلّ على اعتناء كشاجم بالحيوان، معرفته بطباعها الغرائزيّة، وتوظيف ذلك في صـــور تخدم الغرض الذي يقصده، فهو عندما أراد أن يقنع أحدهم بالسّماع، ضرب له مثلاً في الإبـــل، التي تستمع إلى غناء الحُداة، وتطرب له، فلا تشعر بالتعب، حتى لو قطعت الصحاري الواسعة [٥]:

إن كنت تنكر أنّ في الـــ ـــألحانِ فـــائـــدةً ونـــفـــعا

فـــانظر إلى الإبل التي هي وَيك أغلظُ مـــنك طبعا

تـــصغي لأصوات الحُدا ةِ فتقطـــعُ الـــفلواتِ قطعا

وتذهل عن الماء الذي حرمت منه لعدّة أيام، تشوُّقاً إلى سماع الأنغام والألحان [٦]:

ومـــن العجائب أنّهم يظمونـــها خَـــمسـاً وَرَبـــعا

فـــإذا تـــورّدت الحِيا ضَ وشارفت في الماء كَرعا

وتشوّفت للصَّوت من حادٍ تُصـــيـــخُ إلـــيـــه سَمعا

دُهِلت عن الماء الذي تـــلـــتـــدُهُ بَـــرداً ونَـــفـــعـــا

(١)انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص ٧٨٨- ٧٨٩.
(٢).الديوان: ٣/٢٦٣ .
(٣)الديوان: ٤/٤٢٢ .
(٤)الديوان: ١/٣٣٣ و ٣ .
(٥)الديوان: ١/٤٥٤-٣ .
(٦) الديوان: ٤/٤٥٤-٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــوقاً إلى النّغم التي أطربنها لـــحـــناً وسَمعا

وإذا أراد أن يـــصوّر ذكاء غلامه بشر، في التوفيق بين سائر غلمانه، ومراعاة شؤونهم المخـــتلفة، ضـــرب لذلك مثلاً في طبيعة الضبّ والنّون أي الحوت، فالأول حيوان صحراوي، والثاني حيوان مائي، فهما لا يجتمعان أبداً [١]:

سائسُ غلمانٍ رفيقٌ بهم رفقاً تواخى فيه ضبٌّ ونون ْ

وإذا أراد أن يقـــنع ولـــده، بضرورة برّه والإحسان إليه، حتى يجتاز السّراط، وينجو إلى الجـــنّة، ضـــرب له مثلاً في طبع الطيور الكراكي التي تبرّ آباءها عند الكبر، وطيور الوطواط التي تبرّ أبناءها فتحملها معها أينما توجّهت [٢]:

اتخِذ فيّ خلّة في الكَراكي أتّخِذ فيك خِلَّسة الوَطـــواطِ

أنـــا إن لم تبرّني في عناءِ فببرّي ترجو جواز السراطِ

ولعلّ كشاجم، فيما تقدّم من صور الطبيعة في شعره، يكشف لنا عن مشاعر نفسه، ورقة أحاسيسه، وانصرافه إلى تأمُّل الكون من حوله، لعلّ ذلك يخفّف عنه،ما لاقاه،من ألام و أحزان، ويـــأذن لـــه بالانتصار على مّن آذوه، ولو كان ذلك الانتصار معنوياً، فقد ظلّت الطبيعة مصدر إلهام للشعراء، يأوون إليها، فتنشر لهم الأمن والسلام.

---

(١) الديوان: ١٤/٤٠٤ .

(٢) الديـــوان، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ١/٣١٧-٢. انظر: ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صورة المجتمع والحضارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صـــورة المجتمع و الحضارة

الرؤية الاجتماعية و الثقافية :

يعـــيش الإنسان ضمن مجتمع تسوده تقاليد و أعراف و قيم ، وعلاقات متباينة ، بعضها إيجابـــي يسعى إلى المحافظة عليها ، وبعضها الآخر سلبي يرغب عنها ، و يتعامل معها على حذر ، و بين هذا و ذاك ، يحاول الشاعر أن يقدم تصوراً عن المحيط الذي عاش فيه ، وتفاعل مع أفراده ، مما أكسبه القدرة على تحقيق ذاته ، و تشكيل نظرته إلى الحياة من حوله .

و كـــشاجم قـــبل كل شيء ابن بيئته ، يحرص على العادات الاجتماعية التي شهدها في عصره ، كتبادل الهدايا بين الأصدقاء ، فقد أهدى مذبة و فصاً و مرآة [١] ، و دعا أحد أصدقائه إلى أن يهديه بَرْكاراً و مسطرة ، كما تقبل مشطاً أهدي إليه [٢] .

وللشاعر نظرة خاصة في ذلك ، إذ إن الهدية تعبر عن مقدار مهديها[٣] :

إنّ هدايا الرجال مخبرة　　عن قدرهم قللوا أو احتفلوا

وهـــي تتناسب و المهدى إليه ، وهنا نلحظ مقدرة الشاعر الفنية على التقاط الحركات و الأفعال من حوله ، ومن ثم توظيفها في صور معبرة ، فحركة المذبة تتناسب و أفعال صديقه المحمودة فـــي الذبّ و الدفاع عن الصالحين ، و المذبة و إن كانت قليلة المقدار ، و لكن قيمتها تكمن في أنها مهداة من حبيب إلى حبيبه[٤] :

مذبّة تهدى إلى كل سيّد　　مازال عن كل ولي يذبْ

قليـــلة المقـــدار لـــكنّها　　أكثر منها أنّها من محبْ

كمـــا تـــستوقفه عـــادة النظر في المرآة ، و تأمل محاسن الوجه ، ليعبر عن قيمة المرآة المهـــداة ، و يـــصور من خلالها وجه ممدوحه ، الذي يفوق جمال البستان ، ويشبه المرآة في النصاع و الصفاء[٥]:

أيُّ شيء أهـــدي لأحسن شيء　　قرن الـــحسن فيه بالإحسانِ ؟

فرأيت الأشياء تقصر عن وجـــ　　ـــه علا أن يرى له من مداني

---

(١) الديوان : ١/٢١، ٧/٣٩٠، ٦/٣٩٨-٧.
(٢) الديوان : ١٥/٢٥-١٦، ٣/٣٢٢، ١٢/١٢١.
(٣) الديوان :٢/٣٢٢.
(٤) الديوان : ١/٢١و٧.
(٥) الديوان : ٤/٣٩٨-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعثت التي يرى منه فيها ما لا يراه في البستانِ
بمرآة إلى مرآة تهادى الـ ـحسن منها ومنه مرآتانِ

ومن العادات الاجتماعية التي حرص علها كشاجم ، احتفاله بالأعياد كل حسب التقاليد المتبعة فيه ، كما في عيد النوروز ، الذي اختص بصب المياه و إشعال النيران[١] ، وعيد المهرجان ، وما يلزمه من مظاهر البهجة ، كتبادل الهدايا والدعوة إلى اللهو وشرب الخمر ، ومثله في عيدي الفطر و الأضحى[٢] ، أما ليلة ميلاد السيد المسيح ، فقد أحياها كشاجم بطبخ الطعام على النار ، و إعداد صنوف الفاكهة في الأطباق ، و الشراب و السماع إلى الموسيقى و أصوات الغناء[٣] :

وليلة ميلاد عيسى المسيـ ـح قد طالبتني بميثاقها
فتلك قدوري على نارها مفاكهتي فوق أطباقها
وبنت الزمان فقد أبرزت من الخدر تجلى لعشاقها
وقد قامت السوق بالمسمعات وبالمسمعين على ساقها

و الشاعر هنا يقدم لنا صورة عن عمق علاقته بأفراد المجتمع ، فهو يشارك الفرس و المسلمين و النصارى أعيادهم و مناسباتهم الاجتماعية ، و الهدف من وراء ذلك هو تحقيق الفرح و اللذة الحسية ، وهو ما يمثل الجانب اللاهي في حياة كشاجم ، حتى إنه ليفضل لذته تلك على أعياده القومية و الدينية[٤] :

ورب يوم قطعت فيه عظيم قدر جليل ذكرِ
أحسن من يوم مهرجان و يوم أضحى و يوم فطرِ
أتبعت إثم الهوى بإثم فيه ووزر الصبى بوزرِ

ومن العادات الاجتماعية الجيدة ، إكرام الضيف و البشاشة في وجهه و تقديم القرى بين يديه ، وهذا من علامات الجود التي اشتهر بها كشاجم ، حتى إن حرف الجيم في اسمه مأخوذ منه ، وفي ذلك يقول[٥] :

و أتبعت القرى و جهاً كساه البشر تبهيجه ْ

(١) الديوان : ١/٣٨٦-٢.
(٢) الديوان : ٢/٣٩٧، ١/٣٦٩-٢.
(٣) الديوان : ٣/٢٩٦-٦.
(٤) الديوان : ١٤/٤٢٥-١٦.
(٥) الديوان : ٢٨/٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موطن آخر ، يشبه لمعان الفص بلمعان وجهه الكريم ، عندما يقصده أحد الضيوف[١] :

متألّقٌ فيه الفِرَنْدُ كأنهُ وجهي غداةَ قرىً و ضيفٍ قاصدِ

وفـــي بـــاب الفخر ، يكون إكرام الضيف ، جنبا إلى جنب ، مع إغاظة الأعداء و إعزاز الجار و صون الأعراض ، مما يعني أن له الحرمة في المجتمع[٢]:

الفخرُ أنْ يشجي الفتى أعداءَهُ و يعزَّ جارهْ

و يذبَّ عن أعـــراضهِ و يشبَّ للطرّاقِ نارهْ

و في المقابل ، هناك عادات اجتماعية واعتقادات سيئة ، كالحسد و الإصابة بالعين ، وقد كان كشاجم يؤمن بذلك ، و بمقدرته على إلحاق الأذى بالمحسود ، وهذا ما حصل لغلامه بشر ، الذي كان مميزا في جميع أعماله ،فأصابته العين و أردته ميتاً و تركت سيده حزيناً حسيراً [٣] :

عينٌ أصابتهُ فـــلا مُنِّعَتْ و العينُ لاتغفلُ عنهُ العيونْ

وكيف حالي بعدَ من هذهِ صفاتُ هذا الخيرِ فيه يكونْ ؟

و يـــرى أن الاستعاذة من شر الأعين تكون بعيب واحد ، من بين المحاسن الكثيرة التي يتحلى بها الإنسان الكامل ، وهذا من تمام الثناء على محبوبه الذي خلا من العيوب تماماً ، فلو كان فيه عيب واحد لكان ذاك له وقاية من الحسد [٤]:

يا كـــاملَ الآدابِ منفردَ الـــعُلا و المكرماتِ ويا كثيرَ الحاسدِ

شَخَصَ الأنامُ إلى جمالكَ فاستعذْ من شرِّ أعينهم بعيبٍ واحـــدِ

ويقول في موطن آخر[٥] :

قد قلتُ حينَ تكاملتْ و غدتْ أفعاله زيناً من الزَّينِ

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلـــى عيبٍ يوقيهِ من العينِ

ومـــن العـــادات والاعتقادات السلبية التي توقف عندها كشاجم ، ما يشيع في المجتمع من الأخذ بالثأر ، وإخلاف الموعد ، وزجر الطير تفاؤلاً أو تشاؤماً ، و الاعتقاد بوجود كواكب للـــسعد و أخـــرى للنحس[٦] ، ولم يكن بمنأى عن ظاهرة الشعوبية ، إذ " يلمس الدارس لديوانه ضـــرباً مـــن الـــشعوبية الهادئـــة " [٧] ويتضح ذلك من خلال مدحه لرفاقه في رحلة الصيد ،

---

(١) الديوان : ٢/١٠٥.
(٢) الديوان : ١١/١٨٩-١٢.
(٣) الديوان : ٤٣/٤٠٧-٤٤.
(٤) الديوان : ١/١٠٤-٢.
(٥) الديوان : ٣/٣٨٦-٤.
(٦) الديوان : ٢٥/٤٤٤، ١/١٠٧-٢، ٢١/١٩، ٨/٨٢.
(٧) سعود محمود عبد الجابر ، الشعر في رحاب سيف الدولة ، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهم " من آل ساسان صبر " ، و حرصه على الاحتفال بأعياد الفرس كالنوروز و المهرجان[١] ، بالإضافة إلى فخره الدائم بأصله الساساني الفارسي نحو قوله[٢] :

وأنا ابنُ فرسانِ الرِّما ح ِ معاً و فرسانِ الصّفــاحِ
قومي بنو ساسانَ ليــ ـــسَ حِماهُمُ بالمستبــاحِ
العاقدو التيجانِ تَضْــ ـحَكُ عن وُجوهِهِمُ الصِّباحِ

كمــا أنه استعمل بعض الألفاظ الفارسية ، و حاد عن مثيلاتها من العربية ، ففضل لفظة " باغ " الفارسية بمعنى بستان ، و " دَيْكَدان " بمعنى الموقد ، و " الدَّسْتَجة " بمعنى المنديل[٣] ، و " اسْــبَهْرَقي " بمعنى اللون الأزرق[٤] ، وغيرها من الألفاظ في غير موضوع تطرق إليه في شعره ، و لعل شيوع تلك الألفاظ الفارسية دفعه إلى استعمالها ، و لكن ذلك مبرر غير كاف ما دام يجد المعنى المقابل لها بالعربية[٥] .

وعلى كل حال ، فقد وقف كشاجم من مجتمعه موقف الناصح الأمين ، فدعا إلى الأخلاق الحــسنة ، كحفــظ العهــد ، و الصبر على تحصيل الرزق ، و ستر عيب الصديق ، و عدم الرضـــى عن النفس بغية حثها على طلاب المعالي من الأمور[٦] . ونفر من الأخلاق القبيحة ، كالحقــد و الغــش و الكبر و السرقة ، و إذلال النفس في سؤال الناس دون سؤال الله سبحانه و تعالى [٧].

و الشاعر هنا يعبر عن خفايا المشاعر و الأحاسيس بدقة متناهية ، ويصور سلوك الناس تجــاه من يطلب منهم حسنة أو معروفاً ، إذ سرعان ما تضيق النفس و تبخل خوفاً من الفقر ، و لــذلك فإنــه يــتوجب على السائل أن يطلب من الله وحده ، إرضاء له و استجابة لأمره لنا بدعائه و مناجاته ،و ما أجملها حكمة ، وأشعرها ، يقول كشاجم[٨] :

لا تسألِ الناسَ شيئا و اغْدُ مُعْتَصِما باللهِ تلقَ الذي أمَّلْتَ من أمَــلِ
فالنــَّاسُ تُغْضِبُهــُمْ إمَّــا سألتَــهُمُ و اللهُ تُغْضِبُهُ إنْ أنتَ لَمْ تَسَلِ

أمــا مــن الناحــية الثقافــية ، فقد أشرنا إلى أن كشاجم قد نشأ في عصر يزخر بالعلوم و الآداب و الثقافات المتنوعة ، ولقد رأى كثير من النقاد ضرورة استيعاب الشاعر لجوانب شتى

(١) الديوان : ٤١/٢١٥، ١/٣٨٦-٢، ٢/٣٩٧.
(٢) الديوان : ١٩/٧٢، ٢٠/٧٣-٢١.
(٣) الديوان : ١/١١٥، ٥/٩٣، ١/٦٢. انظر في الحاشية.
(٤) الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ١/٣٦٤.
(٥) انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٨٢٢-٨٢٧.
(٦) الديوان : ٣٣/٢٨١، ١/١٠٢، ٣/١٩٩، ١/٣٣-٣.
(٧) الديوان : ٢٢/٤، ٣٤/١٠٠، ٣/٢٩، ٣/٢٩٥، ١/٤٦١-٢.
(٨) الديوان : ١/٤٦١-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن الثقافة ، فابن رشيق (ت ٤٥٦ هـــ) يقول : " و الشاعر مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة ، لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو و لغة و فقه ، وخبر و حساب وفريضة ، و احتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته ... و ليأخذ نفسه بحفظ الشعر و الخبر ، و معرفة النسب و أيام العرب ، ليستعمل بعض ذلك فيما يريد ه من ذكر الآثار و ضرب الأمثال" [١].

و لقـــد وعى كشاجم ذلك ، و صدر عنه في شعره ، إذ كانت ثقافته واسعة ، يرفدها عدد من الروافد مختلفة الطوابع ، أبرزها :

أ – الثقافة الدينية والمذهبية :

تأثر كشاجم تأثراً كبيراً بالقرآن الكريم و قصصه و أحكامه و صوره و ألفاظه ، كما تأثر بالحـــديث النبوي الشريف ، وورد في شعره العديد من الألفاظ و المصطلحات الإسلامية ، مما يدل على سعة ثقافته الدينية .

وهو يعتمد في تصويره لكثير من المواقف في حياته على القصص القرآني ، كونها تتشابه و المواقـــف التـــي وردت في هذا القصص ، و يكتفي بمجرد الإشارة إليها معتمداً على إدراك السامع أو المتلقي لما خلف هذه الإشارة من معان ، وهو لا يقدم القصة القرآنية بتفاصيلها في ســـياق شـــعره ، و إنما يعتمد على إيحاءات القصة ، فيكثف كثيراً من المعاني في إشارات لفظية قليلة ، مما يجعل صوره الفنية بحاجة إلى إعمال الفكر و الروية حتى يتم الكشف عنها .

من ذلك أنه يمدح الأمير عبيد الله بن إبراهيم التنوخي ، فينعته بأنه حكيم الزمان[٢] :

وحكيمُ الزَّمانِ لم يُؤْتَ عند الـــ ـــخَطْبِ من حكمةٍ وفصلِ الخطابِ

مثيـــراً فـــي الأذهـــان قول الله تعالى في حق نبيه داود : " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ " [٣].

وعـــندما مـــدح الأميـــر الرشـــيدي ، أشار إلى أنه قد ورث المجد عن أجداده العظام ، وخصوصاً هارون الرشيد [٤]:

شهدتْ غُرَّة الرَّشيدِ على وجـــ ـــهكَ بالمَوْلِدِ الزَّكيِّ السَّعيدِ

شَبَـــــهٌ مِنْـــهُ فيـــكَ كَـــإرْثٍ لسليمـــانَ حيـــزَ عَنْ داودِ

(١) ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص١٩٦-١٩٧.
(٢) الديوان : ٢٣/١٧.
(٣) سورة ص، الآية ٢٠.
(٤) الديوان : ٣٠/١١٣-٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــو فـــي هذا ينظر إلى قول الله تعالى ، في قصة نبيه داوود لما حضرته الوفاة ، إذ أوصى لولده سليمان بالملك من بعده : " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ... " [١] .

وقـــد وصـــف قـــصيدته التي مدح فيها الأمير عبيد الله التنوخي ، إذ كادت أن تكون من صدقها أم الكتاب ، وهذه مبالغة ممقوتة ، لأن أم الكتاب هي سورة الفاتحة [٢]:

بنت فكر كسوتها حُلل الصد ق فكادت تكون أمَّ الكتابِ

وهو هنا يستعيد قول الله تعالى : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ " [٣] :

كما وصف ألواح الخشب التي تدون فيها الآداب و الحكم ، إذ يحافظ عليها و يحميها من التلف و الضياع [٤] :

لو كنَّ ألواح موسى يوم يغضبه هارون لم يلقها خوفاً من الندمِ

وهـــو في هذا يستوحي قصة النبي موسى ،عندما وجد بني إسرائيل يعبدون العجل من دون الله تعالـــى ، فذهل وألقى الألواح من يده ، وغضب على أخيه هارون ظناً منه أنه قصّر في نهيهم عن غيهم وضلالهم ، وقد أخبرنا القرآن بتلك القصة في قول الله تعالى : " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَـــوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ... " [٥] :

وفـــي معرض رثائه لآل البيت ، يصور عظم الخطية التي أقدم عليها القوم بقتل الحسين حتـــى استحقوا الحرب من الله تعالى ، الذي أهلك قوم نبيه صالح عندما عصوا أمره و عقروا الـــناقة ، فـــإذا كانت هذه نقمة الله ممن قتل الناقة ، فكيف بمن قتل الحسين ، و نكّل بآل البيت الكرام ؟ [٦] :

لو لم يرد ذا الجلال حربهم به لضاقت بهم فسائحُه ْ

وهو الذي اجتاح أمة عقرتْ ناقته إذ دعاه صالحُـــه ْ

وجلي هنا أن الشاعر يستعيد قصة رسول الله صالح وقومه ثمود ، الذين أقدموا على قتل الـــناقة ، فغـــضب الله عليهم و أهلكهم ، قال تعالى : " كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا* إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا* فَقَـــالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا* فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا* وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا" [٧] .

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٦.
(٢) الديوان : ٣٦/١٧.
(٣) سورة الرعد ، الآية ٣٩.
(٤) الديوان : ٧/٣٧١.
(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠.
(٦) الديوان : ١٥/٩٩-١٦.
(٧) سورة الشمس ، الآيات ١١-١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــن القـــصص القرآني الذي استعاده الشاعر في صوره ، قصة النبي نوح مع قومه ، وبـــنائه السفينة حتى ينجو ومن آمن معه من الغرق ، وقصة فرعون و جنوده ، و العذاب الذي حاق بهم ، و قصة النبي موسى عندما ضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً [١]. وهذه القصص وإن كانت ترد بألفاظ محددة عند الشاعر ، فإنها تنطوي على إيحاءات ثرّة تغذي الخيال ، وتكشف عن عمق الموروث الديني في نفس الشاعر .

ومـــن الصور التي حفزتها ثقافة الشاعر الدينية ، ما يتعلق بالآخرة من مشاهد و أهوال ، كـــصورة العـــبور علـــى السراط ، وقد حث ابنه على بره حتى يجتازه و يعبر إلى الجنة [٢] ، وصـــورة نعـــيم هذه الجنة ، فحدائق مصر و أنواع الورود فيها كالجنة التي جمعت ما تشتهيه العـــيون و الأنفس ، و أغصان شجر الأترج قريبة من متناول اليد ، كالجنة التي ذللت قطوفها تذليلاً [٣] .

وفـــي المقابل صورة الجحيم و عذابه ، فحريق النار سوف يلفح وجوه أعداء آل البيت ، وفي يوم القيامة سوف تتكشف الحقائق ، فيرتع أحبابهم في ظلال النعيم ، بينما يقبع أعداؤهم في ظلل الجحيم [٤] .

ومن الصور ما يتناص مع الحديث النبوي الشريف ،في ولد الزانية وعقوبتها ، وقد ساقه في حكاية حوارية لطيفة [٥] :

قلتُ : من أينَ ذا الغلا ... مُ ومـــا مسَّها بشرْ ؟
قـــالَ لـــي بعلها : ألمْ ... يأتكَ في مسندِ الخبرْ
ولـــدُ المـــرءِ للفـــرا ... ش و للعاهرِ الحجرْ
قلـــتُ : هُنّيته علـــى ... رغمِ من خالفَ الخبرْ

وهو هنا يستعيد قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الولد للفراش و للعاهر الحجر " [٦] .

وفي معرض افتخاره على أصحابه في رحلة الصيد ، يقول مقتبساً حديثاً نبوياً [٧] :

وكان فيه غرض أن أشكرا ... لله مـــا أعـــمّـــه فـــأكـــثـــرا

(١) الديوان : ٤/٣، ٥/٢٩، ٦/٣٩٠.
(٢) الديوان ، تحقيق و شرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٢/٣١٧.
(٣) الديوان : ١/٢٢٥-٣، ١/٣٢٤-٣. وانظر : سورة الزخرف ، الآية ٧٠، وسورة الإنسان ، الآية ١٤.
(٤) الديوان : ٢٨/١٠٠، ٤٦/٣٤٧.
(٥) الديوان : ٣/١٨٧-٦.
(٦) مسلم ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠١، ص٥٥٠.
(٧) الديوان ، تحقيق و شرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ١٣/١٩٥-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لصدّق الـــنبي فـــيما أخبرا إذ قال كل الصيد في جوف الفَرا

وهـــو هنا يشكر الله تعالى على ما أنعم عليه ، ويستعيد قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " كـــل الصيد في بطن الفرا " [١] ، و الفرا هو الحمار الوحشي ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحـــشي ، فكـــل صـــيد لصغره يدخل في جوف الحمار ، وأصل الحديث مثل عربي قديم ، يضرب للرجل يكون له حاجات منها واحدة كبيرة ، فإذا قضيت تلك الكبيرة لم يبال أن لا تقضى باقي حاجاته [٢] .

وفـــي شعر كشاجم كثير من الألفاظ و المصطلحات الإسلامية ، تصور الجانب الجاد في حـــياته ، الإيمانـــي منه ، فهو يصف ممدوحه وكأنه "محرم" لعفافه وطهارته، ويقرن خصاله الكريمة ومواقفه بمواقف الصلاة ، من قيام في "المحراب" و"سجود" و "دعاء" لله تعالى [٣] :

فكـــأنَّما هو محرمً في حلة لعفاف شيمته وطـــهر ثيابهِ

وارتاح مجلسنا إليه فلم يَعُجْ في صدره إلا على محرابهِ

بسجود مقبول السجود مُثابهِ ودعاء مسموع الدعاء مجابهِ

ومـــنها مـــا يعبـــر عن عقيدته الشيعية ، نحو " الوصي" ويقصد به علي بن أبي طالب ، و "الناصبون" وهم الذين عادوا علياً وأبغضوه[٤] . وفي المقابل فإنه يشير إلى الديانات الأخرى ، كالمجوســـية وعبادتهم النار ، والنصرانية ، وعبادة الأصنام كـــ"أساف" و "هبل" ، كما يطيب له أن يقابل بين التوحيد والشرك، في غير موضوع يطرقه[٥].

وبـــذلك فقـــد تأثـــر كشاجم بالإسلام ، كمصدر تراثي وثقافي ، استوعبه وخالط وجدانه وتفكيره ، وانعكس ذلك على شعره ، في صوره على نحو ما تقدم .

ب-الثقافة الأدبية :

لقـــد كـــان كـــشاجم على صلة بالتراث الشعري للعديد من الشعراء الذين سبقوه، يستعيد أقـــوالهم ومـــواقفهم في تجربة حياته الخاصة ة، فمن ذلك تأثره بنواح السلكة على ابنها السليك عندما رثى أباه قائلا [٦] :

---

(١) الرامهرمزي ، كتاب أمثال الحديث ، علق عليه : أحمد عبد الفتاح تمام ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٨، ص١١٩.

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فرأ) ، ج٥، ص١٠٣.

(٣) الديوان : ١٩/١٩و٢٥-٢٦.

(٤) الديوان : ١/٣٢٥، ٥/٣٥٥.

(٥) الديوان : ١٦/٧٥-١٨، ٣٠/٣٤٦، ٣/٣٠٦-٤، ٦/١٠٩.

(٦) الديوان : ١/٣٠١، ٩/٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيُّ أب رزئتـــه أهلكت صبري إذ هلكْ

وددت أني للمنايا كنـــت يومـــاً بـــدلكْ

كمـــا تأثر برثاء الخنساء أخاها صخراً ، ووصف البحتري ليأسه وفشله ، فقال في رثاء والده أيضاً [١] :

تـــزداد فيـــك مصيبتي خـــطراً إذا نهنهت نفـــسي

وأرى الأسى منِّي عليـــ ـــك اليوم أعظم منه أمسي

والملاحظ هنا أنه يشترك مع هؤلاء الشعراء بالقافية نفسها ، الكاف الساكنة ، التي تشي بسكون المـــوت وهدوئـــه، والسين المخفوضة ، التي تنم عن عمق الفجيعة ، وكأن المرأ يخفض رأسه حزناً لما ألم به .

وهو يستعيد قصة سعيد الدارمي الزاهد مع بائع الخمر ، حيث يقول [٢] :

قل للمليحة في الخمار الأكحلِ كالشمس من خلل الغمام المنجلي

كما يتضح تأثره بالشعراء السابقين ، وإكثارهم من ذكر "هند" في إشارة إلى محبوباتهم ، وخصوصاً عمر بن أبي ربيعة في قوله المشهور " ليت هنداً أنجزتنا ما تعد " يقول كشاجم [٣] :

يا هند لا تنكري في الأرض مضطربي فإنَّما أبتغي العلياء لي ولكِ

وفـــي مـــوطن آخر، يستثير موقف عمر بن أبي ربيعة في علاقاته مع الفتيات وتهافتهن عليه [٤] :

وإذا ما عَثَرَتْ في مِرْطِها عثرتْ باسمي وقالت يا عمرْ

قلت:لا تخبر بسري أحداً فتغنَّى لي " وهل يخفى القمرْ "

وفي مدحه لآل البيت ودفاعه عن حقهم في الخلافة ، يتأثر بشعر دعبل الخزاعي ، وقد صرح بذلك قائلاً [٥] :

لو كنتُ في عصر دعبل عبدت مدائحي فيكم مدائحُهْ

أمـــا أبـــو نواس فهو من أكثر الشعراء الذين تأثر بهم كشاج ، فسخر من الأطلال مثله ، و استبدل بالوقوف بها وصف شرب الخمر كما فعل أبو نواس من قبل . يقول كشاجم [٦] :

لا كـــنت ممن يضيع دمعته بين الأثافي و النؤي و الوتدِ

---

(١) الديوان : ١/٢٢٦-٢.
(٢) الديوان : ١/٣٢٧.
(٣) الديوان : ١/٣٠٥.
(٤) الديوان : ٩/١٥٥-١٠.
(٥) الديوان : ٤٨/١٠١.
(٦) الديوان : ٣/١٤٢، ٤/١٤٣-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جانب سقط اللوى سقوط حياً يكسى به ثوب عيشة رغـدِ
ولا سقى الغيث دار ميَّة بالـــ ـــعلياء كـــلاَّ يُداكَ و السَّنَـــدِ
أحسن مـــن وقفة علـــى طلل قفر وذكـــر العيرانة الأجُـــدِ
كأس مدامة جـــلا المدير بها أمّ اللـــيـــالي وجـــدَّة الأبـــدِ

كما أنه أمعن في اتباع طريقة أبي نواس ، فربط بين جمال الطبيعة وجمال الخمر [١] :

أما ترى مصر كيف قد جمعت بها صنوف الرياض في مجلسْ ؟!
السوسن الغضُّ و البنفسج والـــ ـــورد وصفر البهار والنرجسْ
فاشربْ على الكأس من معتقة بحلـــية شبـــرويّة المـــغـــرسْ

وإذا كـــان أبو نواس قد رحل إلى الكرم وسفح في ظلاله دم الخمر ، فإن كشاجم قد رحل إلى حقل الباقلاء وصنع صنيع سابقه ، مبكراً تبكيره ومحتفلاً للأمر احتفاله وصائغاً نظمه رجزاً مثله، وهو في هذا يتأثر بابن الرومي في وصفه العنب الرازقي . يقول كشاجم في الباقلاء [٢] :

جنيّ يـــوم لـــم يؤخَّـــر لغدِ ولم ينقل من يد إلى يدِ
أحلى من الإغفاء وقت السهدِ أو من وفاء خلَّةٍ بموعدِ
أو من أمـــانٍ في فؤاد مرعدِ باكرته و الطير لم تغردِ

بالإضافة إلى غير ذلك من الشواهد التي تدل على تأثره بأبي نواس خاصة ، لما بين الاثنين من عشق للخمر واللهو والمجون ، كما تدل على تأثره بالشعراء عامة [٣] .

وهو يستعيد إلى جانب الشعر صوراً أخرى من النثر،بحيث يضمن أشعاره أمثالاً مشهورة وأقوالاً مأثورة ، فمن ذلك قوله يصف أصدقاءه ورفاقه في رحلة الصيد [٤] :

تشاكلوا فأشكلوا فهم كأسنان المشطْ

فهو يضمن هذا البيت قولهم : "أسنان المشط" إذ يضرب بها المثل في التساوي و التشاكل [٥] .

وتظهـــر مقدرته اللغوية في تصريف المثل وفق الإيقاع والقافية ، بحسب القصيدة التي يرد فيها ، فهو عندما اتخذ المثل القائل " كل إناء يرشح بما فيه " [٦] لما يصدر عن الإنسان من خير أو شر ، قاله في إيقاعين مختلفين ، الأول في إخلاصه لممدوحه ، وهو الطويل [٧] :

---

(١) الديوان : ١/٢٢٥-٢و٦.
(٢) الديوان : ٩/١١٦-١١.
(٣) انظر : سيد نوفل ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، دار المعارف، مصر ، ص٢١٣-٢١٥. ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٧٨٠-٧٨٤.
(٤) الديوان : ١٨/٢٤٦.
(٥) الديوان : الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ١٩٦٥، ص٣٣٤.
(٦) الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٥٥، ج٢، ص١٦٢.
(٧) الديوان : ٢/٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأبى الذي في القلب إلا تبيُّناً وكلٌّ إناء بما فيه يرشحُ

والثاني في معرض رثائه لآل البيت ، وهو المنسرح [١] :

ليس سوى الدمع و الإناء بما يكون فيه لا بد راشحُه

ومن الأمثال التي تضمنها شعره ، قوله يصف أحد الغلمان [٢] :

أفلا يتيه بك الجما ل وأنت فيه نسيج وحدكْ

وهــذا مــن المثل القائل " إنه نسيج وحده " أي أنه واحد في معناه ليس له فيه ثانٍ ، كأنه نسج على حدته لم ينسج معه غيره [٣] ، وهو مثل يضرب في الشيء الذي لا نظير له .

ومنها قوله يصف أرؤس خرفان بعد أكلها [٤] :

يمتطين الخِوان أرؤس خرفا نٍ وينزلن عنه بيض نعامِ

وهذا من قولهم " أذل من بيضة البلد " والبلد هو أدْحيّ النعام ، وهي بيضة تتركها النعامة في فلاة الأرض فلا ترجع إليها ، وهو مثل يضرب لمن لا يعبأ به [٥] .

ومنها قوله يصور حال القوم بين يدي الأمير الرشيدي [٦] :

وكأنَّ الرؤوس من فوقها الطيــ ــرُ سكوناً إلى أغرَّ نجيدِ

وهــذا من المثل القائل " كأن على رؤوسهم الطير " وهو مثل يضرب للساكن الوادع ، و الطير لا تقع إلا على ساكن [٧] .

وهكــذا فــإن ثقافــة كشاجم الأدبية قد أدت دوراً كبيراً في تشكيل صوره ، بما تثيره في الأذهــان من مواقف لشعراء فحول ، أو بما أمدت شعره من أمثال تتناسب والصورة التي أراد أن يقدمها لنا ، كل بحسب الموضوع الذي تطرّق إليه .

جـ ثقافات علمية مختلفة :

فقــسم مــن هــذه الــثقافات في علم التاريخ ، بحيث يعود إلى التاريخ العربي الإسلامي ليــستوحي منه الصور ؛ فقد ذكر معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون من بني هاشم ، على الكافــرين من بني أمية ، ليشير إلى ما بين الفريقين من عداوة وأحقاد ، أدت إلى مقتل الحسين

---

(١) الديوان : ٤٦/١٠١.
(٢) الديوان : ١١/١٠٧.
(٣) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج١، ص٤٠.
(٤) الديوان : ٦/٣٥٨.
(٥) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج١، ص٩٧و٢٨٥.
(٦) الديوان :٢٣/١١٣.
(٧) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج٢،ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعض آله في كبلاء .كما أنه ذكر يوم الغدير حيث أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بالخلافة ، كما يعتقد الشيعة ، ليشير إلى أن هذه الوصية لم تنفذ وأن آل البيت قد خدعوا ، وكان ذلك سبباً في وقعة الجمل بالبصرة حيث قتل الآلاف من المسلمين [١] .

ونلحظ من ذلك أنه كان يوفق بين آثار هذه الأيام ، والهدف الذي يرمي إليه من البكاء على آل البيت وبيان مآثرهم ، والدفاع عن حقهم في الخلافة .

ويرتبط بهذا اتخاذه بعض أعلام من التاريخ ، اشتهروا بصفات معينة اختزنها الناس في وجدانهم ، موضوعات لصوره ، ومن هؤلاء القاضي إياس بن معاوية في الذكاء ، وقس بن ساعدة الإيادي في الفصاحة والخطابة .يقول مسترجعاً صورتهما في مدح الأمير الحسن بن الحسن [٢] :

وفاق إياساً بفضل الذكاء وقسَّ بن ساعدةٍ في اللسَنْ

كما أنه يستثير صوراً من تاريخه المعاصر ، فيشير إلى نكبة المقتدر بالله للقهرمانيتين : أم موسى الهاشمية وفاطمة ، حيث صادر أموالهما بعد أن أثريتا ثراء فلاحشاً. وهو في هذا يعزي لائمته، أو زوجته ، عن حالته التي آل إليها [٣] :

في أم موسى سلوة لك فانظري فعل الزمان بها وبعد بفاطمهْ

وضعتهما بإزاء ما رفعتهما تلك العلا فرمتهما بالقاصمهْ

وقسم آخر في علم الطب ، البشري والحيواني ، كالمعالجة بالفصادة ، وأثر كثرة شرب الخمر على الأجساد ،وأن لحم طيور الحجل والدرّاج تحفظ الصحة والعافية [٤]. وقسم ثالث في علم الهندسة ، فأعاد إلى الأذهان دقة المهندس إقليدس اليوناني في رسم الدائرة والمثلث ، كما صور البركار وهو آلة لرسم الدائرة ، وشبه اشتباك شفرتيه بالعلاقة الحميمة بين الصاحبين، أو المتحابين العاشقين [٥] .

ومن هذا تشكيله صورة الانسجام بين صوت العوادة وعزفها وقامتها ، بالأشعة المتساوية الخارجة من نقطة الدائرة الواحدة [٦] :

عادلة الأجزاء قد برئت من خطأ الناقص و الزائدْ

والضرب والصوت وحسّاهما خارجة في قرَنٍ واحدْ

(١) الديوان : ١٧/٤و٢٢، ٢٣/٣٤٥.
(٢) الديوان : ٢٣/٣٨٢.
(٣) الديوان : ٦/٣٥٦-٧.
(٤) الديوان : ١١/١٢٥-١٢، ١/٣٦٨-٢، ٩/٣٣٥-١٠، ٥/٢٩٨، ١٠/٢٩٩-١١.
(٥) الديوان : ١٠/٣٩٨، ١/٢٢٩-٢، ٢/٢٤-٣و٧.
(٦) الديوان : ١/١٢٧-٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل خطوطٍ جِئْنَ مـــن نقطةٍ إلى محيطِ الدَّائرِ القاصِـــدْ

وقـــسم رابـــع فـــي علم التنجيم ، كذكره أسماء النجوم ، واعتقاده بكونها تجلب السعد أو الـــنحس للإنسان ، فذكر منها : عطارد وبنات نعش والثريا والزهرة والشّعرى[١] . وقسم أخير في علم الموسيقى ، وقد أرجأنا القول فيه بما يتناسب والموضوع الذي سنتناوله لاحقاً.

وبذلك يكون شعره صورة صادقة عن عادات المجتمع وتقاليده ، وثقافاته الدينية والأدبية والعلمية ، التي تزود منها بشغف لينطلق إلى أفقه الرحب ، في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ومكنونات نفسه الرقيقة المرهفة .

" فكمـــا أن النبـــتة لا تعلو فوق التربة ما لم تستمد منها غذاءها ، كذلك (الشاعر) مبدع الجمـــال ، لا يأتي بجديد ولا يضيف إلى تراث المجتمع ، ما لم يكن فيه متجذراً ، وما لم يتلق منه مواده ووسائل تعبيره ، ويلق لديه الإصغاء ، ويتزود من بالمحفزات التي يحتاج إليها ، فهو يتجاوزه بالإسناد إليه " [٢] .

مظاهر مذهبية وحضارية في شعر كشاجم :

أولاً: التشيع .

عـــرفنا كـــشاجم شاعراً رقيقاً بكاءً ، مدافعاً عن حق آل البيت في الخلافة ، ومجاهراً في تشيعه لهم ، شأنه في ذلك شأن الشعراء الوافدين إلى بلاط سيف الدولة ، إذ كانوا يلهجون بذكر آل البـــيت مدحاً ، ونواحاً على الشهيد الحسين بن علي ، وتنديداً بالقتلة من بني أمية ، وهم في بعض الأحيان يغالون في محبة علي ومذمة الصحابة الكرام [٣].

وســـوف نتـــناول شـــعر كشاجم في التشيع بصورة متكاملة ، بما تضمنه من مدح ورثاء وهجاء ، مبرزين مقدرته الفنية على التعبير عن ذلك ، فهو يمدح علي بن أبي طالب ، ويسلم له بالإمامة ، مشبهاً إياه بالهلال الذي يهدي إلى الرشد ، و السيف الذي يقمع الكفر ، والبحر الذي يتدفق كرماً ، أما علمه فمصدره الله تعالى ، ولذا لن يبلغ شأوه أحد .يقول كشاجم مخاطباً الذين تنكبوا طريق الإمام علي [٤] :

ولـــو سلَّمـــوا لإمام الـــهدى لقـــُوبلَ معوجـــّهمْ باســـتـــواءِ

---

(١) الديوان : ٤/١٠٥، ٤/٣٦٠، ٣/١٥٩-٦.

(٢) رشيد سعود ، الإبداع الجمالي ، نتاج اجتماعي أم وليد العبقرية الفردية ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، ع٨٤، نيسان١٩٧٨، ص٣٩.

(٣) انظر : مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٢٨٩.

(٤) الديوان : ٣/٩-١٠، ٤/١١-١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هلالٌ إلى الرشد عالي الضياء وسيفٌ على الكفر ماضي الظباءِ
وبـــحـــرٌ تدفق بالمعـــجزات كـــمـــا يتدفـــق ينـــبوع مـــاءِ
علـــومٌ ســـمـــاوية لا تنـــال ومـــن ذا ينـــال نجوم السمـــاءِ

وفي صورة أخرى يثبت حق علي بالخلافة ، فهو سيد الأوصياء ، المنفق على الفقراء ، الفاتـــك بالأبطـــال ، حتى إن الرماح تتعلم منه الطعن ، والسيوف تتعلم منه ضرب الرؤوس ، والـــسحاب يـــتعلم مـــنه الجود ، وعظم الجبل مأخوذ من عظيم حلمه ، وما كل هذه التشبيهات المقلوبة إلا لبيان شجاعته وفضل هديه ورجاحة عقله . يقول كشاجم في حق آل البيت [١] :

فـــجـــدُّهم خـــاتـــم الأنبيا ء يـــعـــرف ذاك جمـــيع المـــلل ْ
ووالـــدهم سيـــِّد الأوصياء ومعطي الفقـــير ومردي البـــطل ْ
ومن علذم السُّمر طعن الكلى لدى الروع والبيض ضرب القلل ْ
بـــجـــودٍ تعلم منه السحاب وحـــلـــمٍ تولّد مـــنـــه الـــجـــبل ْ
فـــكـــم شبهةٍ بهـــداه جـــلا وكـــم حـــجـــةٍ بهداه فصـــل ْ !

كمـــا يمـــدح الحسين ويصوره وقد رفع لواء الله عالياً، وواجه أعداءه بشجاعة الأسد ، فأوسعهم قتلاً وفتكاً ، وأرداهم في سعير جهنم ، أما هو فقد نال الشهادة وأنعم بها من نصر [٢] :

تراه مع الموت تحت اللوا ء والله والنصر فوق اللواءِ
غـــداة خميس إمـــام الهدى وقد عاث فيهم هزبر اللقاءِ
وكم أنفسٍ في سعيرٍ هوت وهـــام مطيرةٍ في الـــهواءِ

ويعمد إلى المقارنة بين الحسين وأعدائه، فهو رزين ، راجح العقل ، غزير العلم ، عفيف رفـــيع القـــدر في منزلة الأسد ،وهو صالح يسعى إلى إغلاق الشر ، بينما هم طائشون ، جهّال وضـــيعو القـــدر في منزلة الكلاب ، وهم طالحون مفاتح للشر ، وفي هذه المقارنة يبين فضله عليهم ، فبضدها تتمايز الأشياء [٣] :

كانوا خفافاً إلى أذيته وهو ثقيل الوقار راجحُه ْ
بحر علوم إذا العلوم طمت فهز تيـــارها ضحاضحُـــه ْ
وإن جروا في العفاف بذهم بالسّبق عود الجراء قارحُه ْ
يا عترة حـــبُّـــهم يبين بـــه صالح هذا الورى وطالحُه ْ
مـــغـــالق الشر أنتم يا بنـــي أحمد إذ غيركـــم مفاتحُـــه ْ

---

(١) الديوان : ٣٤٤/١٠-١٢، ٣٤٥/١٧-١٨.
(٢) الديوان : ٤/٢٣-٢٤، ٥/٢٥.
(٣) الديوان : ١٠١/٣٨-٤٠و٤٢-٤٣.الضحاضح: جمع ضحضاح وهو الماء القليل ، القارح : الأسد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي رثائه لآل البيت يصور التنكيل الذي حل بهم،والتقتيل الذي تركهم في الأرض مزقاً ، حتـــى خيم الظلام على ذلك اليوم الحزين ، ثم تجلى عن جثثهم المباركة ، وهو هنا يعبر عن القتل بالذبح للدلالة على هول النكبة التي حلت بهم [١] :

فبعضهم قربت مصارعه ... وبعضهم بوعدت مطارحُه ْ

أظلم فـــي كربلاء يومهم ... ثـــم تجلى وهـــم ذبائحُـــه ْ

ويأتـــي بـــصورة مصرع الحسين ، في قوافيه الساكنة سكون الموت ، إذ مات ظمآناً لم يطفئ حر عطشه ، بينما تشرب الرماح من دمه وترتوي به [٢] :

وتردي الحسين سيوف الطغا ... ة ظمآن لم يطف حرّ الغلل ْ

يَرِي عطشاً وتنالُ الـــرِّمـــا ... ح مـــن دمه علَّـــها والنهل ْ

وكـــشاجم فـــي عاطفته الملتهبة أسفاً على ما حل بآل البيت ، يكشف لنا عن أحد أسباب نفسيته الحزينة ، ورغبته العارمة في البكاء ، كما يمثل امتداداً لأهم سمات الشعر الشيعي الذي " يبدو وقوراً حزيناً غير منمنم ولا مبهرج ، شأنه في ذلك شأن الرثاء في أغلب الأحيان " [٣].

وفـــي هجائه القتلة من بني أمية نلمس لوناً آخر من ألوان الهجاء ، غير الذي عهدناه من قـــبل ، فهـــو يتوجه إلى ذم الفضائل النفسية والدينية عندهم ، فهم قد ضلوا السبيل ، وتاهوا في الباطل ، واتبعوا الغي ، وغشوا الله سبحانه فاستحقوا لعنته صباح مساء [٤] :

ضللتم القصد للسبيل إلى الـــ ... ـــله فتاهت بـــكم صحاصحُه ْ

يا شيع الغيِّ والضَّلال ومَـــنْ ... كـــلُّـــهم جمَّة فـــضـــائـــحُه ْ

غششـــتم الله فـــي أذية مَـــنْ ... إليهمُ قد أديت نـــصـــائـــحُه ْ

عـــلـــى الـــذي فاتهم بحقـــهمُ ... لعنٌ من الله يغاديه أو يراوحُه ْ

ومـمـــا يتـــصل بصورة التشيع عند كشاجم رثاؤه الأمير عبد الملك بن محمد الهاشمي ، المنتـــسب إلى آل البيت ، وكأن عقدة الشعور بالذنب التي تلازم الشيعي بسبب خذلان الحسين ، دفعته إلى ذلك ، فهو لم يمدحه كما فعل مع غيره من الأمراء ، بل اقتصر على رثائه .

وهـــنا يـــصور كـــشاجم وقـــع المصيبة بوفاة هذا الأمير، الذي هو رمز للعلا و المجد ، وبانقلابـــه من العرش إلى القبر ، تهدم عرش العلا وانقلب ، وانكسفت شمس المجد ، ولا عيب

---

(١) الديوان : ٧/٩٨-٨.
(٢) الديوان : ٣٩/٣٤٧-٤٠.يري : من ورى بمعنى مات .
(٣) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٣٠٢.
(٤) الديوان : ١٧/٩٩-١٩، ٢٣/١٠٠. الصحاصح : الباطل والترهات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي ذلك فشمس الفلك معرضة للكسوف ، وكشاجم كعادته مع من يحب ، يذرف الدمع الغزير ويقدم روحه فداء لهذا الحبيب [١] :

عرش العـــلا منهدم مؤتفك ... مذ جاور الأجداث عبد الملك ْ
هاتيك شمس المجد مكسوفة ... وإنما تكسف شمس الـــفـــلك ْ
ما هي عـــين سفكت ماءها ... عليه بل أرواحنا تتســـفِـــك ْ

ويـــبالغ فـــي رثاء الأمير عبد الملك ، فيصوره بالجبل الراسي ، وقد شمل الدنيا بخيره ، فانقطعت بموته آمال الناس ، وهنا يتساءل الشاعر مستغرباً مستعظماً ما حصل : كيف بمن هذه مآثـــره أن يحملـــه نعش أو يضمه كفن ؟ ولكنها سنة الله في خلقه ، فكل حي سيلاقي مثل هذا المصير ، وفي ذلك بعض من السلوان [٢] :

راح عليه للـــرَّدى رائح ... وكـــلُّ حيٍّ ســـالكٌ ما ســـلك ْ
يا جبلاً أرسى على نعشه ... كيف أطاق النعش أن يحملكْ ؟!
وشـــامـــل الدنيا بمعروفه ... أنَّـــى لأكفانك أن تشـــمـــلك ْ ؟
وباتك الآمـــال من بعـــده ... بتـــّـــك عمري عمرك المنبتك ْ

كمـــا يعدد مناقبه الحسنة ، ويبكيه للخصم ، للآداب ، للنـــّهى ، للندى ، للبأس ، للشمل ، للكرم ، مكرراً لفظة " أبكي " ست مرات في القصيدة [٣] للدلالة على مبلغ حزنه ، وعميق تأثره بفقـــده . ولا غرو ، فعبد الملك من آل البيت الذين يحبهم كشاجم ويأسى لهم ، ويأمل في مغفرة الله تجاه تشيعه لهم [٤]:

قضيت بحبكم ما عليّ ... إذا ما دعيت لفصل القضاءِ
وأيقنت أنَّ ذنوبي بـــه ... تساقط عني سقـــوط الهباءِ

ثانياً : مجالس الشراب .

ومـــن مظاهر الحياة الاجتماعية و السلوك الإنساني ، في شعر كشاجم ، تبدو لنا ظاهرة شـــرب الخمـــر ، ومـــا يتصل بها من وصف لصفائها وتأثيرها على النفس ، وتصوير لسقاتها وأوقاتها وأماكن شرابها .

---

(١) الديوان : ٣٠٣/١-٣.
(٢) الديوان : ٣٠٤/١١-١٤.
(٣) الديوان : ٣٠٤/١٥-١٨، ٣٠٥/١٩-٢٠.
(٤) الديوان : ٥/٢٩-٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سار كشاجم في ذلك على نهج سابقيه ، فهو يطلب أن يداوى سكره بكأس من الخمر علـــى طـــريقة أبي نواس في قوله : " وداوني بالتي كانت هي الداء " كما يصور صفاء الخمر ورقتها ، مشبهاً إياها بلمع البرق وضوء الفجر ، وهي رقيقة كماء دينه وماء دمعه وماء شعره [١] :

داو خُماري بكأسِ خمرٍ ... وأحي سُكرَ الهوى بسُكرِ
مـــدامـــةٌ عتقتْ فجاءتْ ... كلمعِ برقٍ وضوءِ فجرِ
رقتْ فكانتْ كمـــاءِ ديني ... وماءِ دمعي وماءِ شعري

وهو يمزج الخمر بأحاسيسه ومشاعره ، فهي التي تنفي الهموم و الأحزان ، وتبث السعادة في نفوس الشاربين [٢] :

ما تركتْ لي المُدامُ هماً ... يضقُ عنهُ وسيعُ صدري
إنْ هـــي إلا نجومُ سعدٍ ... على أكفِّ الأنام تجـــري

وإذا كانت الخمر هي مجلى همومه ، ومبعث فرحته ، فلا أقل من أن يخلص لها ويغرق فـــي تصويرها ، لأنه وجد فيها النعيم الذي يفتقده ؛ لهذا نراه كثيراً ما يقرنها بصور تدل على الثـــراء والنعيم ، ففي صور الخمر تلقانا الطبيعة الساحرة ، والكنوز الزاخرة . يقول كشاجم في وصـــف مجلس شراب دعا صديقه إليه ، في حكاية تتوافر فيها بعض عناصر السرد ، كالزمان والمكان والشخوص ، ويختلط ذلك كله بالأنوار والألحان [٣] :

قفل الدجا وأتى الصباح حميدا ... وتجاوبت أطـــياره تـــغـــريـــدا
وجفثـــكَ لائمةٌ وزاركَ مســـعدٌ ... وغدتْ عليكَ الشَّمسُ تحملُ عودا
وكأنّ مـــا ينهلُّ من سُبُلِ الندى ... أيـــدٍ نثرن مـــن الجُمان عقـــودا
وكأنّ مـــجـــلسنا المفوّف فرشه ... نـــَورُ الرِّياضِ ليسْنَ منهُ بـــرُودا
وكـــأنـــَّما الجاماتُ في جنباته ... مـــاءٌ أعـــادته السّماكُ جلـــيـــدا

وهـــو هنا يرسم صورة لمجالس الشراب قوامها التشبيه والاستعارة ، فيحمد الصباح وهو أفضل الأوقات عنده لشرب الخمر ، ويستبشر بتغريد الطيور ، وبالندامى الذين يجلبون السعد ، ويـــصور العـــوّادة في جمالها بالشمس ، ويكني عن قطرات الندى بالجمان وهو اللؤلؤ ، ويشبه قطـــرات الـــندى على الأعشاب بحبات اللؤلؤ وقد انتظمت في عقدها ، كما يشبه جمال المجلس بفرشه الرقيقة المخططة بجمال الأزهار الملونة ، ويمعن في التشبيه جاعلاً هذه الأزهار تتخذ

---

(١) الديوان : ١/٤٢٤و٣-٤.
(٢) الديوان : ٢١/٤٢٥-٢٢.
(٣) الديوان : ١/١٢٩- ٥. السبل : المطر. الجامات : أوعية الشراب من فضة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن الفرش ثياباً ترتديها ، ثم يأتي بصورة الخمر في الجامات ، وهي أوعية من فضة ، فيشبه برودتها العذبة ببرودة الماء وقد صار جليداً .

وقد تفوح من هذه الخمر رائحة العطر ، وكأن الحباب على وجه زجاجتها لآلئ عقد ، قد تدلت فوق نحر امرأة حسناء [١] :

مشعشعة تهدي إلى الروح روحها ... ويعبق منها في زجاجتها العطرُ

كـــأنَّ علـــيها من حَبابِ مزاجها ... لآلئ نـــظـــّامٍ تضمنـــها نـــحرُ

ويتـــصل بصورة الخمر تصوير الساقي ، وكثيراً ما يكني عنه بالشادن ولد الغزال ، في إشارة إلى جماله وخفة حركته ، وفي هذا ضرب من الغزل بالمذكر ، فالساقي مدلل يشبه الفتاة في خدرها ، وهو ماهر في انتقاء ألفاظه ، ساحر في فتور ألحاظه ، جميل الصوت في الغناء ، وفي هذا لذة للبصر والسمع ، تعجب كشاجم وتزيد من رغبته في الشرب ، فهو سيواصل متعة الاستماع إلى أغانيه حتى لو اضطره ذلك إلى أن يشرب نيل مصر [٢] :

وابـــن دلال إذا تثنَّـــى ... رأيت عذراء بنت خدرِ

يديـــر ألفاظه بحـــذق ... فينا وألحـــاظه بســـحرِ

فلستُ آبى ولو سقوني ... على أغانيه نيل مصـــرِ

وكثيراً ما يشبه حمرة الخمر بحمرة خد الساقي [٣] :

فهي إذا شئت من يديه ... خمرٌ ومن وجنتيه وردُ

يريد بذلك أنه يتمتع بلذتي الخمر والجمال ، وهذا المعنى قريب مما قاله أبو نواس [٤] :

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها ... خـــمـــراً فما لك من سكرين من بدِّ

لـــي نشوتان وللندمـــان واحـــدة ... شيء خصصت به من دونهم وحدي

وغالـــباً ما يكون الساقي نصرانياً يشد في وسطه زناراً ، وهذا علامة دينه ، لأن الزنار خاص بالنصارى،والشاعرهنا يكني عن أردافه بكثيب الرمل وعن قامته اللينة بغصن البان [٥] :

وشادن من بني الأقباط يعقد ما ... بين الكثيب وغصن البان زنارا

ويـــرتبط تصوير الخمر بتصوير الزمان ؛ فإذا كانت صبوحاً صور من خلالها الصباح ، وإذا كانت غبوقاً صور من خلالها الليل . يقول كشاجم [٦] :

---

(١) الديوان : ٤/١٤٨، ٥/١٤٩.
(٢) الديوان : ١٨/٤٢٥-٢٠.
(٣) الديوان : ٢/٤٤٠.
(٤) أبو نواس ، الديوان ، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ،ط١، ١٩٩٨، ص١٧١.
(٥) الديوان : ٥/١٦٦.
(٦) الديوان : ١/٤٢٧-٢و٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ادنُ من الــدنِّ فداك أبــي واشربْ وهات الكبير وانتخبِ
أما ترى الطلَّ كيف يلمع في عيون نَوْرٍ يدعو إلى الطربِ ؟!
والصبح قد جُرِّدتْ صوارمُهُ والليلُ منها قد هــمّ بالــهربِ

فهــو هــنا يدعو إلى شرب الخمر وانتخاب الأوعية الكبيرة منها ، ويصور قطرات الندى في الــصباح الباكــر وهي تلمع على أوراق الأزهار ، فتطرب لها نفسه ، ثم يشبه أشعة النور عند الصباح بسيوف تطارد ظلمة الليل ، فيهم الليل منها بالهروب .

وإذا كانت الخمر غبوقاً فإن نور البدر يمتزج بنورها ، فتضيء سواد الليل ، وقد أمضى كــشاجم لــيله فــي شــربها حتى طلوع الصباح ، واختلاط نوره بالظلام كمما يختلط المسك بالكافور[١]:

وبات بــدر الدجى يشعشعها نورية تلبس الدجــى نــورا
حتى رأيت الظلام يدرجه الــ ــغرب وبرد الصباح منثورا
واختلط الليل والنهار كــمــا يخلط كــفٌّ مسكاً بكــافورا

ومــن صــور الزمان التي برزت من بين ثنايا صور الخمر : الأيام والشهور والفصول والسنين ، فمن صور الأيام تخصيص ليلة الأحد لشرب الخمر [٢] :

هل أحدٌ نال مثل لذتنا بدير مُرَّان ليلة الأحدِ ؟

ومــن صــور الــشهور اعتدال الجو في شهر تشرين بين الحر والبرد ، وهذا أدعى إلى إقامة مجالس الشراب [٣] :

وقد ضربت فيه خيماتها وعدَّل تشرين حراً بقرّ

ومــن صور الفصول استقبال الربيع بالطلاقة والأنس والتهلل ، وشرب الخمر ممزوجة بالماء العذب [٤] :

فامنح أخاك الغيث وجه طلاقةٍ والق الربيع بأنسة وتهللِ
واعرف له حق القدوم بقهوة عذراء تمزج بالزلال السّــلسَــلِ

وتظهــر صورة السنين من خلال الكنايات الكثيرة التي عبر فيها عن الخمر المعتقة ، وهــي صفة لأجود أنواع الخمر ، ومنها : " أم الليالي وجدة الأبد " و " بنت الزمان " و " بنت أعوام " و" نجلة الدهر " وهي " مخبوءة من عهد كسرى " [٥] .

---

(١) الديوان : ٣/٤٤٢و٥، ٦/٤٤٣.
(٢) الديوان : ٩/١٤٣.
(٣) الديوان : ٣٣/١٨٢.
(٤) الديوان : ٩/٣٤٠، ١٠/٣٤١.
(٥) الديوان : ٧/١٤٣، ٥/٢٩٦، ٢/٢١٤، ١١/٤٤٠، ٤/١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما صور كشاجم زمن شرب الخمر وزمن مكوثها في الدنان ، صور أماكن شرابها ، وبخاصـــة الأديـــرة والحانات التي طالما تردد إليها ، فهو يتذكر أيامه بدير مرّان ، فيكني عن الجاريـــة الحسناء بالغزال تارة وبالشمس تارة ، ويكني عن الغلام بالبدر ، وقد جلس عن يمينه الجاريـــة وعن يساره الغلام ، كما يصور رياض الدير النضرة وحدائقه الفاتنة ، وقد عبثت بها أكف الرياح فتساقطت عليها الأمطار وتحرك دولابها،فشبهه بالمحب المدنف الذي يذرف الدمع ، كمـــا شـــبه الزهر بالكلام المنظوم والطل بالكلام المنثور ، أو الدمع المتحدر على الخدود التي تشبه في ألوانها ألوان الورود الحمراء والصفراء [١] :

يا ديرَ مرَّانَ كمْ غزالٍ ... فيكَ وكمْ روضةٍ ونهرِ
وفي يميني شمالُ شمسٍ ... وفي شمالي يمينُ بدرِ
حدائقٌ كـــفٌ كـــلِّ ريحٍ ... حلَّتْ بها عقدَ كلِّ قطرِ
كـــأنَّ دولابـــها محـــبٌّ ... يحنُّ والدمعُ منه يجري
فالنـــّورُ والطلُّ في رباه ... مـــا بينَ نظمٍ وبينَ نثرِ
كالدمعِ قد حارَ في خدودٍ ... حمرٍ ووردیـــةٍ وصُفْرِ

ومـــن الأديـــرة الأخرى التي صورها كشاجم : مريونان والقصير [٢] ، وهو في ذلك يذكـــر أســـماء متنوعة للخمر، كالمدام ، والقرقف ، والشمول ، والقهوة ، والراح ، والرحيق ، وابـــنة العنقود ، والصهباء ، والخندريس ، والعقار [٣] . وفي هذا دلالة على مبلغ عنايته بها ، فكل اسم من أسمائها له خيط شعوري خاص في نفسه ، وباستجماع تلك الخيوط تظهر الصورة المتكاملة للخمر .

وخلاصة القول في الخمر أنها عند كشاجم ، الحياة لها قميص من خزف وقار [٤] :

هذي المدامُ هي الحيا ... ةُ قميصها خزفٌ وقارُ

لأنهـــا تريح نفسه بالملذات ، وتغيب فكره عما يشغله من هموم ، على أنه لم يستطع أن يغيب كلـــية عن تلك الهموم ، إذ لا تفتأ تطل علينا بين الحين والحين ، من ثنايا صوره التي أراد أن يرســـم بهـــا سعادته الظاهرة ، لقد ظلت هذه الهموم دفينة في أعماقه تتقد في داخله ، مثلما تتقد الخمر في كؤوسها .

---

(١) الديوان : ٤٢٤/٦و٨-٩، ٤٢٥/١٠و١٢-١٣.
(٢) الديوان : ٤٨٥/١، ٤٩٠/١.انظر في تحديد هذه الأديرة : الشابشتي، الديارات ، ص ٢٥٨ ، ٢٨٤.
(٣) الديوان : ٤١/٤و٧، ٥٣/٧، ٥٨/١، ٧٠/١، ٩١/١، ٩٤/٨، ١١١/١٠، ١١٧/١٧، ٢١٨/٤، ٣٨٤/٩-١٠.
(٤) الديوان : ٤٦٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : صورة القيان وآلات الموسيقى .

هــذا الموضــوع امــتداد لــصورة مجــالس الشراب ، فكثيراً ما تجتمع الخمر والنساء والمعازف لتزيد من اللذات الجسدية والنفسية ، وليكتمل بها الأنس والسرور .

ونشهد ذلك في منزل إحدى القيان التي زارها كشاجم ،فقد صور الآنسات العازفات فيه ، فهــذه تــشدو على عودها ، وتلك تعزف الألحان ، وثالثة تغني بالربابة ، ورابعة تضرب على الطبل فتحاكي صوت الرعد من بين السحاب ، وتتبعهنّ عازفة بالناي تبعث في نفسه المجون ، والحنين إلى زمن الشباب [١] :

ومنزل قينةٍ سهل الجناب ... تضــمــن كــل آنسة كــعــابِ

فمن عوَّادة تشدو وأخرى ... بمــعــزفة وأخــرى بالــربابِ

ومحسنة موقــعــة بطبل ... كصوت الرعد من خلل السحابِ

وشافعة صواحبــها بناي ... أحــنُّ من الخليع إلــى التصابي

إن هــذا النص يكشف عن بعض أدوات الموسيقى التي كانت معروفة في عصره ، وأن النساء هن اللواتي كن يعزفن .

وقد أعجب كشاجم بالعود فصوره أيما تصوير [٢] ،وهو كثيراً ما يقرن بين صورة المغنية وصورة العود ، فهذه العوادة كثيرة النغمات ، تطرب الشاعر وترتقي به إلى مستوى الأفلاك ، لأنهــا تعبر عن مشاعره الحزينة ، وهذا عودها في صورة شخص يعانق ويتكلم وينطق ، وإذا مــست أوتاره بأناملها ، كانت كلطف يد الطبيب عندما يتفحص عروق المريض ، وهي تحركه برشاقة لتستخرج ألحانه الغليظة كالرعد، والرقيقة الحادة البرق [٣] :

وكثيرة النغمات تحسبها ... في كلّ عضو أوتيت حلقا

غنَّت فخلت إخالني طرباً ... أسمو إلى الأفلاك أو أرقى

تحكي أنيني وهي سالية ... مما أجنّ وتشتكي عشــقا

وترى لها عــوداً تعانقه ... وكلامه وكلامــها وفــقا

لــو لم تحــرِّكه أناملها ... كــان الهــواء يفيده نطقا

جسّته عالــمــة بحالته ... جسّ الطبيب لمدنف عرقا

فحسبت يمنــاها تحرّكه ... رعــداً وخلت يسارها برقا

---

(١) الديوان : ١/٣٠، ٣/٣١-٥.
(٢) الديوان : ١/٥١-٦، ١/٥٧-٧، ١/١٩٩-٥، ٣/٣٢٤-٥، ١/٣٥٩-٦.
(٣) الديوان : ١/٢٨٤-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفـــي صورة أخرى يشبه العود في حجر المغني بالطفل في حضن أمه ، ويشبه الضرب على أوتاره بالجروح التي في الصدور ، وهو لا يفهم الكلام ولكن كلامه واضح مفهوم [١] :

متوسّدٌ يسرى يديه ممهِّـدٌ ... كـــالطفل إلا أنه مـــفـــطـــومُ

مستعجمٌ لا يستبين كلامـــه ... حتى يرى في الصَّدر منه كلومُ

لا يفهم النجوى إذا خاطبته ... وحديثه مستحسن مـــفـــهـــومُ

ويعتبـــر كـــشاجم " هـــو رب هـــذه المدرسة ورأس هذه الفرقة من الشعراء الذين فتنتهم الموسيقى وآلاتها ، وبهرتهم براعة العازفين والعازفات ، فسجلوها شعراً بارعاً ، أبرز أوصافه الدقة المتناهية المصحوبة بالإطراف في المعاني ، وحسن التصرف في الصياغة ، بحيث أنتجوا لـــنا أدباً موسيقياً جديداً طريفاً لأول مرة في تاريخ الأدب العربي " [٢] وهذه شهادة تنزل شعر كشاجم في الموسيقى المنزلة التي يستحق ويستأهل .

رابعاً : صورة المأكولات .

اعتنـــى كشاجم بوصف المأكولات ، المطبوخات والحلويات ، وطرق تهيئتها وإعدادها ، وتـــزيين الموائد بها [٣] ، وألف في ذلك " كتاب الطبيخ " ، وقد كان يهم إلى إعداد الطعام على الرغم من كثرة غلمانه وطباخيه [٤] :

طعام إذا ما شئت باكرت طبخه ... على كثرة من غلمتي وطهاتي

فمـــن الأمـــثلة على المطبوخات ، تصويره دجاجة حماضية الطعم ، كبيرة الحجم ، وقد فـــصّل الأمر فيها منذ ذبحها بالسكين الحادة ونتف ريشها وتقطيع أعضائها ، إلى أن تم طبخها علـــى الـــنار ، وإضـــافة اللـــوز وماء الورد إليها ، ففاحت منها الروائح الطيبة وصارت لذة الآكلين ، يقول في ذلك في أرجوزة [٥] :

دجاجة في شبه السّمندِ ... نبيلة وفـــخـــرها بالهنـــدِ

تفرق بين ريشها والجلدِ ... وفصّلت أعضاؤها من بعدِ

حتى إذا أسرعها بالوقدِ ... صبّ عليها اللوز مثل الزبدِ

وعلّيت بعد بمـــاء وردِ ... ثم أتـــى يسعى بها كالمهدي

كأنها قد بخّرت بالندِّ

---

(١) الديوان : ٣٥٢/٢٠-٢٢.
(٢) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٣٨٣-٣٨٤.
(٣) الديوان : ١١٠/١٦، ٤٣١/٦، ٤٠٠/٢-٤.
(٤) الديوان : ٥٤/٨.
(٥) الديوان : ٤٣٤/٥و٩و١١-١٣.السمند كلمة فارسية وتعني : الفرس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــن الأمـــثلة علـــى الحلويات ، تصويره القطائف المصفف بعضه فوق بعض ، كأنه الحـــزمة مـــن الكتب ، أما أشكاله البيضاء المثقبة فتشبه عسل النحل في شمعه ، وقد غرق في دهـــن اللوز وماء الورد والسكر ، فصار بذلك خير طعام لأضيافه الجائعين يقول في أرجوزة أيضاً [١] :

عندي لأضيافي إذا اشتد السغبْ ... قطـــائف مثل أضابير الكتـــبْ
كـــأنَّه إذا تبـــدّى مـــن كثـــبْ ... كوائر النحـــل بيـــاضاً وثقـــبْ
قد مجّ دهن اللوز مما قد شربْ ... وابتلّ ممـــا عام فيـــه ورسبْ
وجـــاء مـــاء الورد فيه وذهبْ ... وغاب في السكر عنَّا واحتجبْ

ونلحـــظ مـــن هـــذه الصور اتكاء الشاعر على بحر الرجز الذي يستخدم في الأغراض الـــسريعة ، وهو ما يتطلبه إعداد الطعام بمراحله المتعاقبة . كما أنها صور تهدف إلى الشرح والتوضيح ، وتتضمن نوعاً من العبث العقلي والرياضة الأدبية ، وبذلك قل وهج العاطفة فيها ، وإن لم تخل من جمال في التصوير.

و نستطيع أن نتلمس مقدرته التخييلية من خلال وصفه للمأكولات ، إذ إنّ " صور الشعر أو مخـــيلاته ، تثير جانباً خاصاً من الصور الذهنية ، المختزنة في القوة الذاكرة لدى المتلقي " فـــتدفعه إلـــى " طلـــب الشيء أو فعله ، أو التخلي عن طلبه أو فعله " [٢] . وهو ما حصل مع الحلـــيفة المـــستكفي بالله عندما استمع إلى أشعار في وصف الأطعمة ، وكان حظ كشاجم فيها وافراً ، فأمر بإحضار كل ما ذكر ، وسر بذلك اليوم سروراً كبيراً [٣] .

خامساً : صورة أدوات الكتابة .

أعجـــب كـــشاجم بالكتابة اليدوية التي شاعت في عصره ، وجعلها موضوعاً للكثير من الصور التي امتدح فيها الخط الجميل [٤] ، وفي هذا تعبير عن ذوق فني رفيع ، تمثل في تشبيه الخطـــوط بأزهـــار الرياض المتناثرة ، أو الثياب المزركشة ، وقد ورث هذه المهارة عن جده الـــسندي الـــذي كان ينقش الحروف والأشكال في النقود ، فحرف النون يشبه عطفة الصدغ ، ويتـــبع الألف ذا القامة الطويلة ، في إشارة إلى تناسق الكتابة واستقامة السطور. قال عن فعل أقلامه [٥] :

وهـــي لو أعملت جرت لشبيه ... كشتيت الـــرِّياض أو كالبـــرودِ

---

(١) الديوان : ١/٣٩-٤.
(٢) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص٢٩٨.
(٣) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤، ص٣٦٣-٣٧٠.
(٤) الديوان : ١/٢٧٧-٤، ١/٣٢٥-٢، ٣٠/٣٨٢-٣١.
(٥) الديوان : ٤٢/١١٤، ٤٣/١١٥-٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سطور أعارها جدي السِّنـــ ـــديِّ من نقش نِقسِهِ في النقـــودِ
كـــلُّ نون كعطفة الصُّدغ تقفو ألفـــــاً مثـــل قـــامـــة المقـــدودِ

وصور الأدوات التي يحتاجها لهذه الكتابة ، فهو ينتقي المحبرة بعناية ، ويحليها بالفضة والذهب ، حتى ليزهو بها العالم العاقل ، وهي مثقوبة تشبه قرط الفتاة الناعمة العفيفة ، وحبرها كالمطر والكتابة كالعشب ، وكلماته السوداء تتضمن معان مبتكرة بيضاء كالشهب [١] :

نعم وحسبي من دويّ تنتخبْ

محلـَّيات بلُـجَـينٍ وذهـبْ محبرة يزهى بها الحبـــر الألبْ
مثقـــوبة آذانـــها وفـــي الثقبْ مثل شنوف الخرّد البيض العُرُبْ
تضمن قطراً فيه للكتب عشبْ أســـود يجري بمعان كـــالشهبْ

وشبه الأقلام التي تدخل في المقلمة بالنبال التي تدخل في الكنانة ، لكن الأقلام لا ريش لها ولا أعقاب ، ثم رسم صورة للأقلام والأوراق ، والسكين التي تبري الأقلام ، قوامها الاستعارة التي تفيد التشخيص ، فالأقلام تنتحب ، والأوراق تضحك ، والسكين كالسيف القاطع ، تغضب ، وتسطو ، وتثب ، وترضي ، وفي هذا علامة على ظرافة كشاجم الأدبية التي اشتهر بها [٢] :

كنـــانة تـــودع نبلاً مـــن قصبْ لم يعلُها ريشٌ ولـــم تكس عقبْ
لا تضحك الأوراق حتـــى تنتحبْ ترمي بها يمناي أغراض الكتبْ
رمياً متى أقصد به السّمت أصبْ ومدية كالعضب مـــا مسّ قضبْ
غضبى على الأقلام من غير سببْ تسطو بـــها في كـــل حين وتثبْ
وإنما ترضيك فـــي هـــذا الغضبْ فتلك آلاتـــي وآلاتـــي تـــحـــبْ
والظرف في الآلات شيء مستحبْ لاسيّما مـــا كـــان منـــها للأدبْ

ولعـــل اعتناءه بهذه الأدوات ناجم عن مهنته في الكتابة ، وموافق لطبيعته المرحة ، التي تبغي الطرافة واللطافة في كل شيء .

سادساً : صورة بعض أدوات الترف .

لـــم يفـــت كشاجم ، وقد تعرض إلى صميم الحياة الاجتماعية ، أن يصور بعض أدوات الترف ، وأن يتناولها في شعر مترف يتناسب وطبيعة هذه الأدوات ، فصور الشموع الصفراء التـــي كانت تضيء القصور ، وشبهها بالنحل لأنها تستخرج من خلاياه ، فهي محشوة الداخل فارغـــة الظاهر ، وأمعن في التخييل فشبهها بالعذارى ، ولكنها تفتض من أعلاها عندما تحرق

(١) الديوان : ١٣/٦-٧، ١٤/٨-٩.
(٢) الديوان : ١٤/١٢-١٥، ١٥/١٦-١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذؤابـــتها بالـــنار ، كما شبهها بالكواكب المنيرة ، وناسب بين ضيائها ومحاسن الملك الذي قدّم الشموع هدية له [١] :

وصفر من بنات النحل تكسى ... بـــواطنها وأظهرها عـــواري
عذارى يفتضضن من الأعالي ... إذا افتضت من السّفل العذارى
وليست تنتج الأضواء حتـــى ... تلقـــح مـــن ذؤابتـــها بـــنـــارِ
كواكب لسْـــن عنـــك بآفلات ... إذا مـــا أشـــرقت شمس العقارِ
بعثت بها إلـــى ملك كـــريـــم ... شريـــف الأصل محمود النّجارِ
فأهديت الضياء بها إلـــى من ... محاسنه تضيء لكـــل ســـاري

وصـــور النار التي تمنحه الدفء في الشتاء ، فشبه الرماد الأبيض فوق الجمر الأحمر ، بالكافور المنثور على الورد الأحمر [٢] :

كأنَّـــما الجمر والرماد وقد ... كاد يواري من نوره النورا
ورد جنيّ القطاف أحمر قد ... ذرّت عليه الأكف كافـــورا

كمـــا صور الكانون الذي كانت توقد فيه هذه النار ، فهو شديد الاشتعال ، تتأجج النار في داخلـــه فتخرج لهباً ملوناً ، أبهج نفس الشاعر فشبهه بالرياض ، وبخضرة الحرير ، وبصفرة الذهب [٣] :

هلـــمَّـــا بكـــانوننا جامـــحـــاً ... وقـــولا لمـــوقدنا أجّـــجِ
إلـــى أن تريا لهباً كالـــرياض ... فناهيك من منظر مبهـــجِ
فـــمـــن شُـــعَـــبٍ لازوَرْديـــّة ... تصاعد في حالك مدمـــجِ
ومن عَذَب في اخضرار الحرير ... وفي صفرة التبر لم تنسجِ

أمـــا فـــي الصيف عندما يشتد الحر ، فقد صور مروحة الخيش – التي يحركها الهواء ، فتجلب نسيماً عليلاً يخفف من حرارة الجو – وشبهها بالبيت الذي يقوم على أربعة أسس واهية ثم شخص هذا البيت ، فجعل له ثوباً من ماء ، وشبهه بالفرس وقد ألبس ما يصان به [٤] :

وبيت نشيـــّـــده في الهجير ... علـــى غير أسٍّ وثيق البنـــاء
ونهجـــره عند لفح الشتـــاء ... إذا كـــان عنَّـــا قليـــل الغناء
فيالك بيتـــاً حكـــاه الحكيم ... حصيناً من الحرّ رحب الفناء

---

(١) الديوان : ١/٢٠٣-٦.
(٢) الديوان : ١/٤٣٠، ٢/٤٣١.
(٣) الديوان : ١/٦٥-٣، ٤/٦٦.
(٤) التيفاشي ، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تحقيق: إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٨٠ ، ص٢٢٨-٢٢٩. إحسان عباس ، ديوان كشاجم ، تقييم وإضافة ،ص٢٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحمل ماءً كحمل السحاب ... وليس يجود بغـــير الهـــواء
إذا قـــام قـــام علـــى أربع ... ومن أثوابـــه ثوب مـــــــاء
حكى فرســـاً بات في جلّه ... وقد أسبل الغيث تحت السماء

ونلحـــظ في صور هذه الأدوات قدراً من السردية ، ناجم عن تداعي المعاني في العقل ، وهـــي صور تنم عن المشاعر التي تصدر عنها ، في بهجة النفس ، وسعادتها ، بالإضافة إلى مافـــيها من دقة في التصوير ، وبراعة في الوصف ، وظرافة في العرض ، ولا غرو فكشاجم " إمام اللطائف وشاعر الأوصاف الجديدة " [١] .

(١) مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٥٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

بناء الصورة الفنية في شعر كشاجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

البناء البلاغي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

البناء البلاغي

إن الـــصورة البلاغـــية تتدرج من الوضوح والبساطة إلى الغموض والتعقيد ، وهي على درجـــات متباينة في دلالتها الأدبية وأشكالها الجمالية ، بما تضفيه على النص الشعري من متعة فنـــية ورؤى وإضـــاءات جديدة ، ومن هنا فلا بد من معرفة مراتبها ، ومدى شموليتها وامتداد إشـــعاعها ، وارتـــباطها بالسياق العام والصورة الكلية التي قصدها الشاعر ، فهي لبنة في بناء متكامل متجانس ذي اتساق .

وقـــد تنوعت أشكال الصورة البلاغية في شعر كشاجم ، ومن هذه الأشكال الآتي بيانه ، مرتباً من البسيط إلى المعقد .

أولاً : الصور الإشارية .

والإشـــارة تعنـــي " الطريقة البسيطة التي يدل بها على المعنى بتوجيه بسيط أو بتلميح خفيف " [١] . مثال ذلك قول كشاجم يصور موقفه بين يدي حبيبه [٢] :

أكاتمُ حبّه الواشيـــ ـــنَ والعبراتُ تظهرُهُ
وأذكر خالياً حُجَجي وأنسى حين أبصـــرُهُ

إن دموع العاشق وحيرته عند لقاء حبيبه تشير إلى عميق المحبة التي يحملها قلبه ، حتى لو أنـــه لم ينبس ببنت شفة ، ونحن ندرك أمثال هذه الحالة لأننا نعيشها في تجربتنا الحياتية ، وقد اكتفى الشاعر بمجرد الإشارة إليها ليثيرها في أذهاننا ويحييها من جديد .

وتأتي الصور الإشارية على ثلاثة أنواع هي :

أ- **الوصـــف :** وهـــو " رسم الصورة بطريقة مباشرة مع الاحتفاظ بقدر من الإيحاء يمنع الحرفية المحتملة فيه " [٣] . فمن ذلك وصفه القتلى من أعداء الإمام الحسين في كربلاء ، وهي صـــورة توحـــي بافتخاره ببطولة الإمام الحسين ، كما توحي بنشوة انتصار جزئي تحقق على أرض المعركة [٤] :

وكمْ أنفُسٍ في سعيرِ هَوَتْ وهامٍ مطيّرةٍ في الهواءِ !

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٩٩.
(٢) الديوان : ٤/١٦٢-٥ .
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٠٠.
(٤) الديوان : ٥/٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورة أخرى يصف فيها مغنياً [١] :

ما رآهُ أحدٌ في دار قومٍ مرّتين ِ

قد يكون ذلك على وجه الحقيقة ، ولكن الإيحاء يكمن في نفس الشاعر تجاه هذا المغني ، ببغـــضه إياه ، فيا ترى كم كان صوت هذا المغني قبيحاً حتى وصل به إلى هذه الحالة ؟ ولعل هـــذا ما دفع أبا بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـــ) إلى أن يقول : " أنا أحفظ في هجاء المغنين قرابة ألف بيت ، ليس فيها أبلغ وأملح وأوجز من قوله : ما رآه أحد في دار قوم مرتين " [٢] .

ب- الكـــناية : وهـــي " لفـــظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه " [٣] . مثال ذلك قوله [٤] :

لولا أبو الفرج الذي فـــرُجّتْ به كـــرَبي لما جقّتْ لـــبُودُ جيادي

وقوله [٥] :

فتارةً فوق ظهر سَلْهبةٍ قطاتـــُها بالبِدادِ مُنْعَقِرَه ْ

فهـــو يشير في البيت الأول إلى أن تربية ابنه أبي الفرج قد أعاقته عن الترحال والتنقل ، فعبـــر عن القرار والإقامة بقوله : " جفت لبود جيادي " أما عندما سافر وارتحل فقد صور ذلك في البيت الثاني بخيل أضناها طول السفر " قطاتها بالبداد منعقرة " وفي كلتا الحالتين نجده يتخذ من الكناية وسيلة مثلى للتعبير عن مقاصده .

ومن الصور الكنائية قوله [٦] :

كمْ مِنْ يدٍ ندمت على إمساكها في شغلها لمّا غدت متعطله ْ

وقوله[٧] :

قد كان بابيَ للعافينَ منتجعاً تنتابه ثلـــّةٌ في إثرها ثلـــّه ْ

وقوله[٨] :

أهانَ المالَ للآما لِ في القلـــّةِ والكثره ْ

فهـــو عندما أراد أن يحذر من البخل كنى عنه بقوله : " كم من يد ندمت على إمساكها " وفـــي المقابـــل فإنه يكني عن كرمه وإحسانه بقوله : " قد كان بابي للعافين منتجعاً " وهي ذات

---

(١) الديوان : ٢/٣٩٦.
(٢) الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٢، ص١٣٧.
(٣) الخطيب القزويني،تلخيص المفتاح،في المعاني والبيان والبديع،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر،ط١،١٩٣٨،ص٣٠٧.
(٤) الديوان : ١/١٢٧.
(٥) الديوان : ٣١/٢٠٦.
(٦) الديوان : ١٢/٣٣١.
(٧) الديوان : ٢٠/٣١١.
(٨) الديوان : ٢٢/١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة التي مدح فيها صديقه " أهان المال "،وهكذا نلاحظ كيف تتعانق صور الشاعر وتتكامل ، لتعطينا في النهاية صورة رائعة عن الأحوال والصفات التي تطرق إليها .

وكـــشاجم فـــي استخدامه الكناية يجعل الصورة الإشارية جزءاً مكملاً للصورة الكاملة ، انظر إلى قوله [١] :

وقصَّروا أن ينالوا بُعْدَ شأوِ فتىً جرى فأحرز في مِضْمارِهِ الخصْلهْ

إذ جـــاءت الكـــناية في قوله : " أحرز في مضماره الخصلة " لترسم صورة الوزير ابن مقلة ، الذي أحرز الظفر والفوز وتفوق على منافسيه ، وقد أكد الشاعر هذا المعنى في بيت سابق [٢] :

جارى إلى المجدِ أقواماً فبذهُمُ وجاءَ مِنْ بعده مَنْ رامه قبلهْ

وهكـــذا فـــإن الصور الإشارية قد ساهمت في رفد الصورة الكبرى ، وأضاءت جوانبها بوضوح وإشراق .

ولعـــل العقـــل الـــراجح والحزم في الأمور من الصفات المهمة للأمراء ، ولذلك حرص كشاجم على نسبتها إلى أحدهم بقوله [٣] :

لبسَ القِباءَ فلم يَعِبْهُ وأيقنوا أن النُّهى والحزمَ حشو قِبائهِ

وقـــد جـــاءت الصورة الكنائية هنا متناغمة ومنسجمة مع الصور الأخرى التي رسمها الشاعر للأمراء ، لتضيء بقوة جانب الدهاء والشجاعة الواجب على الأمير أن يتحلى به .

جـــــ المجاز المرسل : وهو " ما كانت العلاقة بين ما استُعْمِل فيه وما وُضِع له ملابسةٌ غير التشبيه " [٤] . ومن أمثلته قوله [٥] :

فرأيتُ الأشياءَ تقصرُ عنْ وجهٍ علا أن يُرى له من مُداني

وقوله [٦] :

فلستُ آبى ولو سقوني على أغانيه نيلَ مصرِ

وقوله [٧] :

فيُعلمُ مَنْ في ظِلال النعيـــمِ ومن في الجحيمِ عليهِ ظـــُلَلْ

---

(١) الديوان : ٤٧/٣١٤.
(٢) الديوان : ٤٥/٣١٤.
(٣) الديوان : ١/٤١٨.
(٤) الخطيب القزويني ، تلخيص الإيضاح ، ص٢٦٥.
(٥) الديوان : ٥/٣٩٨.
(٦) الديوان : ٢٠/٤٢٥.
(٧) الديوان : ٤٦/٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله [١] :

وتارةً في الفراتِ طاميةً أمواجُهُ كالجبالِ معتكره

وقوله [٢] :

و يدٍ له بيضاءَ ضاحيةٍ مثل المُلاءةِ حاكها القِبْطُ

لقــد ناب الوجه في الصورة الأولى عن الإنسان صاحبه (العلاقة التناسبية هنا الجزئية) وكل نهر النيل في الثانية عن بعض مائه (الكلية) والنعيم والجحيم في الثالثة عن الجنة والنار (الحالّيّة) ونهر الفرات في الرابعة عن الزواريق الحالة فيه (المحلّيّة) واليد في الخامسة عن الفضل و المعروف (السببية) .

ونلحظ في المجازات المرسلة السابقة ارتفاعاً عن الأسلوب المباشر في الوصف ، كونها تعطي الخيال فرصة للانطلاق والتصوير ، وتشي بدلالات وإيحاءات لمعاني أخرى غير المعنى المباشر الذي يبدو من خلال المعنى المعجمي للكلمات ، وهي كغيرها من الصور الإشارية تبدو بسيطة التركيب إذا ما قورنت بغيرها من الصور البلاغية .

ثانياً : الصور التشبيهية .

يعــد التشبيه من الأشكال البلاغية التي لها القدرة على إبراز الصورة وإخراجها في إطار جمــيل ، وتعتبــر الصور التشبيهية مرحلة أرقى من الصور الإشارية ، محلة لا تكتفي بمجرد إنابة شيء عن شيء لعلاقة فعلية بينهما ، بل انتقلت إلى " عقد مقارنات بين أشياء لا تجمعهما ، بالضرورة ، تلك العلاقة ، وإنما يجمعهما تماثل في الشعور " [٣] .

وقــد أكثــر كشاجم من استخدام الصور التشبيهية في شعره ، منوعاً في أدوات التشبيه ، فذكر من الأسماء : مثل وشبه ، ومن الأفعال : يشبه وشبهت ويحكي ويخال ، أما الحروف هي أكثرها وروداً ، وقد غلب استعمال " كأنّ " على " الكاف " نحو قوله يصف روضاً [٤] :

يُعِيْرُ الرِّيحَ بالنفحاتِ ريحاً كأنَّ ثراهُ من مســكٍ فتيــقِ

كــأنَّ الطلَّ منتثراً علــيهِ بقايا الدمعِ في الخدِّ المشوقِ

كأنَّ غصونَهُ سُقِيَتْ رحيقاً فماستْ مَيْسَ شُرَّاب الرَّحيقِ

كــأنَّ شقائقَ النعمانِ فيهِ مخصَّرةً كؤوسٌ من عَقِيــقِ

كــأنَّ النرجسَ البريَّ فيــه مَداهِنُ مــن لُجَينٍ للخَلــُوقِ

---

(١) الديوان : ٣٢/٢٠٦.
(٢) الديوان : ٢٤/٢٥٣.
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٠٣.
(٤) الديوان : ٣/٢٨٦-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهــذه الأداة ، كأن ، ترتبط بشعور عميق وبقوة غير عادية لا نجدها مع الكاف ، فقولك " كــأن زيــداً الأسد " أبلغ من قولك " زيد كالأسد " لأنك " تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه ، وأنــه لا يــروعه شيء ، بحيث لا يتميز عن الأسد ، ولا يقصر عنه ، حتى يُتوهّم أنه أسد في صورة آدمي " [١] .

ومن أشكال الصور التشبيهية عند كشاجم :

أ- **التشبيه البليغ:** ويعرف التشبيه البليغ بأنه التشبيه الذي تحذف منه الأداة ووجه الشبه . نحو قوله يصف مرآة أهداها [٢] :

هــي دنيا بــها تفاءلتُ إلاّ أنَّها خِلْوَةٌ من الأحزانِ

هي شمسٌ فإنْ مثالكَ يوماً لاحَ فيها فأنتما شمسانِ

فالمــرآة هنا تشبه الدنيا إلى حد كبير ، أو ليست تعكس صورة كل شيء يوضع قبالتها ؟ ولكن الشاعر لا يكتفي بذلك ، بل يمعن في التشبيه جاعلاً من هذه الدنيا مصدراً للتفاؤل وطرد الأحــزان ، وهــو يجهد نفسه في إيجاد صلة بين ما يصفه وبين صفات ممدوحه ، فيجعل من المرآة والممدوح شمسين متقابلتين .

وفي صورة أخرى يشبه أقلامه بالرماح [٣] :

وإذا تشاجرتِ الرما حُ فإنَّ أقلامي رماحي

وهــي صورة جزئية تكمل لوحة فخر الشاعر بنفسه وببلاغته ، فهو يتصف بالشجاعة ، ولــذلك اخــتار الرماح التي ترمز إلى الإرادة الماضية ، وفي حذف الأداة ووجه الشبه يتحرك خــيال المتلقــي لينفتح على صورة متشكلة من كل أبواب التخيل ، فللمتلقي أن يتصور صورة المــشابهة بــين الأقــلام والــرماح ، تلك الرماح التي تمتلك من عناصر القوة وأسباب النصر والبطولة ما يدفع بالمتلقي إلى تخيل الأقلام في قوتها ، وقدرتها على انتزاع الظفر والانتصار .

ب- التــشبيه التمثيلــي : وهــو التــشبيه الذي يكون طرفاه (المشبه والمشبه به) في صورتين ، ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد . نحو قوله يصف روضاً [٤] :

كأنَّ الطلَّ منتثراً عليهِ بقايا الدَّمع في خدِّ المشوقِ

فهو هنا يشبه الطلّ وهو منتشر على أزهار الروض ، ببقايا الدمع العالق في الخد الجميل .

وفي صورة أخرى يقول [٥] :

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٢٥٨.
(٢) الديوان : ٣٩٩/٢١-٢٢.
(٣) الديوان : ٧٣/٢٤.
(٤) الديوان : ٢٨٦/٤.
(٥) الديوان : ٦٨/٣-٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغارُ إذا دنتْ من فيهِ كاسٌ على دُرٍّ يقبِّله زجاجُ

وأشفقُ إن دنا المصباحُ منهُ على بدرٍ يقابله سراجُ

إنه يصور دنو الكأس من فم الحبيب ، فيشبه أسنانه البيضاء بالدرّ ، ثم يشخص الزجاج فيجعل منه إنساناً يقبل حبيبه ، كما يصور وجه حبيبه وقد اقترب منه المصباح ، بالبدر المنير الذي تقابله الشمس المشرقة .

وتبقى ظرافة كشاجم تلازمه ، حتى في المواقف الحزينة الباكية ، فنراه يرسم صوراً للمرأة وقد حضرت مأتماً فيقول [١] :

ثم جاءتْ لمأتمٍ آه من ذاك المجي

في ثيابٍ كأنَّها وردةٌ في بنفسجِ

ويقول أيضاً [٢] :

بيضٌ لبسْنَ حدادهنَّ لمأتمٍ فلبسْنَ منه الليلَ فوق نهارِ

ففي الصورة الأولى يشبه وجه المرأة في اللباس الأسود ، بالوردة وقد أحاطت بها شجرة البنفسج ، وفي الصورة الثانية يشبه الثياب السوداء على أجساد النساء البيضاء ، بالليل المظلم الذي يلف النهار المشرق .

ولعل الصور التشبيهية السابقة جاءت لتستكمل صورة المرأة الكلية ، كما أحبها كشاجم ، منيرة الوجه ، مورّدة الخدّين ، بيضاء الجسد ، تفتنه في مجيئها والإياب .

جـ أساليب بلاغية تسلك إلى المشابهة طريقاً غير طريقته المألوفة ومنها [٣] :

١- **أسلوب المخالفة** :ومثاله قول كشاجم يصف خروجه إلى الصيد [٤] :

مستصحباً شكَّة ليستْ ليوم وغىً ولا لثارٍ من الأعداءِ مطلوبِ

وقوله يصف الرياحين [٥] :

وصنوفٌ من الرياحين ليستْ من عرارٍ ومن أفانينَ شيحِ

فالشاعر وهو ينفي الصورة يعقد مماثلة بين سلاح الصيد وسلاح المعركة أو طلب الثأر ، كما في الصورة الأولى ، وبين الرياحين ورائحة العرار والشيح،كما في الصورة الثانية ، وبذلك يسلك طريقاً جديدة إلى التشبيه .

---

(١) الديوان : ٣/٦٥-٤.
(٢) الديوان : ١/١٦٢.
(٣)عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٠٥-٢٠٦.
(٤) الديوان ، تحقيق وشرح وتقديم ، خيرية محمد محفوظ ، ١١/٥٦.
(٥) الديوان : ١١/٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **أسلوب الإيماء بالتشبيه :** ومثاله قوله يصف غناء عوّادة [١] :

فما برحتْ حتى أرتني مُخَارقاً تجاوبه في أحسن الشـَّدوِ عَشْعَثُه ْ

وحتـَّى حَسِبْتُ البابليَّينِ ألقيا على لفظها السِّحرَ الذي منه تنفثُه ْ

إنـــه يومئ إلى المشابهة بين وضع حاضر ، وهو حسن صوت العوّادة وجمال ألفاظها ، ووضـــع غائب ، وهو غناء اثنين من مشاهير المغنيين في بداية الدولة العباسية ، وهما مخارق وعــثعث، وسحر البابليين هاروت وماروت . وقد تمثل الشاعر الحالين في نفسه ، ثم أومأ إلى المشابهة بينهما في شعره .

٣- **أسلوب النسبة :** وهو أن يبني الشاعر التشبيه بإضافة ياء النسبة إلى المشبه به . كما في قوله يشبه عيني المرأة بعيني البقر الوحشي [٢] :

وحشيَّةُ العينينِ ميَّاسةُ الـــ ـــعِطْفَينِ من تربيةِ القصرِ

أو يشبه قوامها اللين بالخيزران [٣] :

خيزُرانيَّةُ المعاطفِ قصريـْ ـــيَةُ الطـِّرارِ والأكوارِ

وكذلك في تشبيهه لون الخمر بلون الورد [٤] :

ومدامةٌ وردية ٌ مخبوءة ٌ من عهد كسرى

وتشبيهه لون الخدّ بلون الذهب [٥] :

ذهبيُّ الخدِّ تحسبُ من وجنتيهِ النارَ تنقدحُ

٤-**أسلوب المقارنة أو المفاضلة :** وهو أسلوب يحقق دلالة التشبيه . كما في قوله يصور الجزع من فراق الأحبة [٦] :

فمـــا وحشيـــَّةٌ أدْماءَ ترعى أغـــَنَّ كعطفةِ الخَلْخالِ ضاوي

فأغْفَتْ ســـاعةً عنهُ فأصْمى حشـــاهُ بِنَبـــْلِهِ غَرْثانَ طـــاوي

فباتتْ مـــن تحرُّقـــها علـــيهِ بداءٍ مـــالـــها منـــهُ مـــداوي

تثيرُ ترابَ مصْرَعِهِ بقـــرنٍ أجـــَمَّ كأنـــَّهُ بعضُ المـــلاوي

بأجزعَ منـــكَ يوم تقولُ عذراً أفي الغادينَ أنتَ أم أنتَ ثاوي ؟

---

(١) الديوان : ٦/٥٧-٧.
(٢) الديوان : ١/١٦١.
(٣) الديوان : ٣/١٤٨.
(٤) الديوان : ٤/١٩٨.
(٥) الديوان : ٦/٦٩.
(٦) الديوان : ١/٤١٠-٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشاعر هنا يدفعك إلى أن تتأمل حرقة الغزالة على ولدها الميت ، وحالتها البائسة عندما تعقّــر التراب من حواليه بقرنها ، لتدرك هول الجزع من فراق الأحبة ، بما يدعوك إلى الكف عن الرحيل ، والإقامة بين محبيك وخلانك .

ثالثاً : الصور الاستعارية .

يعــرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة من خلال التشبيه ، فيجعله أساساً لها ، وفي ذلك يقول : " أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونط من التمثيل " [١] وهو يؤكد جانب الاختصار فــي الاستعارة التي هي عنده صورة مقتضبة من صور التشبيه فيقول : " والتشبيه كالأصل في الاستعارة ، وهي شبيه بالفرع له ، أو صورة مقتضبة من صوره " [٢] .

أمــا في النقد الحديث فإن التعريف ينعكس ، إذ " بينما كانت البلاغة القديمة ترى في كل استعارة تشبيهاً ضمنياً ، فإن البلاغة الجديدة على عكس ذلك تنظر إلى التشبيه باعتباره استعارة مكشوفة ومباشرة ومنقوصة " [٣] . والاستعارة هنا تنقل إحساسنا بالمشابهة درجة أعلى ، بحيث يبلغ مداه حينما يدخل المشبه في جنس المشبه به ويصير جزءاً منه " كأن بين أيدينا سلماً تتعاقب درجاتــه ويرتقــي فيه الخيال درجة درجة ، أو سلسلة تتواصل حلقاتها ، ويمضي فيها الخيال واحــدة بعــد واحــدة ، يبدأ مع بداية الحس بالمشابهة بين شيئين مختلفين ، وتنتهي عند توهج الإحساس بصيرورتهما شيئاً واحداً " [٤] .

وكــذلك فإن الاستعارة تفضل التشبيه من ناحية القيمة الفنية ، ويعود السبب في ذلك " لما يتحقق في الاستعارة من تفاعل وتداخل في الدلالة على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التشبيه ، ولما يظهر من قدرة الاستعارة على إدخال عدد كبير من العناصر المتنوعة داخل نسيج التجربة الــشعرية . إن الاســتعارة تنفرد دون التشبيه بقدرتها على الإشارة إلى عناصر خارج السياق الشعري نفسه ، ومن ثم تصبح أكثر قدرة على الإيحاء ، وإثارة قدر أكبر من التداعيات في ذهن المتلقي " [٥] .

وســوف نعــرض لأنواع الصور الاستعارية عند كشاجم ، من أبسط حالاتها إلى أشدها تعقيداً .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص٢٠.
(٢) نفسه ، ص٢٩.
(٣) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع السياسة ، الكويت ، ع١٦٤،أغسطس١٩٩٢، ص١٤٩.
(٤) محمد أبو موسى ، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، مكتبة وهبة ، مصر ، ط٢، ١٩٨٠، ص١٧٦.
(٥) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص٢٤٧-٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- **الاستعارة المثلية :** " وهي مبنية على أساس حلول حسي محل حسي آخر " [١] ، فهي بـــذلك تغـــذي الحس قبل أن تغذي العقل ، ولكنها لا تفترض التماثل الشكلي في المحسوسين ، فالتماثل " في الداخل قبل أن يكون تماثلاً في الخارج ؛ إذ ليس من الضروري أن تتماثل الأجزاء خارج الصورة تماثلها داخلها ، ذلك لأن الصورة ، وبخاصة الاستعارية منها ، قادرة على إيجاد التماثل في اللا تماثل " [٢] .

ومن أمثلتها قول كشاجم يتغزل [٣] :

يا نديمي أطلقِ الكأ ... سَ فما للـــكـــأسِ حبـــسُ

قهوةٌ تعطيكها قبـْـ ... ـــلَ طُلُوعِ الشَّمسِ شمسُ

وقوله يصف غلاماً [٤] :

وابن دلالٍ إذا تثنّى ... رأيتَ عذراءَ بنتَ خِدْرِ

وقوله في ابنه [٥] :

كبدي وتاموري وحبّةُ ناظري ... ومؤمّلي في شدّتي ورخائي

فأبيتُ أدني مهجتي من مهجتي ... وأضمُّ أحشائي إلى أحشائي

ففي الصورة الأولى عبر عن الفتاة بالشمس ، وفي الثانية عبر عن الغلام المدلل المتثني في مشيته بالعذراء في خدرها ، والتماثل الشكلي في هاتين الصورتين واضح ، أما في الصورة الثالثة فقد عبر عن ابنه بالكبد ودم القلب وسواد العين والأحشاء ، وليس في أي منها أي تماثل شـــكلي مع ابن كشاجم ، ولكن التماثل هنا يكمن في داخل نفس الشاعر ، فهو يشعر أن ابنه هو حـــياته التـــي يعيـــشها ، ولذلك أنزله منزلة المادة في هذه الحياة ، وقد أحسن في انتقاء الألفاظ المناسبة لهذا الشعور .

ب- **التجسيد :** وهو يعني " تقديم المعنى في جسد شيئي أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية " [٦] . مثال ذلك قوله جاعلاً الفقر والغنى أثواباً [٧] :

زعموا أنَّ مَنْ أحبَّ عليَّاً ... ظلَّ للفقرِ لابساً جلبابا

كذبـــوا كمْ أحبَّهُ مِنْ فقيرٍ ... فتحلَّى من الغنى أثوابا

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٠٨.
(٢) نفسه ، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٣) الديوان : ٤٥٢/١-٢.
(٤) الديوان : ٤٢٥/١٨.
(٥) الديوان : ١٠/٢، ١١/١٠. التامور ، المهجة : دم القلب .
(٦)عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٠٩.
(٧) الديوان : ٣٦/١-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله جاعلاً الخيانة حلّة تلبس [١] :

لبستْ لي حلَّة الخيانةِ كمْ حذرتُ ذا لو وقانيَ الحذرُ

وقوله جاعلاً الوُدّ غرساً [٢] :

فقِدْماً – يا لكَ الخيرُ– غرسْتَ الوُدَّ في صدري

وقوله جاعلاً الظلم حملاً ثقيلاً [٣] :

لِمَ تحملُ الظـُّلمَ الثقيـــلَ وأنت تشكو حملَ عِقدكْ ؟

فالــشاعر هنا يعبر عن معان معدومة لا نحسها بمعان موجودة نحسها ، ودافعه إلى ذلك نابع من قرارة حسه وشعوره وتجربته في الحياة ، فهو يرى أن الفقر والغنى والخيانة صفات قد تــلازم الإنسان ، ولذلك اختار لها ما يناسبها وهو الثوب الذي يلازم الإنسان ، وهو ينظر إلى الود وتمكنه في الصدور فيختار له الغرس ، أما إذا خيم الظلم على النفوس ، فإنه يغدو كالحمل الثقيل الذي ينوء به صاحبه .

وفـــي هـــذا بـــيان لضرورة الصورة الاستعارية وأهميتها " فالشاعر عندما يحاول تحديد الماهـــية الغامضة والمراوغة لانفعالاته أو إدراكاته ، يشعر بعجز اللغة العادية عن القيام بهذه المهمـــة ، ومن ثم يضطر إلى الاستعارة التي هي بمثابة فعل غريزي ، ضروري للعقل ، أثناء تكشّفه الحقيقة وتنظيمه التجربة " [٤] .

جـــ التشخيص: وهو"إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله"[٥] . كما في قوله يصف سحابة [٦] :

وغاديةٍ والشمسُ في طرادها مكنونـــها للسِّرِّ في فـــؤادها

مريضةٌ تشكو إلـــى عُوَّادها بياضها قد ضاع في سوادها

لها على الروضة في بعادِها تعطـــُفُ الأمِّ علـــى أولادها

وقوله [٧] :

أهلاً بتينٍ جاءَنا مبتسماً على طبقْ

---

(١) الديوان : ٧/١٠٦.
(٢) الديوان : ٢/٤٤٦.
(٣) الديوان : ٢٥/٢٠٩.
(٤) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص١١٩–١٢٠.
(٥) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢١٠.
(٦) الديوان : ١/٤٤٠–٢و٤.
(٧) الديوان : ١/٢٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله [١] :

والغيثُ يبكي في خِلالِ نباتها والبرقُ يضحكُ منه ضِحْكَ الشَّامتِ

وقوله [٢] :

أتعجبُ أن تغارَ عليكَ أرضٌ أعيضَتْ من دنوِّكَ بالبِعادِ ؟

فالسحابة تخبئ السر في فؤادها ، وتمرض ، وتشكو ، وتتعطف ، والتين يبتسم ، والغيث يبكي ، والبرق يضحك ، والأرض تغار ،وهكذا فإن هذه الجمادات قد اكتسبت إنسانية الإنسان ، وشاركته صفاته وأفعاله .

وهذه هي ميزة الاستعارة التي نرى بها " الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية " [٣] .

د- التجـــسيم : وهو الذي " يسعى عن طريقه الشاعر إلى إيصال المعنى المجرد مرتبة الإنسان في قدرته واقتداره " [٤] . كما في هذه الصورة [٥] :

حانَ أنْ تستحيَ الأسْـــ ـــقامُ من جسمي وتَخْزَى

وهذه الصورة [٦] :

حَلُمتُ عنهمْ فأغراهمْ لجهلِهمُ حِلْمي وللجهلِ أصحابٌ وأتباعُ

وهذه الصورة [٧] :

طَمَعُ الرَّدى مُسْتَحْكِمٌ فيهِ فقد يَئِسَ العوائدُ

وهذه الصورة [٨] :

أشكو إلى الله دمعاً حائراً أبداً لا يستقلُّ ولا يجري فينحدِرُ

الخوفُ ينهاهُ والأشجانُ تأمرُهُ فقد تكافأ فيهِ الخوفُ والحذرُ

فالأسقام تستحي ، والجهل له أصحاب وأتباع ،والردى يطمع ، والخوف ينهى ، والأشجان تأمـــر ، وهكذا نجد أن هذه المعاني قد ارتقت إلى مرتبة الإنسان ، ودبت في أوصالها حياة مثل حياته ، فغدت تقدر على أن تحاكيه وتفعل فعله .

---

(١) الديوان : ٣/٥٣.
(٢) الديوان : ٩/١٢٠.
(٣) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص٤٣.
(٤) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢١١.
(٥) الديوان : ١/٢١٦.
(٦) الديوان : ٢/٢٦٣.
(٧) الديوان : ٩/١٣٩.
(٨) الديوان : ١/١٥٧-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلـــى مـــثل هـــذا الـــنهج جسّم كشاجم العلا فجعله يعشق ، والعطايا تتبرج للخطاب ، والخطـــوب تخـــاف وتتواصى فيما بينها وتهرب ، والوُدّ ينطق ، والبعاد يعشق [١] ، ومثل هذه الصور الجميلة المتناثرة في شعره كثير .

إن التجسيم هو النوع الاستعاري الغالب في شعر كشاجم ، وإذا عرفنا أنه يحتاج إلى جهد كبيـــر وتركيـــز عميق حتى يتم الكشف عنه ، أدركنا السبب في سعي كشاجم إلى الإكثار منه ، فهو يحقق لذة النفس واستمتاعها ، ويكشف عن شرفها وبعد غايتها ، وفي ذلك يقول كشاجم : " المثل العجيب والبيت النادر كلما دق معناه ولطف ، حتى يحتاج إلى إخراجه بغوص الفكر عليه وإحالة الذهن فيه ، كانت النفس بما يظهر لها منه ، أكثر التذاذاً وأشد استمتاعاً ، مما تفهمه في أول وهلة ، ولا يحتاج إلى نظر وفطنة ، وليس ذلك إلا لشرفها وبعد غايتها " [٢] .

وهكـــذا تـــضافرت أشكال الصور البلاغية ، الإشارية والتشبيهية والاستعارية ، بأنواعها المخـــتلفة ، في بناء صور منسجمة متناسقة في إطار السياق الذي وردت فيه ، وهي وإن كانت صوراً جزئية ، فإنها لم تك بمعزل عن بقية أجزاء الصورة الكبرى في القصيدة ، بل هي جزء أساسي تكميلي في هذا البناء .

(١) الديوان : ٥٧/٣١٥، ١٨/١٦و١٤، ٢٥/١٧، ١/٩٦، ٣٣/٢٠٦.
(٢) كشاجم ، أدب النديم ، ص٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الصورة المفردة والعلاقات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الصورة المفردة والعلاقات

تعتبر الصورة المفردة أبسط جزئيات التصوير ، وهي إحدى لبنات العمل الشعري ، فإذا اجتمعت هذه المفردة وتناسقت وتكاملت مع الصور الأخرى اتضح لنا البناء الشعري ، واتضحت معالم الصورة الفنية الكاملة .

وتشتمل الصورة المفردة على " تصوير جزئي محدد يقدم لنا ما نسميه الصورة البسيطة ، التي يمكن أن تدخل في تركيب بناء الصورة المركبة وهي أشمل وأكثر تعقيداً ، وتشتمل على عدة صور مفردة مبنية بناءً محكماً من خلال علاقات خاصة معنوية ونفسية " (١) .

وتنبع أهمية الصورة المفردة من كونها تعبر عن المعاني والأبعاد النفسية للتجربة الشعرية " فالأساس النفسي للصورة قائم على النزوع من داخل مضطرب إلى موضوع خارجي منسجم متحد ، والأصل في هذا الموضوع أن يكون حسياً يمكن إدراكه بإحدى الحواس ، لكن مفهوم الصورة تعدى هذا وارتضى أن تكون الموضوعات الذهنية موضوعات صورية ، وذلك لأن القاعدة الأساسية للصورة تشملهما معاً . فالشاعر وهو ينظم شعره ، تتحد في تجربته كل منازعه الداخلية سواء أكانت آتية من العقل أم من الحس ، وعندما تولد الصورة تولد مفعمة بالانفعال قادرة على بعثه " (٢) .

وبذلك فإن الصور الحسية والصور العقلية تنضوي تحت إطار واحد هو الإطار النفسي ، وهي بدورها تعبر عنه حسب الأعضاء أو القوى العقلية التي تصدر عنها،وسنبدأ بالحسية منها .

أولاً : الصور الحسية .

تنبه نقدنا القديم إلى ضرورة الملاءمة بين المعاني والأعضاء الحسية التي ندرك بها هذه المعاني ، يقول ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ): " إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه ، وبموافقة لا مضادّة معها ، فالعين تألف المرأى الحسن وتقذى بالمرأى القبيح الكريه ، والأنف يقبل المشمّ

(١) صالح أبو أصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ص٤٢.
(٢) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٧٧-١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطـــيّب ويـــتأذى بالمنتن الخبيث ، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر ، والأذن تتشوف للـــصوت الخفـــيض الـــساكن وتتأذى بالجهير الهائل ، واليد تنعم بالملمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي ، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ... ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل " [١] .

وهـــذا عيـــنه ما توقف عنده النقد الحديث ، حيث يقول لنا علماء النفس المحدثون : " إن هـــناك أنماطـــاً متعددة من الصور في الشعر ، فهناك النمط البصري ، والسمعي ، والذوقي ، والشمّي ، واللمسي ، والعضوي ، والحركي . بل إن كل واحد من هذه الأنماط ينقسم إلى أنواع أخرى متعددة ، فالنمط البصري مثلاً يمكن أن ينقسم تبعاً لدرجاته اللونية أو درجات الوضوح ، والنمط اللمسي بدوره يمكن أن ينقسم تبعاً لدرجات الحرارة أو البرودة ، أو الخشونة والملاسة ، أو اللين والصلابة . ويقال كذلك إن الشعراء يختلفون فيما بينهم من حيث قدراتهم على التخيل ، مما يؤدي ببعضهم إلى الإلحاح على نمط من أنماط الصورة " [٢] .

ومن أقسام الصور الحسية في شعر كشاجم :

أ- **الـــصور البصرية :** وهي أكثر الصور الحسية وروداً في شعر كشاجم ، كما في قوله يصف شفرتي البركار [٣] :

أشبهُ شيءٍ في اشتباكهما بصاحبٍ ما يملُّ مصحوبا

وضمُّ شطريه محكمٌ لهما ضـــمُّ محـــبٍّ إليه محبوبا

وقوله يصف حركة فرسه [٤] :

وإذا عطفتَ به على ناوَرْدِهِ لتديرهُ فكأنَّهُ برْكارُ

وقوله يصف نهر قويق[٥] :

ودارَ بأكنافها دورةً تنسِّي الأوائل بَرْكارها

إنـــه ينظـــر إلـــى تـــلازم شفرتي البركار معاً ، فيرينا صورة تلازم الصاحبين ، وضم المتحابين بعضهما ، وهو يختزن في ذاكرته عملهما في رسم الدوائر المتناسقة ، حتى إذا نظر إلـــى الطبـــيعة من حوله ، طرق باب الذاكرة ليرينا استدارة فرسه في الميدان ، واستدارة نهر قويق في جوانب مدينة حلب .

وتأتي الصور البصرية على أنواع منها [١] :

---

(١) ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٥٦، ص١٤.
(٢) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، ص٣١٠.
(٣) الديوان : ٤/٢٤و٧ .
(٤) الديوان : ٤/١٥٢. ناورد : لفظ فارسي بمعنى القتال وجولان الخيل في الميدان .
(٥) الديوان : ١٦/١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – الـــصور اللونية : ويهمنا هنا طريقة تركيب عناصر اللون بحسب طبيعة الإحساس بها ، كما في قوله يقرن اللون الأبيض بلون المعشوق ، واللون الأصفر بلون المهجور[٢] :

ياقوتةٌ صفراءُ قد رُكِّبَتْ في خاتمٍ أبيضَ كافوري
ضدَّان قد ألِّفَ معناهـــما في لون معشوقٍ ومهجورِ

كما يهمنا أن نفرق بين أن تكون المادة اللونية حداً أولاً للصورة ، وبينها حين تكون حداً ثانياً . مثال ذلك الخد في الصورة التالية ، حيث هو يعادل الورد في احمراره [٣] :

فجاءَ بها لمْ تُصَرَّدِ بقهوةٍ كخدِّهِ المورَّدِ

والخـــد فـــي هـــذه الـــصورة ، حيث جعل الشاعر من الخدود موضوعاً يعادل الورد في صفة الاحمرار ، وهو ما يعرف بالتشبيه المقلوب [٤] :

وكأنَّ نرجسنا ومُضْعَفَ وَرْدِنا سلبا الجواري أعيناً وخدودا

ومن الواضح أن الفرق في الحالين ناجم عن الحالة الشعورية الانفعالية التي تتملك الشاعر عند نظم الشعر .

٢– الـــصور الـــضوئية : جـــاء الضوء والظلام متلازمين في كثير من الصور ، كما في قوله يصف وجوه النساء البيضاء ، وشعرهنّ الأسود [٥] :

ما تغطي أكوارُ تلك البدورِ من ضيا أوجُهٍ وليلِ شُعورِ

وفـــي بعـــض الأحـــيان يكتفي بأحدهما لرسم الصورة ، كما في قوله يناسب بين ضياء الشموع التي أهداها ، ومحاسن المهداة إليه [٦] :

فأهديتُ الضياءَ بها إلى مَنْ محاسنهُ تضيءُ لكلِّ ساري

أو يستعملهما استعمالاً رمزياً ، كما في قوله يصف كلمات القرآن الكريم [٧] :

فهي مسودَّةُ الظهورِ وفيها نورُ حقٍّ يجلو دجى الظلماءِ

فالـــنور هنا رمز للإسلام ، والظلماء رمز للكفر ، ولابد أن يجلو الإسلام دجى الكفر بما يملكه من حق وقرآن مبين .

٣– الـــصور الحركية : ورد نوعان من الحركة في شعر كشاجم ، أولهما : الصورة التي دبت الحياة في موادها ، فراحت تتحرك حركة الأحياء ، مثال ذلك قوله جاعلاً الخطوب إنساناً

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٨٦–١٩٠.
(٢) الديوان : ١/١٨٨–٢.
(٣) الديوان : ١٧/١١٧.
(٤) الديوان : ١٠/١٣٠.
(٥) الديوان : ١/١٦٩ .
(٦) الديوان : ٦/٢٠٣ .
(٧) الديوان : ٨/٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتحرك ويلوذ بالفرار[١] :

ما رأتْهُ الخطوبُ أطرقَ إلا نكَصَتْ خيفةً على الأعقابِ

وثانـــيهما : الـــصورة التي تتحرك أجسام موادها على الحقيقة ، ومن ذلك مقارنته سير الخيل بسير الكلاب السلوقية في قوله [٢] :

يخبُّ خبَّاباً سَلوقيَّةً تفوتُ أوهاماً وأبصارا

أما من حيث طبيعة هذه الحركة ، ومدى سرعتها ، فإنها تأتي على ثلاثة أنواع :

أولها : الحركة الهادئة ، كقوله يصف مشية الطاووس [٣] :

ثم مشى مِشية العروسِ فمَنْ مُستطرفٍ مُعْجَبٍ ومُبْتَسِمِ

ثانيها : الحركة السريعة ، كقوله يمدح الوزير ابن مقلة [٤] :

ينفذ الأمرَ في أوحى وأسرعَ من رجع النواظرِ لا ريثٌ ولا مُهلهْ

ثالثها : الحركة المختلطة ، كقوله يصف اضطراب قلبه عند سماع الألحان [٥] :

فلا لومَ على قلبـــ ـــكَ إن هُيِّجَ فاهتاجا

ووراء كـــل من هذه الصور الحركية انطباع نفسي ، يكشف عن إحساس خاص كالغرور والإعجـــاب بالـــنفس فـــي الصورة الأولى ، أو الأمانة وحسن التدبير في الصورة الثانية ، أو الطرب كما هو الحال في الصورة الثالثة .

ب- الصور السمعية : كما في قوله [٦] :

هذا الصَّبوحُ فما الذي بصَبوح صبحكَ تنتظرْ ؟

نبـــِّه أبا بـــكـــرٍ ونا دِ أخـــا السَّماح أبا عمرْ

وادعُ المليـــحَـــة تأتنا قمرٌ لـــهـــا يحكي القمرْ

وقوله [٧] :

ما ترى في الصَّبوح أيَّدكَ اللـــ ـــهُ فهذا أوانُ حثِّ الصَّبوح ؟

غسقٌ راحـــلٌ وديكٌ صـــدوحٌ فأجبْ دعوةَ المنادي الصَّدوح

---

(١) الديوان : ٢٥/١٧ .
(٢) الديوان : ١٦/٤٤٤ .
(٣) الديوان : ١٢/٣٦٥ .
(٤) الديوان : ٥٦/٣١٥ .
(٥) الديوان : ٩/٦٧.
(٦) الديوان : ١/١٩٤-٣ .
(٧) الديوان : ١/٩٣-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن لــوحة الــصبوح تــضج بالحــركة والصوت ، وتنبض بالحياة منذ الصباح الباكر ، وتتضمن الكثير من الكلمات والتراكيب الدالة على عنصري الصوت والسماع نحو : نبّه ، ناد ، ادعُ ، ماترى ، صدوح ، أجب ، دعوة ، المنادي ، الصدوح .

وقــد أكثر كشاجم من الإشارة إلى الصوت البشري ، كصوت الخطيب ، وجمال صوت المغنــية ، وبحــة حلقهــا ، وأحاح الجرحى[١] .كما كرر من الأصوات الأخرى نباح الكلب ، وهــديل الحمــام ، وزمجرة الرعد ، وصوت الحلي على جسد الفتاة [٢] ، بالإضافة إلى صوت الإيقاع الذي هو في الحقيقة صور صوتية ومن ثم سمعية ، وسنتحدث عنه في الفصل القادم .

جـ – الصور الذوقية : وقد جاءت في شعره على ضربين.

أولهمــا : الإشــارة إلــى الذوق من خلال المادة ، وهذا غالب في صوره الذوقية كقوله مادحاً[٣] :

لكَ الخُلُقُ المعسولُ والكنَفُ الذي بمُصْطَنَع الخيراتِ أصبحَ مأهولا

وقوله متغزلاً [٤] :

أو لو سقوني السُّمَّ أشربهُ من كفها حسبْتُهُ عسلا

وثانيهما : إطلاق صفة الذوق (الطعم) مباشرة ، كما في قوله [٥] :

فالعيشُ طعمان لمن ذاقهُ والدَّهرُ ما ينفكُّ أطوارا

وقوله [٦] :

وعجبتُ منهُ بعدُ يعودُ إلى الهوى فكأنَّ عذْباً كان طعمُ عَذابِهِ

أمــا كيف لنا أن نتذوق الخلق المعسول ، أو طعم العيش ، أو طعم العذاب العذب ، فهذا متروك إلى لسان الخيال ليتذوقه كيف يشاء .

ومن الموضوعات التي كرر مذاقها في صوره : الماء الزلال ، وطعم الخمر، والصاب ، والطعم الحلو أو المر[٧] .

د– الصور اللمسية : كما في قوله [٨] :

هو ذاك الدّهْنُ أذكى نارَهُ والمزاجُ المفرطُ الحرِّ التهبْ

---

(١) الديوان : ١٩/١١٢ ، ٣/٣١، ١/١٠٨، ٢٦/٧٣.
(٢) الديوان : ١/١٢٢، ٦/٥٣، ٣/٣١، ١٠/١٨.
(٣) الديوان : ٢/٤٩٥ .
(٤) الديوان : ٣/٣٣٣ .
(٥) الديوان : ١٠/٤٤٣ .
(٦) الديوان : ٨/١٨.
(٧) الديوان : ١٠/٣٤١، ٣/٩١، ٥٤/٣١٥، ٤٢/٢١٥.
(٨) الديوان : ٦/٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله [١] :

ومددتَ ظلاً من ذرا كَ عليَّ والإحسانُ ظلُّ

ففـــي الأولـــى حرارة ، وفي الثانية اتقاء من الحرارة بالظل ، وكلاهما يتوجهان إلى جلد الخيال حتى يدرك ملمسهما .

ولا يفــوت كشاجم أن يأتي بصور لمسية من خلال ظرافته المعهودة ، كقوله يصف قشر البطيخ ولبّه [٢] :

بظاهرٍ أخشنَ من قنفذٍ وباطنٍ ألينَ من زُبدِ

لقد كرر هنا السخونة ، والبرودة ، والثقل ، والخفة ، والخشونة ، والنعومة ، والصلابة ، والليونة ، والسهولة ، والوعورة [٣].

هـــ – الـــصور الشمّية : كما في قوله يصف قدوم الأمير الحسين بن علي التوخي إلى قصره [٤] :

واختالَ فيهِ فـــوَدَّ تِبْرُ سقـــوفهِ لو أنَّه بمكان ثوب رحابهِ

حسداً على مل مسَّ من أذيالِهِ في مشيه واشتمَّ من هُدَّابهِ

وقوله يصف راووق الشراب [٥] :

فالبيتُ منهُ عبقٌ ترابُهُ كأنَّ عطراً فُتِقَتْ عِيابُهُ

لقد أكثر هنا من ترديد رائحة المسك ، والزعفران ، والعنبر ، والخمر[٦] .

وقد تجتمع غير حاسة في صورة واحدة ، حتى تكتمل اللذة ، ويزداد التمتع بالجمال ، كما في قوله يصف بطيخاً [٧] :

وزائرٍ زارَ وقـــد تعطَّرا أســـرَّ مسكاً وأذاعَ عنبرا

واستكثرتْ منهُ اللهاةُ سُكَّرا ينفُثُ في الآنُفِ مسكاً أذفَرا

ملتحفاً للحـــرِّ ثوباً أصفرا مُعمَّداً من الحرير أخضرا

فمن عناصر الشم (تعطرا ، عنبرا ، مسكاً) ومن الذوق (شهداً ، سكرا) ومن اللمس (الحرّ) ومن اللون (أصفرا ، أخضرا) .

---

(١) الديوان : ٨/٣٤٣ .
(٢) الديوان : ٤/٤٢٢ .
(٣) الديوان : ٤٠٨/ ٢، ٣٣/١٨٢، ١/٤٠٨، ٨/٧٨، ١٢/٣٥٧، ٢/٤٥، ٢/٦٨، ٣/٤٤١ .
(٤) الديوان : ١٩/٢٣-٢٤ .
(٥) الديوان : ٥/٤١ . العياب جمع عيبة : وهي وعاء من أدم يكون فيه متاع .
(٦) الديوان : ٢/١١٦، ٣/٣٧، ٦/٤٩٢، ٤/١٤٨ .
(٧) الديوان : ١/١٨٥-٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد من الإشارة إلى أنه في بعض الأحيان يبني الصورة المفردة عن طريق " تراسل الحـــواس " وهـــوما يقـــوم على أساس تبادل صفات الحواس ، إذ تخلع صفة حاسة على حاسة أخرى ، كما في قوله جاعلاً مدحته حلّة تلبس فتراها العين ، لا أن تسمعها الأذن [١] :

ولا أسومُكَ إلا الجاهَ تبْذلهُ فتستعيضَ بهِ من مِدْحَتي حُلَّه ْ

وقوله جاعلاً أبياته في المدح يشمها الأنف [٢] :

كلُّ بيتٍ أعمُّ طيباً وأذكى أرَجاً من تنفس الأحباب ِ

وقوله جاعلاً التحيات تشم ولا تسمع [٣] :

لبستُ تعاويذ من كُتبها وأدمنتُ شمَّ تحيَّاتها

وقوله جاعلاً ذكر آل البيت مسكاً يفوح [٤] :

طِبتمْ فإنْ مَرَّ ذكركم عَرَضاً فاحَ بمسكِ الجِنانِ فائحهْ

ومن الملاحظ أن الصور السمعية السابقة ،غدت تدرك بالعين تارة، وبالأنف تارة أخرى ، ولعل هذا التراسل بين الحواس يعطي الصورة أجواءً أجمل ، وبالتالي يحقق المتعة والجمال في نفس المتلقي .

ثانياً : الصور العقلية .

وهـــي صور ترتد إلى ثقافة الشاعر أو عقله المجرد ، وتأتي على ثلاثة أنواع ، نوردها مرتبة حسب الأهمية والشيوع في شعر كشاجم .

أ- **الـــصور النموذجـــية :** وهي الصور " التي تتخطى حدود الحواس وتصل إلى أعماق الـــنفس والعقـــل ، حيث يحتفظ اللاوعي الجمعي هناك بنماذج انحدرت إليه من موروثات دينية وقومية [٥] ". وهي تنقسم إلى قسمين .

١- **النموذجـــية العلـــيا :** وهي الصور التي تتناص و الموروث الديني ، كما في قوله يصور عظم الخطيئة التي أقدم عليها أعداء آل البيت بقتلهم الحسين ، فاستحقوا الحرب من الله تعالى ، الذي أهلك قوم صالح عليه السلام ، عندما عصوا أمره وعقروا الناقة [٦] :

لو لم يردْ ذو الجلال حربهُمُ بهِ لضاقتْ بهم فسائحُهْ

وهو الذي اجتاحَ أمةً عقرتْ ناقتهُ إذ دعاهُ صالـــحُهْ

---

(١) الديوان : ٦٩/٣١٦ .
(٢) الديوان : ٢٩/١٧ .
(٣) الديوان : ٥/٥٠ .
(٤) الديوان : ٤٤/١٠١ .
(٥) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٩٢ .
(٦) الديوان : ١٥/٩٩-١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- النموذجـــية الصغرى : وهي الصور التي تتناص والموروث التاريخي ، والأدبي ، ومثال ذلك تصوير كشاجم نكبة الخليفة المقتدر بالله للقهرمانتين : أم موسى الهاشمية وفاطمة [١] :

في أمِّ موسى سلوةٌ لكِ فانظري فعلَ الزَّمانِ بها وبعدُ بفاطمهْ

وضعتـــهما بإزاءِ ما رفعتـــهما تلكَ العُلا فرمتهما بالقاصمهْ

وقـــد أتينا على تفصيل القول في الصور النموذجية عند الحديث عن ثقافة كشاجم الدينية والأدبية والعلمية [٢] ، والذي نحب أن نضيفه هنا هو أن الصور النموذجية العليا أعمق أثراً في الـــنفس ، مـــن الصور النموذجية الصغرى ، لأن مصدر الأولى هو الموروث الديني ، وتقف وراءهـــا قوة الله جلّ وعلا ، أما الثانية فمصدرها البشر ، وفي المثالين السابقين خير دليل على ما تقدم .

ب – الـــصور التجريدية : وهي صور" ترتبط بالمعاني الذهنية عادة ، وذلك إما من عقد مماثلـــة بـــين معنيـــين ، وإما من تحول الحس إلى معنى" [٣] . كما في قوله يماثل بين الزيارة والروح[٤] :

فحتـــَّامَ لا تشفي العليلَ بزَورةٍ هي الروحُ للجسمِ الذي ما لهُ نَحْضُ

وقوله يماثل بين الفكرة والحسرة ، والسهو والهم ، والانتباه والأسى[٥] :

فكرتي حسرةٌ وسهوي همومٌ وانتباهي أسىً ونومي غِرارُ

وقوله يشبه الفِقر ، وهي أجود أبيات القصيدة ، بالوعد والرزق[٦] :

وفِقراً كالوعد في قلب المحب ْ

أو كتأتّي الرِّزق من غير طلب ْ

وقوله يشبه منثور اللفظ بالمعروف الجميل[٧] :

ومنثورُ لفظٍ كمعروفكَ الـــ ـــجميلِ الذي لم يُكَدَّرْ بمَنْ

وممـــا يتصل بالصور التجريدية ما يعرف بـــ " نوافر الأضداد " أي " إحداث التماثل في اللا تماثل " [٨] كما في قوله يمدح صديقه أبا بكر الصنوبري[٩] :

وتواضعٌ يزدادُ فيهِ عُلاً والحرُّ يعلو حين ينحطُّ

---

(١) الديوان : ٦/٣٥٦-٧.
(٢) انظر في هذا البحث ، ص٨٨-٩٥.
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ١٩٦ .
(٤) الديوان : ٥/٢٣٩. النحض: اللحم .
(٥) الديوان : ٢٩/٤٤٩ .
(٦) الديوان : ٥/١٣-٦ .
(٧) الديوان : ٣١/٣٨٣ .
(٨) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٩٧.
(٩) الديوان : ٢٩/٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله يمدح الأمير الحسن بن أبي الحسن[١] :

مقيــمٌ وأفعالُــهُ سُيَّــرٌ وثــاوٍ وتدبيرُهُ قــد ظَعَنْ

وكم من رهينٍ به مُطلقٌ وكم من طليقٍ به مُرْتَهَنْ

وقوله يصف نفسه[٢] :

حيٌّ بحالةِ ميِّتٍ وهواكِ يودعُهُ ضريحهْ

إن القيمة الفنية للصور التجريدية السابقة ، تتضح من خلال السياق العام الذي ترد فيه ، بالإضافة إلى كونها تنشط النفس ، وتحفز الخيال ، وتثير الانفعال لدى المتلقي .

جـ – الصور اللفظية : وهي صور " تعتمد على التلاعب اللفظي ، ويقصد بها التملُّح أو الغرابة "[٣] . وقد وردت في شعر كشاجم ثماني صور لفظية ، نذكر منها قوله في طير الحجل الذي أهداه[٤] :

تفاؤلاً فيهِ بالرِّياش وبالــ ــحجِّ الذي في حروفِهِ الأولِ

فأول حرفين في كلمة (حجل) هما (حج) وقد تفاءل به الشاعر كما رأينا .

وقوله جاعلاً من اسم عشيقته لغزاً ، ولعل اسمها صباح[٥] :

سقياً لــهــا ولظرْفِ مَنْ سمَّاها فلقدْ أصــابَ بظرْفِهِ معنــاها

قال العواذلُ من عشقتَ فقلتُ من نصف اسمها نعتٌ لمن يهواها

وقوله [٦]:

وإذا أخطأ الكتابة خطٌّ سقطتْ تاؤهُ فصارتْ كآبهْ

ومــن الملاحظ أن هذه الصور اللفظية قصدت التملُّح والغرابة ، وقد صدرت عن كشاجم ذي الطبع المرح ، والروح الظريفة ، فاستطاعت أن ترسم البسمة في الوجوه .

ثالثاً : أشكال العلاقات للصورة المفردة .

تلتــئم الصور المفردة بعضها مع بعض في إطار من الوحدة البنائية ، وتشكل ما يعرف بالصورة الكلية " فالصورة تبدأ بالتركيب المفرد ، بكل ما في هذا التركيب من ألفاظ وبما يتعلق بألفاظــه من ألفاظ أخرى ربما لا تشكل وحدها وضعاً صورياً ، ثم ينتهي بالقصيدة بكل ما فيها من صور داخلية تتحرك وتحرك غيرها من تراكيب . وعلى هذا لا تنفصل الصورة التي تكونها

---

(١) الديوان : ٢٤/٣٨٢-٢٥ .
(٢) الديوان : ٥/٧٤ .
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ١٩٨.
(٤) الديوان : ١٢/٣٣٦ .
(٥) الديوان : ١/٤١٢-٢ .
(٦) الديوان : ٢/٤٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشـــياء الألفاظ المادية المثارة بالذهن ، عن نغمة هذه الألفاظ السارية في نظام النسق الصوري لها " [١] .

إن ذات الـــشاعر والموضوع الذي يتناوله طرفان أساسيان في العمل الشعري ، فالقصيدة ما هي إلا " صورة كبرى أو بناء كلي ناتج عن اندماج الذات في الموضوع " [٢] وبتفاعلهما معاً تنشأ علاقات جدلية متماثلة أو متخالفة أو متنافرة . ومن هنا نستطيع أن نصنف أشكال العلاقات التـــي تبنـــى على أساسها القصيدة إلى : الكلي الموافق ، والكلي المخالف ، والكلي الدرامي ، ويمكنـــنا أن نوضح المفاهيم العامة لهذه الأشكال من خلال بعض النماذج الشعرية التي ظهرت في قصائد كشاجم .

أ – الكلي الموافق : وهو"الذي ترتاح فيه النفس إلى موضوعها فتبدو منشرحة مسرورة ، ويكثـــر هـــذا البـــناء فـــي الغزل والوصف ، وفيه نفتقد التوتر والصراع ، وأكثر نماذجه من المقطعات أو القصائد القصيرة التي تقترب منها "[٣] .

ومثاله قول كشاجم يتغزل[٤] :

السِّحرُ في ألفاظها الفاتكه ْ	والروحُ من إعراضها هالكه ْ
والقهوةُ الصَّهباءُ من ريقها	والمسكُ من أصداغها الحالكهْ
مملـــوكةٌ تملكُ يا مَنْ رأى	أحســـن من مملوكةٍ مالـــكهْ
مـــن لمْ يرَ الـــدُّرَّ وتأليفـــهُ	في سلـــكِهِ فليرها ضاحـــكهْ
تسلكُ من أجسامِ أهلِ الورى	بحيـــثُ أرواحـــهم سالـــكهْ
قد كتبَ الحُسنُ علـــى خدِّها	طـــلَّ دمٌ أنت لـــه سافـــكهْ

ونحـــن هنا نستمع إلى ألفاظ شديدة الوقع على النفس نحو (الفاتكة ، هالكة ، طَلَّ ، دم ، سافكة) فلا نثار أو نجزع ، والسبب أن الذات الشاعرة اتخذت موقفاً مسالماً ، يبعث فينا الرضا والارتياح والهدوء .

ب – الكلـــي المخالف : وهو " الذي تخاف فيه الذات موضوعها ، ولكنها تبقى في نطاق المخالفـــة ، فهـــي لا تصارع أو تتمرد أو تقسو كثيراً لتغيير الوضع ، وإنما تعبر عن مخالفتها بطـــريقة مـــسالمة هادئة ، أما مسألة التغيير نحو الأفضل فتظل أمنية تتعلق بها ، وتنتظر من

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، ص١٠ .
(٢) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ٢٦٤.
(٣) نفسه .
(٤) الديوان : ١/٣٠٨-٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخـــرين تحقيقها . ويكثر هذا الشكل في الزهد وفي العتاب أو الاعتذار ... وقصائد هذا البناء متوسطة الطول لا تزيد في أغلبها على ثلاثين بيتاً " [١].

ومثال ذلك قوله في صديقه أبي بكر الصنوبري[٢] :

ألا أبـــلـــغْ أبا بـــكرٍ مقالاً مـــن أخٍ برٍّ
ينـــاديـــكَ بإخـــلاصٍ وما ناداكَ من عُقْرِ
أظـــنُّ الدَّهرَ أعـــداكَ فأخلدْتَ إلـــى الغدرِ
فما ترغبُ في الوصلِ ولا تزهدُ في الهجرِ
ولا تَخْطِرُنـــي منـــكَ علـــى بالٍ ولا ذِكْرِ

فكشاجم هنا يعاتب صديقه على هجرانه إياه ، ولكنه لا يتدخل في تغيير هذا الوضع ، بل يتمنى من صديقه أن يغير سلوكه نحوه ، ولذلك نجده يرغبه في الوصل ، ويزهده في الهجر ، ويحثه على تذكره .

والتعلـــيل في هذا الشكل يعتمد غالباً على " التبريرات النفسية أو الصورية " [٣] . كما في قوله يعتذر إلى أحدهم [٤]:

فهفـــوتُ هفـــوةَ غلطةٍ والحرُّ يهفو أو يزلُّ
والصَّارمُ العضْبُ المهنـــ ـــنَدُ فيـــهِ آثارٌ وفَلُّ
والطـــرِّفُ يعثُرُ ثـــمَّ يُدْ ركُهُ النَّجـــاءُ فيستقلُّ

فهو يعلل ذنبه بأنه هفوة أو غلطة ، ثم يبرر هفوته تلك من خلال أوضاع صورية معبرة ، فالحـــر يهفـــو أو يـــزل ، والسيف القاطع يفلّ ، والجواد الكريم يعثر ويكبو ، وهي تبريرات انفعالية قصد منها أن يتسمّح نفس المخاطب فيعفو عنه .

" والـــصراع فـــي هـــذا البناء داخلي خفي لا يصل إلى حد المصاولة والخصام والعناد والمنافرة "[٥] . مثال ذلك قوله في أبي بكر الصنوبري[٦] :

أواصلُ إن جفا وأغُضُ إمَّا هفا وألينُ في وقتِ احتدادِهِ ْ
وكنـــتُ عليـــهِ معتمداً فلمَّا تغيَّرَ لي أقمتُ على اعتمادِهْ
وتبـــتُ إليهِ مـــن ذنبٍ جناهُ ولـــمْ أفقدهُ شخصي بافتقادِهْ

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٦٤-٢٦٥ .
(٢) الديوان: ١/٢٠٧-٥. وتجدر الإشارة إلى أنه عاتب أبا بكر الصنوبري في ثلاث قصائد : بلغت الأولى ثلاثين بيتاً ، والثانية ستة وعشرين ، والثالثة سبعة وعشرين ، وهو ما يتناسب وطول قصائد هذا الشكل . الديوان : ١٣٦، ٢٠٧، ٢٣٩.
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ٢٦٥ .
(٤) الديوان : ١٠/٣٤٣-١٢ .
(٥) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ٢٦٦ .
(٦) الديوان : ٢٣/١٣٨-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ذات الشاعر تمور بالقلق والصراع الحركة ، ولكنها مشاعر داخلية دفينة في نفسه ، لا تصل إلى حد المخاصمة أو المنافرة ، بل هي خلافات مسالمة هادئة .

جـــ – الكلـــي الدرامـــي : وهـــو " الذي ترى فيه الذات قلقة متوترة ، توجد نفسها في موضوعات كثيرة متنوعة متنافرة ، ولهذا تطول قصائده فتصل إلى أكثر من سبعين بيتاً أحياناً . ويكثر هذا البناء في المديح والرثاء والفخر والهجاء " [١].

ويتـــضح ذلك في قصيدة المديح عند كشاجم ، التي "قد تتخذ شكل رواية درامية تبدأ من نقطة وتتحول إلى نقطة أخرى وتنتهي عند نقطة ثالثة "[٢] .

ومـــثاله فـــي القصيدة التي مدح فيها الوزير ابن مقلة ، فمقدمة القصيدة تتضمن صورة حوارية بين الشاعر والمرأة التي تلومه ، ولعلها زوجه ، فيطلب منها أن تكف عن لومه ، بينما هي تلج في معاتبته ، ومن ثم تلوذ بالبكاء[٣] :

كلي إلى اللوم غيري ربَّة الكِلَّهْ ما أنتِ في خُلُقٍ منِّي ولا مِلَّهْ
يأبـــى قبـــولَ ملامٍ تولعينَ بهِ خطْبٌ عرا لا قِلِىً منِّي ولا مَلَّهْ
خافتْ سُلُوِّي فلجَّتْ في معاتبتي وكفكفتْ عَبـــرةً في الخدِّ منهلَّهْ

ويحاول أن يسترضيها ، فيصف حسنها وجمالها[٤] :

كأنَّما حُكِّمتْ في الحُسنِ فانصرفتْ عـــن دِقَّةٍ وانتقـــتْ مختارةً جـــلَّهْ
واستأثرتْ بأصـــولٍ لا كِفاءَ لـــها من الجمالِ وأعطتْ غيرها الفضلهْ

إن عنـــصر الصراع في القصيدة قائم على أساس المنافسة بين الأقران والخصوم ، وهو جلي منذ البداية، فهذه المرأة قد استحوذت على الحسن، وتفردت بجمال لا نظير له بين النساء .

ولكـــن إلـــى من توجه لومها ؟ وما سبب المصيبة التي نزلت به ؟ إن كشاجم لم يتركها حائرة ، وإنما طلب منها أن تستمع إلى مقاله ، وتسلم أمرها لله[٥] :

وأنصتي لمقالي تعلمي عُذُري وأحسني بعد تسليمٍ لأمر الله ْ

وتأتي الإجابة الشافية في قلب القصيدة[٦] :

صاحبتُ ساداتِ أقوامٍ فما عثروا يوماً على هفوةٍ منِّي ولا زلَّهْ
وصاحبتني رجالاتٌ بذلتُ لها مالي وكان سماحي يقتضي بذلهْ

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٦٦ .
(٢) نفسه.
(٣) الديوان : ٣١٠/١-٣ . وهذه القصيدة هي أطول قصيدة في الديوان ، حيث بلغت اثنين وسبعين بيتاً .
(٤) الديوان : ٣١٠/٥-٦ .
(٥) الديوان : ٣١١/١٥ .
(٦) الديوان : ٣١٢/٢٩، ٣١٣/٣٥-٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأعملَ الدَّهرُ في خَتْلي مكايدَهُ والدَّهرُ يُعْمِلُ في أهل العُلا ختلهْ
لكن قَنِعتُ ولمْ أرغبْ إلى أحدٍ والحــرُّ يحملُ عن إخوانهِ كــلَّهْ

أنه الدهر عدو كشاجم ومخادعه ، فهو يسلبه شبابه وماله فيتركه نهباً للحادثات . والصراع هنا ذو قيم وسلوك ، فكشاجم يتفوق على أصحابه فلا يهفو أو يزل ، وبينما يبذل ماله لهم ، لا يكلف أحدهم تحمّل مصيبته ، فقد قنعت نفسه الأبية بما قسم لها .

ونلحظ أن الشاعر قد جعل من نفسه بطلاً ، وبطولته في أنه يغالب الدهر ، ويرتحل رحلة الحياة الشاقة كي يجلب الراحة في النهاية[١] :

هذا على أنَّني ما أستفيقُ ولا أفيقُ من رحلةٍ في إثرها رحلهْ

وإذا به يحط ركابه في ساحة الوزير ابن مقلة ، ويمدحه قائلاً[٢] :

جارى إلــى المجدِ أقواماً فبدَّهُمُ وجاءَ مِــن بعدهِ مَــن رامهُ قبــلهْ
وطاولوهُ فــمــا زالــتْ لهُ همٌ حتــى أرتهُ علــى هاماتهمْ نعــلهْ
وقصَّروا أن ينالوا بُعدَ شأوِ فتــىً جرى فأحرز في مضْمارهِ الخصْلهْ
كــم مُقلــةٌ لعظيمٍ فــي رياستهِ تُغضي إذا لحظتْ يوماً بنــي مُقلهْ
لا يستطيعُ إلــى إيضاحِهِ سُبُــلاً في المجدِ أكفاؤُهُ أن يسلكوا سُبــلهْ

وهــذه الــصور تلخــص الصراع تماماً ، وتوحي ببداية الرواية ونهايتها وتتضمن تكثيفاً تاماً للموقف الدرامي الذي تقوم عليه باقي الصور في القصيدة ، وهو أن ابن مقلة في مجد رفيع لن يدركه حساده ومنافسوه .

وفي نهاية القصيدة لا يطلب كشاجم مالاً أو نحوه من الأمور المادية ، بل إن راحته تكمن في الجاه الذي يسبله عليه ابن مقلة ، فيتقوّى به على مصائب الدهر والخصوم المنافسين[٣] :

ولا أســُومكَ إلا الجاهَ تبــْذلهُ فتستعيضَ بهِ من مِدْحتي حُلَّهْ
والدَّهرُ دهرٌ غَشومٌ قد تهضَّمني جــَوراً فأربــى بــِرُّهُ عدلهْ

وهكذا فإن الصورة تبقى ميتة وحدها،حتى إذا اقترنت بأخواتها انتفضت حية بين الأحياء ، وشكلت صورة كبرى كلّية هي القصيدة .

---

(١) الديوان : ٣٨/٣١٣ .
(٢) الديوان : ٤٥/٣١٤-٤٧، ٥٨/٣١٥-٥٩ .
(٣) الديوان : ٦٩/٣١٦ ، ٧١/٣١٧-٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

البناء الموسيقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

البناء الموسيقي

الموسيقى هي أبرز مظاهر الشعر " فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاماً موسيقياً تنفعل لموسيقاه النفوس والعقول "[١] .

وقد كان الشعراء يزنون شعرهم بالغناء ، فالشاعر يغني قصيدته لكي يزن إيقاعها الموسيقي ، ولا غناء من غير تلحين وتوقيع بتواتر معين ، فلقد " نبع الشعر العربي من منابع غنائية موسيقية ، وقد بقيت فيه مظاهر الغناء و الموسيقى واضحة ، ولعل القافية أهم تلك المظاهر ، فإنها واضحة الصلة بضربات المغنين وإيقاعات الراقصين ، إنها بقية العزف القديم ، وإنها لتعيد للأذن تصفيق الأيدي ، وقرع الطبول ، ونقر الدفوف ، كما تعيد ذلك شارات أخرى للغناء نجدها في الشعر القديم ، منها هذا التصريع الذي نجده في مطالع القصائد "[٢].

وللموسيقى دور بارز في إقامة بناء القصيدة العام وتوحيده ، إذ إن الإيقاع " أهم عنصر شعري تطلب الصورة مساندته ، فالجانب الصوتي في الشعر عامل مهم في البنية العامة ، ويمكن لفت النظر إليه بوسائل عديدة كالوزن والقافية وأنماط الحروف الصوتية والجناس والترديد "[٣] .

إن علاقة الالتحام بين الإيقاع والصور ، لها الأثر الأكبر في الكشف عن التجربة الشعرية لدى الشاعر ، ويمتد هذا الأثر إلى المتلقي ، الذي يطرب ويهتز ، وتنفعل نفسه عند الاستماع إلى القصيدة ، فالإيقاع والصور متلازمان لا ينفكان ،وهما " يجريان سوياً في حلبة الشعر " [٤].

والموسيقى الشعرية في القصيدة ، ما هي إلا نتاج تفاعل جملة من الإيقاعات ، فهناك إيقاع الحرف ، وإيقاع اللفظة ، وإيقاع التراكيب ، وإيقاع القافية ، وإيقاع البيت ، بما يشكل وحدات موسيقية صغرى ، تذوب في وحدة موسيقية كبرى ، ذات إيقاع كلي متماسك وكامل ، هو إيقاع القصيدة .

لقد كان علم الموسيقى والغناء أحد أبرز مكونات ثقافة كشاجم ، الذي اشتق حرف الميم في اسمه من " مغنٍّ " ، والمغني حين ينظم فإنه يلحن في الوقت نفسه ، حتى يخرج عمله الشعري كاملاً ومنسقاً من بدايته إلى منتهاه .

---

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، القاهرة ، [د.ت] ، ص١١.
(٢) شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، مصر، ط١٠، ص٤٨-٤٩.
(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص٦٠.
(٤) إليزابث درو ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشوش ، بيروت ، ١٩٦١، ص٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهـــر اهتمام كشاجم بالألحان من خلال تصنيفه كتاب " خصائص الطرب " ، ووصفه الآلات الموســيقية ، كمـــا مـــر معنا ، ومعرفته أخبار المغنين القدماء وألحانهم ، أمثال معبد ، والغَريض ، وابن سريج ، وإبراهيم الموصلي ، ومُخارق ، وعَثَعَث [١].

وكان كشاجم يلحن ويضرب على أوتار العود ، وفي ذلك يقول[٢] :

فعُنيتُ بالأوتارِ حتى لمْ أدعْ نغماً ولمْ أغفلْ لهنَّ حسابا

ومـــن شـــدة افتتانه بالعود ، وحسن توقيعه عليه ، فإن العيدان تتحرك ونعمل تلقائياً عند لقائه [٣]:

ولو أنَّ عيداناً بغيرِ ضواربٍ قابلنني لتحرَّكتْ أوتارُها

وقـــد كان يقترح الألحان والأنغام على القيان ، وينظم شعره لتغنيه المغنيات ، وفي ذلك يقول [٤]:

وتأبـــَّيـــْتِ أنْ تغـــنِّـــي فغنـــَّى عنكِ ممَّا اقترحتُهُ أصواتا

ونظمنـــا شِعْراً مَليـــحَـــاً فغنـــَّا هُ بلحنٍ يحيي بهِ الأمواتا

في الثقيل الثاني فزوري إذا شِئْـــ ـــتِ لكيما نُفيدُكِ الأبياتا

ويقول أيضاً [٥] :

ثمَّ استهلَّتْ فغنَّتْ وهي محسنةٌ في بعض أبيات شعرٍ قلتهُ فيها

ولـــمْ أزلْ دون ندمانيَّ مقترحاً شعري عليها تغنِّيني وأسقيها

وفـــي دراســـتنا لموسيقى شعر كشاجم ، نعرض للموسيقى الخارجية ، التي تعتد الأوزان الـــشعرية المعروفة ، وما تنتهي به من قافية توثق النغم ، كما نعرض للموسيقى الداخلية ، التي تـــسهم مـــع الموســـيقى الخارجية في رفد التجربة الشعرية ، وهي تنبعث من الألفاظ نفسها في تركيبها وانسجامها مع أخواتها ، وما يصدر عنها من تناغم ورنين .

أولاً : الموسيقى الخارجية في شعر كشاجم .

أ- الأوزان :

نـــستطيع أن نتناول أوزان شعر كشاجم في ضوء دراسة نسبة شيوع الأوزان في الشعر العربـــي ، فكل من البحور : الطويل والكامل والبسيط والوافر والخفيف ، تحتل مرتبة الصدارة في نسبة الشيوع " وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ ، يطرقها

---

(١) الديوان : ١٣٢/٢٥-٢٦، ٨٧/٦ ، ٥٧/٦.
(٢) الديوان : ٢٨/٤.
(٣) الديوان : ١٦٠/٣٦.
(٤) الديوان : ٤٩/٢ ، ٥٠/٣-٤ . الثقيل الثاني : من ضروب الغناء .
(٥) الديوان : ٤١٩/٢و٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــل الـــشعراء ، ويكثـــرون مـــن النظم منها ، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية . أما المـــتقارب والـــرمل والسريع ، فتلك بحور تذبذبت بين القلة والكثرة ... ويمكننا، مع قليل من التسامح، أن نعدها من الأوزان العربية المألوفة ، التي كانت الآذان تستريح إليها " [١].

وكـــشاجم لم يخرج عن هذه النسب كثيراً ، فالأوزان الشعرية الشائعة والغالبة في الشعر العربي ، هي الأوزان الشائعة والغالبة في ديوانه ، على نحو ما يوضح الجدول الآتي :

جدول البحور الشعرية وعدد الأبيات ونسبتها في شعر كشاجم[٢]

البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية	ملاحظات
الكامل	٧٣٥	%١٩,٤٤	عدد الأبيات من مجزوء الكامل:٢٧٧
الخفيف	٤٧٦	%١٢,٥٩	عدد الأبيات من مجزوء الخفيف :٢٣
الرجز	٤٤٩	%١١,٨٨	عدد الأبيات من مجزوء الرجز:١٠٩
البسيط	٤٠٠	%١٠,٥٨	عدد الأبيات من مخلّع البسيط : ١٤٠
المتقارب	٣٥٤	%٩,٣٦	عدد الأبيات من مجزوء المتقارب:١١
المنسرح	٣٢٦	%٨,٦٢	----------
الوافر	٢٨٤	%٧,٥١	عدد الأبيات من مجزوء الوافر:٩٧
السريع	٢٥٨	%٦,٨٢	----------
الطويل	١٨٤	%٤,٨٦	----------
الرمل	١٣٧	%٣,٦٢	عدد الأبيات من مجزوء الرمل :٧٢
الهزج	١٠٥	%٢,٧٧	----------
المديد	٣٦	%٠,٩٥	----------
المجتث	٣٥	%٠,٩٢	----------
المجموع	٣٧٧٩	%١٠٠	المجموع : ٧٢٩ بيتاً النسبة المئوية : %١٩,٢٩

نلاحظ ، من خلال الجدول السابق ، أن نسب الأوزان عند كشاجم تتفق ، بصورة عامة ، ونـــسب أوزان الشعر العربي ، ولكن مع ملاحظة أن بحر الرجز ، وهو بحر تروّح به العامة عن نفسها وتغني به[٣] ، يأتي في المرتبة قبل البسيط ، وعلى الرغم من أن الطويل والوافر من الأبحـــر التي شاعت في الشعر القديم ، وكانا ضمن خمسة بحور موفورة الحظ في الانتشار ، فإنهما لا يحتلان عند كشاجم مكانتهما ، وقد جاء المتقارب متقدماً عليهما .

---

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص١٨٧-١٨٨.

(٢) استثنينا أربعة أبيات من البحر المجتث فالراجح أنها ليست لكشاجم ، الديوان : ١/٤٧٩-٤. انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٣) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــم يـــرد عـــند كـــشاجم أي من وزن المضارع أو المقتضب أو المتدارك ، أما المديد والمجـــتث فقـــد جـــاءا في ذيل القائمة بأقل النسب ، ومن الجدير ذكره أن هذه البحور الخمسة الأخيرة قليلة في الشعر العربي .

وبـــذلك اســـتطاع كـــشاجم أن يحقق ذيوع شعره ، بانسجامه مع بيئته اللغوية في أوزانه بالدرجـــة الأولى ، إذ " ربما فرضت البيئة اللغوية على شعرائها التزام أوزان خاصة ، شاعت فيها ، وألفتها الآذان ، أكثر مما تفرض عليه التزام أخيلة أو ألفاظ بعينها . فالجمهور من حيث الـــوزن يـــتوقع طريقاً مرسوماً قد ألفه وتعود سماعه ، فإذا أخل به الشاعر أو تصرف فيه أو اخترع وزناً جديداً ، لم يجد الناس يقبلون بحماس على هذا الجديد " [١].

كما نلاحظ أن قرابة خمس شعر كشاجم جاء على الأوزان القصيرة ، المجزوءة ، التي لم تكـــن مألـــوفة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ثم بدأ الشعراء ينظمون منها أشعاراً كثيرة حين بدأ الناس يتغنون بالأشعار ، وقد كثر تلحينها في عصور الغناء والطرب أيام العباسيين .

" فلـــم يعد الشعر مقصوراً على الإنشاد والإلقاء ، كما كانت الحال في أسواق الجاهليين وصـــدر الإسلام ، بل أصبح الشاعر في بعض الأحيان ينظم المقطوعة ، ثم يدفع بها لمغنٍّ أو جاريـــة تـــصنع لها الأنغام وترددها في مجالس الخلفاء والوزراء . ورأى الشعراء أن البحور القصيرة أطوع في الغناء والتلحين ، فأكثروا من نظمها ، ووجدت ارتياحاً إليها من عامة الناس وخاصتهم " [٢]. وقد سبق منا القول ، أن كشاجم كان مغنياً ، يلحن أشعاره ، ويقترح الأصوات على القيان والمغنيات .

ولا نميل إلى الربط بين بحور الشعر المختلفة و أغراض وموضوعات معينة ، كما فعل غير واحد من القدماء والمحدثين [٣] ، لأن في ذلك إلغاء لقدرات الشعراء ، وتحديداً لأمزجتهم ، وكبحاً لإبداعهم ، وقد كتب كشاجم مختلف أغراضه في مختلف البحور ، دون أن يقيد نفسه في شيء من ذلك .

ب- القوافي :

تعتبر القافية عنصراً أساسياً في البناء الموسيقي ، وهي عبارة عن " عدة أصوات تتكرر فـــي أواخـــر الأشـــطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي

---

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص ١٨٣-١٨٤.
(٢) نفسه ، ص١٠١-١٠٢.
(٣) انظر:حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص ٢٦٦-٢٧٠ . أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٦، ١٩٦٠، ص٣٢٢-٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطــرق الآذان فـــي فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن "[١] .

لقــد التزم كشاجم بالقافية ، ولم يخرج عليها ، وكانت قوافيه على غرار القوافي ، كثرة وقلة، في الشعر العربي القديم،الذي جاءت فيه حروف الهجاء روياً وفق الأقسام الأربعة الآتية :

١- حروف تجيء روياً بكثرة وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء ،وتلك هي: الراء ، اللام ، الميم، النون ، الباء ، الدال .

٢- حــروف متوسطة الشيوع ، وتلك هي : التاء ، السين ، القاف ، الكاف ، الهمزة ، العين ، الحاء ، الفاء ، الياء ، الجيم .

٣- حروف قليلة الشيوع : الضاد ، الطاء ، الهاء .

٤- حــروف نادرة في مجيئها روياً : الذال ، الثاء ، الغين ، الخاء ، الشين ، الصاد ، الزاي ، الظاء ، الواو[٢] . والجدول الآتي يوضح لنا نسبة ورود الحرف روياً في شعر كشاجم :

جدول حروف الروي وعدد الأبيات ونسبتها في شعر كشاجم[٣]

الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية	الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الراء	٧٨٠	%٢٠,٦٤	التاء	٧٩	%٢,٠٩
الدال	٤٠٣	%١٠,٦٦	الطاء	٧٥	%١,٩٨
اللام	٣٦٩	%٩,٧٦	الفاء	٦٥	%١,٧٢
الباء	٣٠٠	%٧,٩٣	الهاء	٥٠	%١,٣٢
الحاء	٢٧٨	%٧,٣٥	الواو	٢٢	%٠,٥٨
النون	٢٣٨	%٦,٢٩	الغين	١٠	%٠,٢٦
الميم	٢٣٧	%٦,٢٧	الثاء	٧	%٠,١٨
القاف	١٩٦	%٥,١٨	الزاي	٧	%٠,١٨
العين	١٤٢	%٣,٧٥	الألف	٤	%٠,١٠
الكاف	١١٦	%٣,٠٦	الشين	٤	%٠,١٠
الضاد	١٠١	%٢,٦٧	الخاء	٣	%٠,٠٧
الجيم	٩٧	%٢,٥٦	الصاد	٣	%٠,٠٧
السين	٩٧	%٢,٥٦			
الهمزة	٩٦	%٢,٥٤	المجموع	٣٧٧٩	%١٠٠

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص٢٤٢.
(٢) نفسه ، ص٢٤٤.
(٣) استثنينا أربعة أبيات من روي الحاء فالراجح أنها ليست لكشاجم ، الديوان : ١/٤٧٩-٤. انظر : ثريا عبد الفتاح ملحس ، أبو الفتح كشاجم البغدادي ، ص٢٦٨-٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال الجدول السابق نرى أن القافية عند كشاجم يغلب عليها الحروف التي شاعت في قوافي الشعر القديم ، مع اختلافات يسيرة ،فحرف الحاء متوسط الشيوع في الشعر القديم ، جاء أكثــر شيوعاً عند كشاجم ، وتقدم على حرفي النون والميم ، كما أن حرف الضاد قليل الشيوع في الشعر القديم ، تقدم عند كشاجم على الجيم والسين والهمزة والتاء والفاء متوسطة الشيوع ، في حين أنه لم ينظم أي بيت على حرف الياء .

لقــد استخدم كشاجم الحروف التي تتسم بالخفة والسهولة وجمال الجرس وجاذبية النغم ، وبخاصــة حرف الراء الذي نال الاهتمام بين حروف رويّه ، وجاء أكثر من خمس شعره على هذا الحرف ، بالإضافة إلى ما جاء على حرف اللام والباء والنون والميم ، التي تعد مع حرف الــراء من حروف الذلاقة التي يسهل النطق بها ، وما تنطوي عليه من نغم مطرب ، وخاصة حرف النون التي وصفت بأنها قينة الحروف .

ولكــنه استخدم ، أيضاً ، من الحروف ما يتطلب جهداً عضلياً [١]، كالحاء والقاف والعين والكاف والضاد والجيم والهمزة والطاء ، فهو لا يرد كلمة يتطلبها إحساسه حتى لو كانت ثقيلة على النطق .

وقد تجنب استخدام الحروف النافرة أو الوحشية ،التي تصدم الأذن ، وتثقل الحاسة الفنية ، كالذال والظاء ، أما الغين والثاء والزاي والشين والخاء والصاد ، فقد جاءت بصورة ضعيفة في الديوان ، تكاد لا تظهر .

وقد عمد كشاجم إلى استخدام القوافي المطلقة منها دون المقيدة، لكونها أوضح في السمع ، وأشــدّ أســراً لــلأذن ، كأن يتبع حركة الروي بألف الإطلاق ، ويقصد به الحيازة على جمال موسيقي أكبر عبر مدّ الصوت ، وهذا الضرب من العناية بالقافية كثر في شعره ، كقوله [٢]:

لقد ساءَ العِدا وشجا الحسودا وأبهجنا تقلُّدُكَ البريدا

وقوله[٣] :

غدا وغدا تورُّدُ وجنتيهِ لعينِ محبِّهِ يصفُ الرِّياضا

وقوله[٤] :

صحوتُ عن كلِّ شيءٍ كان يعجبُني إلا استماعَ أحاديثِ المحبِّينا

إن إلحــاق الألــف بحرف الروي يجعل الأبيات أكثر ملاءمة للغناء والترنم ، وهذا كان يرضي ذوق العصر ، فقد درج شعراء الغزل على محولة الملاءمة بين شعرهم والغناء " حتى

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص ٣٠.
(٢) الديوان : ١/١١٨.
(٣) الديوان : ١/٢٣٢.
(٤) الديوان : ١/٣٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتــيحوا لغزلهم كل ما يمكن من ذيوع بين العامة ، مجرين فيه تياراً دافقاً من الرقة ، حتى يقع موقعا حسناً من الجواري ، وحتى يعجبهنّ ما فيه من رهافة الشعور وسهولة الألفاظ " [١].

وقــد أولـــى كشاجم القوافي ذوات الروي المضموم والمكسور عنايته ، ولا يخفى ما في هاتين الحركتين من قيمة جمالية وغنى صوتي ، كقوله[٢] :

يا لقومي مَنْ لِمُكتئبٍ دمعه في الخدِّ منسفحُ ؟

وقوله[٣] :

بي إن عززتَ عليَّ ذلُّ ولكَ الرِّياسة والمحلُّ

وقد يطيل الشاعر حركة الروي،حتى تعود أكثر نغماً وأشدّ قدرة على التأثير في المتلقي ، كأن يطيل كسرة الروي حتى تستحيل ياء ، كقوله[٤] :

وصُفْرٍ من بنات النحل تكسى بواطنها وأظهرها عواري

وقوله[٥] :

شبتُ في حالتي سرورٍ وحزنٍ ومقامَي تفرُّقٍ وتلاقي

وفـــي بعــض الأحـــيان يقيد حركة الروي ، فيلجأ إلى القوافي الساكنة ، وليست القافية اعتباطـــية " وإنما يتم اختيارها وفقاً للوضع الخاص الذي يتخذه الموضوع في تجربة الشاعر ، حيث يلتحم الانفعال بالصورة والوزن ، وهي الرابط الواضح الذي يربط الوزن العام بالتصوير العام داخل السياق "[٦] .

لننظـــر الآن إلى القوافي التي اختارها كشاجم عندما تعرض إلى موضوع الموت ، إنها القوافـــي الـــساكنة ، التـــي تعبـــر عن خشوع الموت وجلاله ، وتشي بتقطع الأنفاس اللاهثة ، والدمـــوع المنسكبة ، لقد فعل ذلك عندما رثى برذونه ، ومنديله المسروق ، وقدحه المكسور ، وغلامه بشراً ، وآل البيت الكرام[٧] .

ونتوقف هنا عند الكاف المهموسة الساكنة ، التي اتخذها روياً في رثائه لأبيه[٨] :

أيُّ أبٍ رُزيْتهُ أهلكتُ صبري إذ هلكْ

---

(١) شوقي ضيف ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، ص١٢٠.
(٢) الديوان : ١/٦٩.
(٣) الديوان : ١/٣٤٢.
(٤) الديوان : ١/٢٠٣.
(٥) الديوان : ١/٢٨٢.
(٦) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٩٠.
(٧) الديوان : ٢٨٨، ٦٢، ٧٧، ٤٠٣، ٣٤٣، ٩٧.
(٨) الديوان : ١/٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك في رثائه للأمير عبد الملك الهاشمي[١] :

عرشُ العُلا منهدمٌ مؤتفكْ مُذْ جاورَ الأجداثَ عبدُ الملكْ

كأنَّنا إذ راعنا هُلْكهُ لمْ نرَ مخلوقاً سواهُ هلكْ

وكأن كشاجم يبحث عمّن يخفف الضيق الذي يجثم على صدره، ويكشف كربته بفقد أحبته، ولذلك جاء بصورة نموذجية عليا ، نظر فيها إلى قول الله عز وجل في سورة الشرح : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَك* الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَك* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَك"[٢] .

" وهي توحي بأن هناك ضائقة كانت في روح الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،لأمر من أمور هذه الدعوة التي كلفها ، ومن العقبات الوعرة في طريقها ، ومن الكيد والمكر حولها ... توحي بأن صدره ، صلى الله عليه وسلم ، كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة ، وأنه كان يحس العبء فادحاً على كاهله ، وأنه كان في حاجة إلى عون ومدد وزاد ورصيد "[٣] .

وهكذا من خلال هذه الجولة في أوزان كشاجم وقوافيه ، نخلص إلى أن الشاعر قد حاول استثمار كل إمكانات البحر الشعري أو الوزن العروضي ، وتوظيفه لخدمة صوره ومعانيه .

ثانياً : الموسيقى الداخلية في شعر كشاجم .

الموسيقى الداخلية أو الإيقاع الداخلي هو " ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الواحد أو الأبيات ، ولا يهمنا أن تكون مواضيع الترجيع متقاربة أو متباعدة ، وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم "[٤] ، وذلك يعني أن الإيقاع يتمثل في الأصوات الداخلية للألفاظ ، وفي ذلك مشقة أكبر من مشقة الإتيان بالوزن العروضي ، فعمل الشاعر " عمل كله جهد ومشقة وإرهاق ، ولكن ذلك من صعوبة التوفيق بين النزعات المختلفة بل المتنافرة في داخله ، والتي تثور دفعة واحدة منذ بداية العمل ، تريد أن تخرج إلى النور ، وأن توجد نفسها في موضوع تستقر عنده ، وهنا يجاهد الشاعر ليؤخر هذه ويقدم تلك ، فلا يستريح حتى تهدأ جميعاً في نسق موحّد "[٥] .

---

(١) الديوان : ٣٠٣/١و٤.
(٢) سورة الشرح ، الآيات١-٤.
(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط٢٢، ١٩٩٤، ج٦، ص٣٩٢٩.
(٤) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٩٢.
(٥) نفسه ، ص٢٩٤-٢٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكــذا نلاحــظ أهمــية الجانــب الصوتي في الكشف عن انفعالات الشاعر وعواطفه ، والموســيقى الداخلية لا تتحقق عبر اللفظ بمفرده ، وإنما عبر دوره في السياق الذي يمنحه تلك الموسيقى .

ومن عناصر الموسيقى الداخلية في شعر كشاجم :

أ- التكرار :

التكــرار في العمل الأدبي هو " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير ، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره "[١] .وقد استثمر الشاعر الإمكانية الموسيقية في التكرار فجاء به في شعره على عدة صور ، منها أن يأتي بالمذكر مرة وبالمؤنث مرة أخرى ، كما في قوله[٢] :

إغاراتٌ على الوحشِ بعُنْجوجٍ وعُنْجوجه ْ

وأنْحــوُهُــنَّ بــالآلِ فمَرْعوجٌ ومَزْعزجه ْ

فراحــتْ بين مَبْعوجٍ بأسيافٍ ومَبْعوجه ْ

أن رحلــة الصيد تتطلب مشقة وعزيمة ، وألفاظ الأبيات السابقة كلُّها تعبر عن ذلك ، كما أن الحروف جاءت لتناسب المعنى ، فحرف العين من الحروف الثقيلة التي تتطلب جهداً عضلياً، وقــد تكرر سبع مرات ، وحرف الجيم ثقيل يناسب المعاني العنيفة القوية [٣]، وقد تكرر ثماني مرات ، ولكننا لم نشعر بثقل أي منهما لأن الشاعر فصل بينهما بحرفي النون والواو ، مما جعل الألفــاظ (عــنجوج–عنحوجة ، مزعوج–مزعوجة، مبعوج–مبعوجة) سهلة النطق ، مستساغة للأذن ، تستريح لموسيقاها[٤] .

وقد ينشأ التكرار عن طريق الحقيقة والمجاز ، كما في قوله[٥] :

ويَسْترْنَ عن الأبصا رِ في الدِّيباجِ ديباجا

وقوله[٦] :

لئنْ عشتُ عند هَزارِ اللقاءِ لقدْ متُّ عند هَزارِ الإزارِ

فالديــباج فــي البــيت الأول حقيقة (الحرير الناعم) ومن ثم صار مجازاً (أجساد النساء) ، والهــزار في البيت الثاني حقيقة (طائر حسن التغريد) ومن ثم صار مجازاً (المغنية) ، مما يضفي على جمال الصورة نغماً موحياً .

---

(١) ماهر مهدي هلال ، جرس الألفاظ ودلالتها ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠، ص٢٣٩.
(٢) الديوان : ٢٠/٦٠و٢٣و٢٧.العنجوج : جياد الخيل والإبل .
(٣) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص٣٧.
(٤) نفسه ، ص٢٢.
(٥) الديوان : ٣/٦٧.
(٦) الديوان : ٩/١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أنواع التكرار أن يعكس الشاعر العلاقة اللفظية بين الكلمات ، كما في قوله[١] :

لونُ الغمامةِ والغمامةُ لونُهُ ومناسبُ الأقلامِ بالمنقارِ

وقد يأتي الإيحاء الصوتي والنغم الموسيقي من تكرار الحرف ، كما في قوله[٢] :

ويجــري بذكيِّ العــرَْ فِ مجرى الأمنِ في الدُّعْرِ

ومجرى البُرْءِ في السُّقمِ ومجرى اليُسرِ فــي العُسْرِ

فالــشاعر هــنا يكــرر حرف الراء تسع مرات في تسع كلمات ، وهو حرف مجهور ذو رنين مطرب ، كما يكرر لفظة مجرى ثلاث مرات ، مع اختلاف المضاف إليه في كل منها.

وقد تتلاحق بعض الحروف بشكل انسيابي، فنحس تدفق إيقاعاتها وتتابعها،كما في قوله[٣]:

في سطورِ أعارها جدِّيَ السِّنْــ ــديُّ من نَقشِ نِقسِهِ في النُّقودِ

كلُّ نــونٍ كعَطفةِ الصُّدغِ تقفــو ألفــاً مثــلَ قامــةِ المــقــدودِ

حيث كرر حرف النون في البيت الأول في خمس كلمات ، ثم أتبعه بحرف القاف(نَقش ، نِقسه، النُّقود) وجاءت كلمة نون في البيت الثاني كنوع من التداعي بين الحروف والألفاظ ، مما يضفي على الصورة نغماً موسيقياً جميلاً .

وقد تتكرر الكلمة في البيت غير مرة ، ولا نشعر بثقلها أو خروجها عن السياق ،كقوله[٤]:

تائهٌ جارَ على الجا رِ فما يَرْثي لجارهْ

وقوله[٥] :

وكم وكم رُحتُ إلى حانةٍ وكم وكم نبَّهتُ خمَّارا

حيث كرر كلمة جار في البيت الأول ثلاث مرات ،وكرر كلمة كم في البيت الثاني أربع مرات، لإفادة التكثير ، دون أن نحس بخروج أو ثقل على اللحن الموسيقي في البيت .

وينبغــي أن نتذكــر أن كل تكرار ، مهما يكن نوعه ، لم يكن صنعة يتقصدها الشعراء ، " وإنما كان ضرباً من ضروب النغم ، يترنم به الشاعر ليقوي به جرس الألفاظ وأثرها "[٦] .

ب- الجناس :

إن مــن ألــوان الإيقاع الجناس ، وقد أكثر كشاجم من استخدامه بأنواعه المختلفة ، بما يضفي على شعره ترجيعاً وترديداً للأنغام والأصوات .

---

(١) الديوان : ٤/٢٠١.
(٢) الديوان : ١٦/٢٠٨-١٧.
(٣) الديوان : ٤٣/١١٥-٤٤.
(٤) الديوان : ٢/١٧٦.
(٥) الديوان : ٤/٤٤٣.
(٦) ماهر مهدي هلال ، جرس الألفاظ ودلالتها ،ص ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن الجناس الاشتقاقي قوله[١] :

فزُرْنا غير محتشمٍ تزُرْنا بزَوَرتكَ المكارمُ والسَّماحُ

وقوله[٢] :

أيُّ شيءٍ أهدي لأحسن شيءٍ قُرنَ الحسْنُ فيهِ بالإحسانِ ؟

ففي البيت الأول يجانس بين (فزرنا–تزرنا–بزورتك) ، وفي البيت الثاني يجانس بين (أحسن–الحسن – الإحسان) .

ومن الجناس التام قوله[٣] :

كأنِّي لمْ أغدُ في مِقْنَبٍ أفلُّ بحدِّ الخميسِ الخميسا

وقوله[٤] :

لا تُفنِ عُمْرَ الزَّمانِ إلا ما بين قلايةٍ وعُمْرِ

فكلمة (الخميس) الأولى تعني الرمح طوله خمسة أذرع ، وكلمة (الخميس) الثانية تعني الجيش الضخم ، وكلمة (عُمْر) الأولى بمعنى الوقت ، أما كلمة (عُمْر) الثانية فتعني الدّير.

ومن الجناس الناقص قوله[٥] :

خلْتهمْ من شدَّةِ المِراح ونَزَواتِ الأكَرِ المِلاح

وقوله[٦] :

من القدير ومن القديدِ وعامرِ الطاحنِ والسَّقّودِ

فهو هنا يجانس بين (المراح–الملاح)، و(القدير–القديد).

وقد يأتي الجناس من خلال عكس مواضع الحروف تقديماً أو تأخيراً، كما في قوله يجانس بين (أحداق–حدائق) [٧] :

ما نورُ أحداقِنا إلا حدائقهُ لامَ اللوائمُ أو لحى اللاحي

والطباق في بعض أنواعه يعتمد على الجناس بين حروف الكلمات ، بما يحقق نغماً موسيقياً، ومن ذلك قوله[٨]:

فجارتْ عليهِ وجادتْ لهُ بعَسْفِ اليمينِ ولُطْفِ اليسارِ

---

(١) الديوان : ١١/٩١.
(٢) الديوان : ٤/٣٩٨.
(٣) الديوان : ٩/٢٢٣.
(٤) الديوان : ٥/٤٢٤.
(٥) الديوان : ٩/٨٥.
(٦) الديوان : ١٦/١١٠.
(٧) الديوان : ٩/٨٧.
(٨) الديوان : ٦/١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله[١] :

ووراءَ الأسى سرورٌ وبعد الـــ ـــعسر يسرٌ وتحت ليلٍ نهارُ

الطـــباق أو الجـــناس في البيت الأول بين (جارت–جادت، عسف–لطف) ، وفي البيت الثانـــي بين (عسر–يسر) ، أما الطباق الذي تغاير فيه حروف الكلمة حروف الكلمة الأخرى ، ولا يجمـــع بيـــنها إلا أن كـــل واحدة منهما ضد الأخرى ، فهذا لا يعنينا في دراستنا لموسيقى الألفاظ.

جـــ –المقابلة :

يتحقق الإيقاع في المقابلة لأن كل كلمة لها ما يقابلها في الوزن وليس التركيب ، كما في قوله[٢] :

وحليفٌ لكلِّ فعلٍ جميلٍ وبعيدٌ من فعلٍ قبيحِ

فهو هنا يقابل بين (حليف فعل جميل –بعيد فعل قبيح) .

والعكـــس مـــن أنواع المقابلة ، فما إن يرتب الشاعر كلماته ليعطي معنى معيناً ، فإنه لا يلـــبث أن يعيد ترتيب الكلمات نفسها ليعطي معنى مغايراً " ولا بد أن يكون هذا التغيير متوازناً مـــع الصورة الأولى لنظام الألفاظ توازناً عكسياً ، حتى تكون العلاقات مفهومة ومعجبة "[٣] ، ويتحقق بذلك الإيقاع الموسيقي الناتج عن تكرار الكلمات على فترات زمنية معينة .

ومن ذلك قوله[٤] :

فما أضاعتْ فليسَ يُحمى وما حمتهُ فما يُضاعُ

فهو هنا عكس الشطر الأول بما يقابله في الشطر الثاني .

وقوله[٥] :

وأقبسُهُ فيوري من زنادي ويقبسُني فأوري من زناده ْ

وأعضُدُهُ برأيٍ من سدادٍ ويعضُدُني برأيٍ من سداده ْ

فقدم المعنى في الشطر الأول في كل من البيتين السابقين ، ثم عكسه في الشطر الثاني ، وقابل كل كلمة بمطابقها وموازيها في كل شطر .

---

(١) الديوان : ١٩/٤٤٨.
(٢) الديوان : ٩/٩٧.
(٣) عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص٢٤١.
(٤) الديوان : ٤٣/٢٥٨.
(٥) الديوان : ٤/١٣٦–٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د-حسن التقسيم والترصيع :

ويقصد بذلك أن يعمد الشاعر إلى تقسيم كلمات البيت على أساس الوزن ، بحيث تمثل هذه الكلمـــات وحدات موسيقية ، تؤثر على السامع ، وتحقق للبيت جرساً موسيقياً مميزاً. ومن ذلك قوله[١] :

وعاءُ المُدامِ وتاجُ البنانِ ومُدي السُّرورِ ومُقصي التُّرَحْ

فهنا تقسيم يعتمدعلى التركيب الإضافي،فضلاً عن المقابلة بين (مدني السرور-مقصي الترح) .

والترصيع نوع من حسن التقسيم ، ولكنه متفق القافية ، كما في قوله[٢] :

ببَزْلِ الدِّنانِ وعزْفِ القيانِ وخلعِ العِذارِ وفضِّ العُذرْ

وقد يقتصر على الشطر الأول من البيت ، كما في قوله[٣] :

هيفاءُ مرهفةٌ بيضاءُ مذهبةٌ قال الإله لها سبحانهُ: كوني

فالكلمات في الشطر الأول متساوية المقاطع من حيث الكم الصوتي ،ثم تتدفق في الشطر الثاني، وكأنه يقيد موسيقاها في البداية ، ثم يطلقه فيما بعد .

وقد يكون تساوي المقاطع في الشطر الثاني من البيت ، كما في قوله[٤] :

فقابلتني بمثلِ الشمس طالعةً والغيمُ مطردٌ والبدرُ مفتقدُ

فـــالكم الصوتي يتكرر في الشطر الثاني ، وبتكراره يعطي للبيت نغماً موسيقياً داخلياً ، يضاف إلى موسيقى البحر الشعري ، مما يزيد في نشوة المتلقي ، ويسهم في نقل المعنى إلى قلبه بيسر وسهولة .

هـــ - التصريع :

وهـــو أن يذكر الشاعر القافية في نهاية الشطر الأول من البيت الأول ، وكأنه يريد تهيئة الـــذهن لقـــبول القافية التي ستبنى عليها القصيدة ، وربما كان التصريع أثراً من آثار الغناء في شعرنا العربي ، وقد أكثر الشعراء العرب من التصريع ، وسايرهم في ذلك كشاجم فجاء الكثير من قصائده مصرّعاً ، كقوله[٥] :

يا مَنْ لأجفانٍ قريحهْ سهرتْ لأجفانٍ مليحهْ

---

(١) الديوان : ٣/٧٧.
(٢) الديوان : ٦/١٨٠.
(٣) الديوان : ١٠/٣٩١.
(٤) الديوان : ٣/١٤٤.
(٥) الديوان : ١/٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله[١] :

أذابتْ قلبَهُ الزَّفْرَهْ وأدمتْ خدَّهُ العَبْرَهْ

ويعــد التصريع من محاسن الكلام ، ولذلك اجتهد الشعراء في أن تكون مطالع قصائدهم مــصرّعة ، وألف المتلقون ذلك ، حتى أصبح سامع الشعر يترقبه ، وكأن في هذا التصريع ما يجعل الأذن تتهيأ للقافية من الشطر الأول في القصيدة .

و- ردّ العجز على الصدر :

وهو يقوم على تكرار الكلمة، الوحدة الموسيقية، على نظام معين داخل البيت ، بما يعطيه إيقاعاً موسيقياً ، ويربطه برباط موسيقي " وحين يلتقي طرفا البيت في صدره وعجزه ، فإن هذا معــناه أن البــيت سيصبح حلقة مقفلة على ذاتها ، وتكون القصيدة كأنها مجموعة من الحلقات المنفصلة المتجاورة في خيط واحد هو القافية "[٢] ، وكأن البيت نغمة موسيقية مفردة ، في لحن عام يجمع عدة نغمات ، لكل نغمة رونقها وجمالها .

ومــن أقسام رد العجز على الصدر ، أن توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه الأول ، كقوله[٣] :

بديعُ ملاحةٍ يُدْعى نجاحاً ولكن ما لموعدهِ نجاحُ

ومنها أن توافق آخر كلمة في البيت أول كلمة في نصفه الأول ، كقوله[٤] :

البدرُ لا يغنيكَ عنها إذا غابتْ وتغنيكَ عن البدْرِ

ومــنها أن توافــق آخر كلمة في البيت بعض ما فيه ، وهو على عدة أشكال ، كأن تكون الكلمة في حشو الشطر الأول ، كقوله[٥] :

لكَ غيرُ القبيحِ ما تبتغي منْــ ــهُ وحاشاكَ من فَعالِ القبيحِ

أو أن تكون الكلمة في صدر الشطر الثاني ، كقوله[٦] :

وباتَ بدرُ الدُّجى يُشَعْشِعُها نوريَّةٌ تُلبِسُ الدُّجى نورا

لقد رد كشاجم عجز البيت على صدره بكلمات متجانسة، وفي ذلك ترديد لأصوات بعينها، مما يزيد من إيقاع الموسيقى الداخلية .

وبــين يديــنا الكثير من الأمثلة على عناصر الموسيقى الداخلية في شعر كشاجم ، ولكننا ســنكتفي بمــا ذكرناه ، وسنتجه إلى دراسة هذه العناصر من خلال نموذج متكامل ، إذ لم يكن

---

(١) الديوان : ١/١٧٢.
(٢) عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص٢٤٥.
(٣) الديوان : ٤/٩٠.
(٤) الديوان : ٢/١٦١.
(٥) الديوان : ١٥/٩٤.
(٦) الديوان : ٣/٤٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يأتي بعضها معزولاً عن بعض " وإنما كانت تأتي كلها أو أكثرها ، لتكون عاملاً أساسياً في بناء عمل فني متكامل متحد "[١] .

ولـــنأخذ أول قصيدة في الديوان ، وهي في آل البيت ، لما اختلط فيها من مشاعر المدح والافتخار والرثاء ، ولنبدأ بالتكرار ، الذي توزع في ساحة القصيدة كلها تقريباً ، ونجده بأنواعه المخـــتلفة فـــي البـــيت الأول والرابع والخامس والسادس والحادي عشر والثاني عشر والسابع والعشرين والثامن والعشرين، ومن ذلك قوله[٢] :

لعَمْري لقدْ ضلَّ رأي الهوى بأفئدةٍ من هواها هوائي

ونجـــد الجـــناس بأنـــواعه المختلفة في البيت الثامن والثالث عشر والثامن عشر والثاني والعشرين والحادي والثلاثين ، ومن ذلك قوله[٣] :

ولمْ ينشُرِ القومُ غِلَّ الصُّدو ر حتى طواهُ الرَّدى في رداءِ

ونجد المقابلة في البيتين الثاني والسادس عشر ، ومنها قوله[٤] :

أراها العِجاجَ قُبَيلَ الصَّباح وردَّتْ عليهِ بُعَيدَ المساءِ

ونجد حسن التقسيم في البيت العاشر والعشرين والسادس والعشرين ، ومنها قوله[٥] :

هلالٌ إلى الرُّشدِ عالي الضياءِ وسيفٌ على الكفرِ ماضي الظُّباءِ

ونجد التصريع في البيت الأول[٦] :

بكاءٌ وقلَّ غَناءُ البُكاءِ على رُزْءِ ذرِّيةِ الأنبياءِ

ونجـــد رد العجـــز علـــى الصدر بأقسامه المختلفة في البيت الثالث والثاني عشر والثاني والعشرين والثالث والعشرين والخامس والعشرين والتاسع والعشرين ، ومن ذلك قوله[٧] :

قضيتُ بحبِّكُمُ ما عليَّ إذا ما دُعيْتُ لفَصْلِ القضَاءِ

وبـــذلك وزع الـــشاعر عناصر الموسيقى الداخلية ، بطريقة ارتضتها نفسه ، وقبلها ذوقه الشخصي ، بما ينفي الملل والسآمة عن نفوس المتلقين .

وهكـــذا نلاحـــظ أن الموسيقى الداخلية أثرت في صور كشاجم ، فالصورة دون موسيقى تكون واهية التأثير،ولذا فإن الإيقاع الداخلي عامل أساسي من عوامل بعث الصورة وتجميلها .

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص٢٩٥.
(٢) الديوان : ٥/٣.
(٣) الديوان : ٨/٣.
(٤) الديوان : ١٦/٤.
(٥) الديوان : ١٠/٣.
(٦) الديوان : ١/٣.
(٧) الديوان : ٢٩/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث

دلالة الصورة الفنية في شعر كشاجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الرمز والأسطورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
الرمز والأسطورة

إن العلاقـــة بين الرمز والأسطورة قديمة وعميقة منذ أن بحث الإنسان عن الصلات التي تـــربطه بالكون من حوله ، سواء أكانت من ناحية وجودية كتحديد صلته بالحياة ومدى ارتباطه بها أو بالموت ، أم من ناحية عقدية كالتدين والإيمان .

ولعـــل اســـتخدام الشاعر الرمز والأسطورة يؤكد العلاقة القوية بين الشعر ، أحد وجوه التعبير عن الحياة ، وبين الرمز والأسطورة إحدى وسائل هذا التعبير ، وهو ما سنتبينه في شعر كشاجم وصوره الفنية .

أولاً : الرمز .

الرمز الشعري في أبسط معانيه هو " الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري ، مع اعتبار المعنـــى الظاهري مقصوداً أيضاً " [١] أو هو " وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره ، فهـــو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي ، وهو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته " [٢] .

وبـــذلك يكون الرمز قد تجاوز الدلالة الاصطلاحية إلى ما تحتوي عليه الدلالة الأدبية مـــن معنـــى آخـــر وراء المعنى الظاهري ، ولقد ربط بعض النقاد بين الدلالة الرمزية وتكرار الصورة ، فعرفوا الرمز بالصورة المكررة " فالصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز ، لكنها إذا عاودت الظهور بإلحاح ، كتقديم وتمثيل على السواء ، فإنها تغدو رمزاً " [٣] .

وينبغـــي دراسة الرمز وفق السياق الذي يرد فيه " لأن السياق هو الذي يحدد دلالة الرمز وقيمته الفنية ، وهو يعطيه غالباً تكثيفاً أكبر من أي مصطلح مجازي آخر ، لأنه ينطلق من آفاق أرحب " [٤] .

وتتمثل وظيفة الناقد في اكتشاف الدلالات الإيحائية والرمزية في النص ، ولو كان الشاعر على غير وعي بها ،فالشاعر يستخدم الرمز بلا إرادة " لأن الرمز كامن في اللاوعي منه غالباً، فاللاوعي من العقل هو المنطقة التي تعشش فيها مسارب الروح الخفية ، التي انحدرت إليها من

---

(١) إحسان عباس ، فن الشعر ، ص١٩٥.
(٢) مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص١٥٣.
(٣) رينيه ويليك وأوستن وارين ، نظرية الأدب ، ص١٩٧.
(٤) عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعاب كثيرة . ومهمة الناقد أن يغوص في أعماق تلك المنطقة ليكتشف فيها روح الشعر ، التي تحكمت في خلقه وابتكاره ، وإذا استطاع كشفها حقاً فإنه استطاع أن يكشف روح الحياة ومغزاها .

والطريق المؤدي إلى ذلك الكشف هو دراسة الصور المتكررة ، أو الصور السائدة في الأعمال الفنية للشاعر ، فمثل هذه الصور تشير إلى الارتباطات القوية بين الداخل والخارج"[١] .

ومن هنا فإن علينا أن نتتبع الصور الشعرية المتكررة في شعر كشاجم ، فهي التي ستمنحنا الدلالات التي تشكل رؤية الشاعر للحياة ، وما لاقى فيها من معاناة وآلام وآمال .

فمن الصور الشعرية الرامزة عند كشاجم ، صورة الرحلات الكثيرة التي كان يقوم بها ، كما في قوله[٢] :

هذا على أنَّني ما أستَفيقُ ولا ... أُفيقُ من رحلةٍ في إثرها رحلهْ

وقوله[٣] :

تعاوَرُني الآمالُ حتى نَهَكْنَنِي ... متى يمضِ منها تالدٌ يأتِ طارفُ

وأكثرتُ في الأرضِ التصرُّفَ مُعْذِراً ... فما بلَغتْ بي حيثُ أهوى المصارفُ

لقد جاءت هذه الصورة صدى لأحزان نفس معذبة فقدت مجدها السالف ، أليس بنو ساسان الملوك هم قوم كشاجم ؟ ألم يصف جده السندي بأنه ركن الخلافة المشدود ؟ [٤] ألم تحظ أسرته بالمراتب المرموقة في الدولة العباسية ؟ أما هو فلم يعد يمتلك إلا أملاً في ذلك المجد ، يخفيه فلا يفصح عنه ، ومن هنا كان الرمز والتلميح دون التصريح .

فصورة الرحلة هي المعادل الموضوعي لذات الشاعرالمتسامية في سعيها لتحقيق المجد ، وهو يرمز من خلالها إلى امتلاك الأمل ، والتنفيس عن الأحزان والآلام التي كانت تؤرقه ، فهي رحيل نحو المجهول ، للبحث عن حياة أفضل .

ومجالس الشراب والغناء هي الملاذ الذي يلجأ إليه كشاجم ، كلما استبدت به همومه ، وآلمته ذكريات ماضيه السعيد الذي اندثر ولا سبيل إلى إرجاعه ، يقول كشاجم [٥] :

أَطْلِقْ عِقالَ الرُّوحِ بالرَّاحِ ... إنِّي إليها جِدُّ مُرْتاحِ

قدْ قدَّتِ الحكمةُ روحي فَرَوْ ... وِحْها بأوتارٍ وأقداحِ

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٣١.
(٢) الديوان : ٣٨/٣١٣.
(٣) الديوان : ١/٢٧١-٢.تعاور : تداول . المصارف : الأمكنة والجهات .
(٤) الديوان : ٢٨/١١٣.
(٥) الديوان : ١/٧٠-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أيضاً [١] :

وكنتُ إذا الهُمُومُ تَعَاوَرَتْني ... تروحُ إلـــيَّ طارقةً وتغدو

وجدتُ شِفاءَ همِّي في سماعٍ ... وشُرْبِ مُدامةٍ مَعَ مَنْ أوَدُّ

فالخمر عنده رمز لإطلاق الروح ، والتخلص من الهموم ، وشارب الخمر يريد أن يحقق أحلامـــاً لا يستطيع أن يتناولها بغير هذا الطريق ، فليحقق كشاجم في عالم الخمر ما عجز عن تحقيقه في عالم الواقع ، ولتكن الأحلام إن لم يكن الجاه والسلطان .

ويلفت انتباهنا بقوة في شعره وصوره ، هذا الميل الشديد إلى العلو والسمو والارتفاع[٢] ، لا بل إنه يكره التوسط خشية السقوط في الحضيض ، يقول في ذلك [٣] :

وقالوا عليكَ وسيطَ الأمورِ ... فقلـــتُ لهم أكـــرهُ الأوسَـــطا

إذا لم أكنْ في ذرىً شامخٍ ... ولا في حَضيضٍ وطيءِ الوِطا

وحاولتُ في مرتقىً هائلٍ ... توسُّطَـــهُ خِفـــْتُ أنْ أسْقُـــطا

وهمته عالية ، في موازاة نجوم السماء ، يقول مفتخراً[٤] :

قَنوعٌ على أنَّ لي همَّةً ... تُناطُ النُّجومُ بها في قَرَنْ

فالمكان العالي رمز إلى طموح الشاعر في تحقيق آماله المنشودة ، فهو ما زال قوياً على الرغم مما يواجهه من صعوبات .

وللطبـــيعة عـــالم آخر في نفس كشاجم ، بما تضمنته من أنهار وأزهار وبساتين ومروج خـــضراء ، وكأنه يرمز إلى العالم المثالي الذي تطمح إليه نفسه الباحثة عن الجمال في كل ما حوله .

وقد صور كشاجم خيله تصويراً جمع فيه كل عناصر القوة والسرعة والقدرة علىالتحمل، وأضـــفى علـــيها من التشبيهات ما يجعلنا نخرج بمحصلة مفادها أن هذه الأوصاف لا يمكن أن تجتمع في خيل حقيقية .

فهـــي خـــيل جسيمة " فوق ظهر سلهبة " نحيلة الخصور ، كالسهم قبل أن يراش وينصل " ضمر الأحشاء كالقداح " أما أعناقها الضخمة الطويلة ،فهي كالجذع المرتفع وفيه جحر للضبع، وهي دائماً تسبق الريح والبرق ، وتندفع أقوى من موج البحر ، وأشد من تدفق السيل [٥] .

---

(١) الديوان : ١٣٥/٨-٩.
(٢) الديوان : ٢٥٩/٤٨، ٢٧٨/٦، ٢٨٤/٢.
(٣) الديوان : ٢٤٥/١-٣.
(٤) الديوان : ٣٨٣/٣٣. قـرَن:حبل.
(٥) الديوان : انظر صورة الخيل في هذا البحث ، ص٦٩-٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فــصورة الخــيل هي المعادل الموضوعي للانطلاق والانتصار ، ورمز لإرادة الشاعر القــوية ، ولذاته المترفعة على الأسى ، والمتأهبة لمواجهة عوادي الزمان ، وكأنه يريد من هذه الخيل أن تكون قادرة على منازلة كل عدو ، ومواجهة كل نازلة ، والانتصار في النهاية ، وهو ما يأمله من نفسه بطبيعة الحال .

أما صورة البازي ، فهي رمز للملك الهُمام ، الذي تنكص أقرانه وتجبن عن قتاله " أقرانه تنكل عن برازه " [١] ، وهو قائم بما تتطلبه القيادة من أسر للخصوم ، وقضاء عليهم [٢] :

تَسْتَأسِرُ الطيرُ لهُ إذا بدا

موقنةً منهُ بحتفٍ وردى

وهو ملك يستأصل شأفة أعدائه ، ويأمر ويحكم ، فيطاع أمره ، وينفذ حكمه [٣] :

لمْ تَزَلْ تَخْتَرِمُ الطَّيرَ بِهِ كلَّما حكَّمْتَهُ فيها حَكَمْ

ولعــل الــشاعر قد أسقط ما في نفسه من حزن على ما آلت إليه الخلافة في عصره من ضــياع ، إذ كثــرت الفتن والانقلابات ، فرمز من خلال صورة البازي إلى الحاجة الماسة إلى القيادة الصلبة القوية الشجاعة ، التي تسعى إلى توحيد الكلمة ،واسترداد هيبة الخلافة المسلوبة .

وقد أكثر كشاجم من تصوير الشيب ، نحو قوله [٤] :

تَفَكَّرْتُ في شَيْبِ الفتى وشَبابِهِ فأيْقَنْتُ أنَّ الحقَّ بالشَّيبِ واضِحُ

يصاحِبُني شَرْخُ الشَّبابِ فَيَنْقَضي وشَيْبي لي حتى أموتَ مُصاحِبُ

فالشباب والشيب هما الزمن الماضي والحاضر ، وعندما يغزو الشيب شعر الإنسان ، يبدأ في التفكير بالمصير الذي ينتظره ، الموت وما بعده ، ومن هنا فإن الشيب رمز للنهاية ، والكف عن التفكير في الآمال .

ثانياً : الأسطورة .

الأســطورة التــي نعني هي " أية حكاية تقليدية ، تروي وقائع حدثت في بداية الزمان ، وتهــدف إلــى تأسيس أعمال البشر الطقوسية حاضراً ، وبصفة عامة إلى تأسيس جميع أشكال الفعل والفكر ، التي بواسطتها يحدد الإنسان موقعه من العالم " [٥].

---

(١) الديوان : تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ ، ٤/٢٧٧.
(٢) نفسه ، ٨/٣٤-٩.
(٣) نفسه ، ١٦/٤٥٨. تخترم : تستأصل .
(٤) الديوان :١/٤٣-٢. شرخ : أول .
(٥) انظر : محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب ، عن الجاهلية ودلالاتها ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤، ج١، ص٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبــذلك فــإن الأسطورة تتجلى من خلال مالها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بطقوسه .

وتــشترك الصورة مع الأسطورة في اللغة الرمزية بينهما ، فالأسطورة " لون من ألوان الرمز "[١] . وفيما يلي سوف نعرض لأمثلة على الصور الأسطورية في شعر كشاجم .

أ- المرأة / الشمس / الغزالة :

نظــر كشاجم في شعره إلى المرأة نظرة أسطورية ، وقد شكلت هذه النظرة سمة نظرته للوجــود والحياة ، فالمرأة عنده تشبه الشمس دائماً ، كما في قوله مشبهاً وجه المرأة بالشمس ، وكأس الخمر بالبدر[٢] :

قدْ سَقَتْنِي المُدامَ فيهِ فتاةٌ سَحَرَتْني ولَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرا

فإذا ما رأيتها تشربُ الكأ سَ أرتْنــي شمساً تُقبِّلُ بَدْرا

وقوله [٣] :

فقابلتني بمثلِ الشَّمس ِطالعةً والغيمُ مُطَّرِدٌ والبدرُ مُفْتَقَدُ

وقد كانت الشمس معبودة عند العرب قبل الإسلام ، يقول الله عز وجل " وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالــنَّهَارُ وَالــشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " [٤] . وبذلك يصور كشاجم جانباً إلهياً في المرأة ،ويرمز بها إلى المعبودة " شمس " [٥]، ولولا أنها تحتل من نفسه مكانة مقدسة ، لما شبهها بالذي قد عبد .

كما أنه يكثر من تشبيه المرأة بالغزالة والظبي والمهاة،نحو قوله مشبهاً المرأة بالغزالة[٦] :

إنسانــةٌ تيَّــاهَــةٌ لِحِمَــى فؤادي مُسْتَبيحَــهْ

كغزالةِ القَفْرِ السَّنِيــ ــحَةِ عارضتكَ أو البريحهْ

وقوله مكنياً عن النساء بالظباء [٧] :

أصيدُ وتصْطادُني مرَّةً ظِباءُ القصورِ بِسِحْرِ الحَوَرْ

وقوله مشبهاً المرأة بالمهاة [٨] :

يا مهاةَ الفلاةِ يا عَرْضِةَ الأعْــ ــراضِ يا عَذْبةَ الثَّنايا العِذابِ

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة في النقد الأوروبي ، ص٥٩.
(٢) الديوان : ٨/٤٤٢-٩.
(٣) الديوان : ٣/١٤٤.
(٤) سورة فصلت ،الآية ٣٧.
(٥) انظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٧٠، ج٦، ص٥٥.
(٦) الديوان : ١٣/٧٥-١٤. البريحة : ما ير من ميامنك إلى مياسرك ، والسنيحة العكس .
(٧) الديوان : ١٧/١٨١.
(٨) الديوان : ٢/١٥. العِرْض : الرائحة الطيبة . الأعراض : الأجساد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإضافة إلى تشبيهه المرأة بالرشا والشادن والريم [١] .

وقد يجمع بين تشبيه المرأة بالشمس ، وتشبيهها بالغزالة ، نحو قوله [٢] :

أديــرُ طَرْفي فلا أرى حسَنَاً إلا أرى منــكِ ذلكَ الحَسَنا

يا شمسُ وجهاً ويا غزالةُ ألــْ حاظاً وقدَّ القضيبِ مُحْتَضَنَا

وقد اعتقد العرب في الجاهلية بالغزال ، ودليل ذلك أن عبد المطلب جد رسول الله ، صلى الله علــيه وســلم ، وجد في بئر زمزم يوم حفرها ، تمثالي ذهب لغزال ، فضربهما في باب الكعبة ، وكانا بذلك أول ذهب حلّيته الكعبة [٣].

ونجد في اللغة أن الغزالة والمهاة من أسماء الشمس [٤] ، وبذلك تجتمع صورة المرأة إلى صــورة كــل من الشمس والغزالة ، لتشكلا رمزاً واحداً مقدساً . " فالغزال وأسماءه ظبياً ورشأ وشادناً من النعوت التي تطلق على المرأة في الغزل ، في أقدم ما وصلنا من الصور الشعرية ، وكذلك الشمس ، والصلة بينهما هي طبعاً معنى الأنوثة والخصوبة " [٥].

فسر الخصوبة في المرأة مرتبط بالشمس ، التي تمنح الخصب بحضورها ، ومن هنا جاء تــصوير كشاجم للمرأة بالبدانة ، فهي ممتلئة الجسد " بضة " ، ثقيلة الأوراك ضخمة العجيزة " رداح " ، دقــيقة الخــصر " غرثــى الوشاح " ، ممتلئة مستديرة الساقين " ممكورة " ، ضخمة الفخذين " لفــّاء" [٦] .

وفــي صورة أخرى يشبه النسوة بالمها في حسن القوام واستدارته ، كما يشبه أعجازهن بكثبان الرمل في ضخامتها ، وبالأمواج في حركتها ، يقول كشاجم [٧]:

بَدَتْ في نِسْوَةٍ مثل الــْ ــمها أدْمِجْنَ إدْماجَا

يُجاذِبْــنَ مِــنَ الأرْدا فِ كُثباناً وأمواجَــا

ولعــل تــصوير الأعضاء الأنثوية في المرأة ، يتصل بوظيفة الخصوبة والديمومة ، تلك الوظيفة التي من أجلها قدّست أو عبدت المرأة .

---

(١) الديوان : ٢/٦٩ ، ٣٨/١٧٤ ، ١/٣٥٠.
(٢) الديوان : ٣/٢٨٧-٤.
(٣) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ج١ ، ص١٢٦.
(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غزل) ، ج٥ ، ص٣٤. مادة (مها) ، ج٦ ، ص١٠٧.
(٥) محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب ، ج١ ، ص٣٠٩.
(٦) الديوان : ١٦/٧ ، ٩/٧١ ، ١٣/٧٢ ، ٥/٩١ ، ٤/٣١٠.
(٧) الديوان : ١/٦٦-٢. الإدماج : حسن القوام واستدارته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الرجل / القمر / النجوم المعبودة :

لقــد أكثر كشاجم من تشبيه ممدوحيه بالهلال المضيء ، والقمر المنير[١] ، للتعبير عن رفعة شأنهم ، ووضاءة وجوههم ، حتى إن ممدوحه ليغلب بنوره نور نجوم السماء وكواكبها ، كالزهرة ، والشعرى العبور ، وعطارد ، يقول كشاجم[٢] :

تبارَكَ فاطِرُ القــمــَر اقتِدارا ... أصَاغَكَ صيغة القمرِ المنيرِ

لطُفْتَ فجُزْتَ حدَّ اللُّطفِ حتَّى ... كأنَّكَ بعضُ سُكــَّانِ الأثيرِ

فَضَحْتَ الزُّهرةَ الزَّهراءَ نوراً ... وقدْ أزرَيتَ بالشِّعْرى العَبورِ

وعَالمُنا الصَّغيــرُ أقــلُّ قدْراً ... ولكنَّا نراكَ مــِنَ الكبــيــرِ

ومَنْ يشْناكَ أو يبغيكَ ســُوءاً ... ظِلاميُّ الطِّباعِ وأنتَ نوري

وقالَ عُطاردٌ كــُنْ لي نظيراً ... فكُنْتَ لــَهُ أجــَلَّ من النَّظيرِ

كمُلْــتَ براعة وجَمَعْتَ ذِهناً ... ومعرفةً بأســْرَارِ الأمــُورِ

وهــو في هذا يضفي على ممدوحه من الصفات ، ما لا يتصف به البشر عادة ، فعالمنا نحن صغير ، ولكنه هو من الكبير ، وهو ينتسب إلى النور " نوري "، كما أنه أجل عن النظير، فهو الكامل براعة ، الجامع ذهناً ، العارف بأسرار الأمور ، إنه أقرب إلى الإله منه إلى البشر .

وقد عبد العرب في جاهليتهم الكواكب والنجوم ، وقد تمثل ذلك في " ثالوث سماوي هو : الشمس ، والقمر ، والزهرة ، وهو رمز لعائلة صغيرة ، تتألف من أب هو القمر ، ومن أم هي الشمس ، ومن ابن هو الزهرة " [٣].

وأطلقوا على القمر أسماء ، نحو " وُدّ " الذي مثلوه على هيئة صنم ، وقد جاء في صفته " كان تمثال رجل كأعظم ما يكون الرجال ، قد ذُبرَ عليه حلّتان ، متزر بحلّة ، مرتدٍ بأخرى ، علــيه سيف قد تقلّده ، وقد تنكّب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووَقْضة (أي جعبة) فيها نبل " [٤] .

و " كهلــن " أي الكهل أو القدير والمقتدر والعزيز[٥] . وبذلك تكون صورة الإله القمر ، صــورة الرجل القوي في جسده " كأعظم ما يكون الرجال " ، القدير والمقتدر بأفعاله ، العزيز في رفعة شأنه .

---

(١) الديوان : ٣/١٠، ١٣٦/٢، ٢٥٦/١٤.
(٢) الديوان : ١٥٩/١-٧.
(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦ ، ص٥٠.
(٤) ابن الكلبي ، كتاب الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٥٦. الذبر : الكتابة .
(٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦ ، ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كمـــا عبدوا الشعرى العبور ، التي سموها بذلك لأنها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها ، وعطارد ، وغيرها من الكواكب والنجوم[١] .

وهكـــذا فإن تشبيه كشاجم لممدوحيه بالقمر المنير ، الذي يتفوق على الزهرة ، والشعرى العـــبور ، وعطـــارد ، لا يتوقف عند مجرد التعبير عن الرفعة والوضاءة ،بل يتجاوز ذلك إلى ضرب من ضروب المنافسة بين الآلهة ، في جو من الديانة الأسطورية .

جـــ- الحمام /البكاء :

تقتـــرن في شعر كشاجم صورة الحمام والبكاء ، كما في قوله يصف طيور الكراكي في أرجوزة [٢] :

دُعِرْنَ قبلَ لَغَطِ المُكاكي

وقبلَ تغريدِ الحمامِ الباكي

وهـــو ما يشيع في النفس الحزن ، كما في قوله يصف غناء أحد المغنين ، بعد أن شبهه بالقمري [٣] :

وقُمـــرِيٍّ يغنِّيـــكَ لُحوناً غيـــرَ مَلْحونَه ْ

ألا يا مَنْ لِمحزونٍ نأى عن دار مَحْزونَه ْ

وهـــنا يأتي دور الأسطورة ، لتوظف في رسم الصورة ، وتقديم التجربة النفسية ، تقول الأســـطورة : " الهـــديل فرخ تزعم العرب أنه كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فالحمام تبكي عليه إلى يوم القيامة " [٤].

وكـــأن الـــشاعر وجد في صورة الحمام النائح ، الفاقد صغيره ، صورة لنفسه الحزينة ، بسبب بعدها عن دار محبوبتها .

وهكذا فإن دراسة الصور دراسة رموز وأساطير ، تكشف دلالات نفسية عميقة ، تتعدى بـــه هذه الصور ظاهر معانيها ، لتتحول الكثير من الصور الجزئية في ظلها إلى صور كلية ، واضحة الدلالة .

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦ ، ص٥٨-٦٠.

(٢) الديوان : ٣/٤٩٣-٤. لغط : صوت أو جلبة . المكاكي : نوع من الطيور .

(٣) الديوان : ٢٤/٤٠٢-٢٥. القمري : نوع من الحمام .

(٤) التبريـــزي ، والبطليوســـي ، والخوارزمـــي ، شروح سقط الزند ، تحقيق : مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هـــارون ، وإبـــراهيم الأبـــياري ، وحامـــد عبد المجيد ، بإشراف طه حسين ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤، ٢٠٠٢، ج٣، ص٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الموقف الفكري للشاعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني
الموقف الفكري للشاعر

إن رؤيـــة الـــشاعر للحياة ، وما فيها من مظاهر الحب والفراق ، والخير والشر ، والجد واللهـــو ، تـــبدو واضـــحة في صور كشاجم التي يرسمها في قصائده ، بطريقة يمكننا معها أن نستكشف صورة الإنسان في كل زمان ومكان ، وما يواجهه في حياته من سعادة وشقاء.

وفـــي التجـــربة الإنسانية العميقة مجال مشترك بين الشاعر والناقد " فهذه التجربة هي المـــيدان الفسيح الذي يتحرك فيه الشاعر ، سواء في نمو مشاعره وأفكاره ، أم في شحن غيره بالمـــشاعر والأفكار . فالشاعر أينما كان ، وفي أي زمان وجد ، وإلى أي جنس ينتمي ، يظل الناطق الفذ بالتجربة الإنسانية الشاملة ، وتظل الصورة هي الشعار الذي يبرز خصوصيته " [١].

ومن هذه الأفكار :

أولاً : الحب والفراق .

جاءت في شعر كشاجم صور كثيرة للحب وما يتصل به من قضايا وأفكار ،تسعده حيناً ، وتشقيه أحياناً أخر . والحب عند كشاجم قضية عامة ، ينضوي تحتها الحب لآل البيت الكرام ، والحب الذي بين الصديق وصديقه ، والحب الذي بين الرجل والمرأة .

وقـــد جعـــل للحب موضوعات صورية متنوعة ، فحب آل البيت نجاء وخلاص ، وحب الإمام علي ، كرم الله وجهه ، مبرّة ، وصلة ، وطهارة ، وعلوّ همة [٢]، وبالحب تتآلف أرواح الأصدقاء ، وتمتزج ببعضها ، كما تمتزج الخمر بالماء[٣].

وقد تمثل له الحب ، في الجانب الهانئ منه ، بالنبتة التي يغرسها الحبيب الوفي في صدر حبيبه ، يقول في صديقه أبي بكر الصنوبري [٤] :

فَقِدْماً – يا لكَ الخيرُ – غرسْتَ الوُدَّ في صَدْري

وروحـــه تـــستعذب الحب ، وتقوم على ذكراه ، حتى لو أدى ذلك إلى إتلافها وهلاكها ، يقول متغزلاً [٥]:

سُلِّطتِ الألحاظُ منهُ علـــى قلبي فلو أوْدَتْ بهِ ما اشْتَفَتْ

واسْتَعْذَبَتْ روحي هواهُ فما تَسْلوا ولا تصْحُوا ولو أتْلِفَتْ

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، ص١٢٠-١٢١.
(٢) الديوان : ٤/٣ ، ١/٣٢٥ ، ١/٣٥٤ .
(٣) الديوان : ١/٧٩-٢.
(٤) الديوان : ٢٥/٢٠٩.
(٥) الديوان : ٣/٤٩-٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطيب له ليالي الحب ، واللهو ، فيصف إحداها قائلاً [١]:

ولَيْـلَةٍ فيها قِصَـرْ عِشاؤُها مَـعَ السَّحَرْ
وَحْياً كلمْحٍ بالبَصَرْ أو خَطْرةٍ مِنَ الخَطَرْ
في مِثلهاالتدَّ السَّحَرْ واستوطأ الجَنْبُ الإبَرْ

إنهـا صورة لمسية معبرة ، فالإنسان في هناء الحب ، ولذته ، يجد الوقت قصيراً ، كلمح البصر في العين ، أو وميض الخاطر في النفس ، كما يجد الإبر وطيئة سهلة ليّنة ، وهذا شعور كل حبيب إذا كان برفقة حبيبه .

أمـا في الجانب المؤلم من الحب ، وهو الغالب عند كشاجم ، فإنه يعاني ، أشد ما تكون المعاناة ، ويدعو على الحب ، متمنياً لو لم يعرف طريقه ، الوعر ، الشاق ، ثم يلوذ بالبكاء لعله يخفف عن قلبه نيران الحب [٢] :

صاح ما حيلتي حَسِبْتُ طريقَ الـْ ـحُبِّ سَهلاً فكان –لا كان– وَعْرَا
لا تَلُمْ فـي البُكَـاءِ فالدَّمعُ لو لمْ يكنْ في الخدِّ كان في القلبِ جَمْرَا

وفـي صـورة ذوقـية ، يشبه فيها تجربته في الحب ، بالذي يحتسي السم ، للدلالة على مكابدته آلام الحب ، وأوجاعه [٣] :

أنا في الهوى كَمُجَرِّبٍ في نفسِهِ سُمَّ الأسَاوِدْ

ويتمثل مصدر الألم والمعاناة في حبه للمرأة في بعدين ، الأول بعد زماني يمثله الشيب ، وكبر السّن ، مما يدفع النساء إلى الإعراض والصدود عنه [٤] :

إذا فكَّرْتُ فـي شَيبي وسِنِّي عَتَبْتُ عليهِ فيما نالَ منِّي
كأنَّ الشَّيبَ غارَ على الغواني فعرَّضهنَّ للإعراضِ عنِّي

والثاني بعد مكاني يمثله الفراق ، وكل ما كان سبباً إليه ، كالهجر ، والصدّ ، والقطيعة ، وهـو الـبعد الأكبر أثراً ، والأعمق ألماً ، في نفسية كشاجم ، حتى إنه ليكون سبباً في ظهور الشيب ، والإيذان بالموت ،وهو في هذا يقرن الملوك بالعشاق ، لما للعشق من منزلة رفيعة [٥]:

شِبْتُ في حالتَي سُرورٍ وحُزْنِ ومقامَـي تفـرُّقٍ وتلاقـي
حُمَّ بَيْنٌ فشِبْتُ مـن حَذَرِ الـْ ـبَينِ ومَنْ لا يشيبُ عند الفِراق؟
واعْتَنَقْنا فشِبْتُ مـِنْ طِيْبِ أنْفا سـِكِ لمَّا حَبَوْتَني بالعِنَـاق

(١) الديوان : ١/٢١٢-٣.
(٢) الديوان : ٣/٤٤١-٤.
(٣) الديوان : ٣/١٣٩. الأساود : العظام من الحيات .
(٤) الديوان : ١/٤٩٨-٢. الغواني : جمع الغانية ، وهي الرأة التي تطلب ، أو الغانية بحسنها عن الزينة .
(٥) الديوان : ١/٢٨٢-٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي طيبٌ والطِّيبُ والبَينُ شَيْبٌ مُعْجِلٌ للملوكِ والعُشَّاق

ومـــن بين لواعج الحب ، تطل علينا صورة كشاجم الحزينة ، الباكية ، فهو يسهر الليل ، ويبكي بدمع جار يسقي الأرض ، وتجتاحه المعاناة ، والهموم ، والأفكار ، فحبيبه عذب الغناء ، جميل الوجه ، إليه موته وحياته[١] :

ليتَ مَنْ أهوى يراني ساهراً أنْضَحُ الأرضَ بمَسْفــوح دُرَرْ
ذاكَ إنسانٌ تَعَرَّضــتُ لــَهُ لِمُعانــاةِ هــُمُــومٍ وَفِــكَــرْ
لستُ أدْري كُلَّمــا ميَّزْتُ ما لــيَ فيهِ من سَمــاعٍ ونَظَــرْ
أيُّمــا أوفــرُ حَــظَّــيَّ بــهِ حظُّ سَمْعي منهُ أو حظُّ البَصَرْ؟
غَيْــرَ أنِّــي أفقِدُ العَيْــشَ إذا غابَ عن عَيني وأحيا إنْ حَضَرْ

وهــو في الحب لا يستمع إلى قول العذول ، الذي يريد به الشر ، ويستمر في بكائه على أحبته ، مجتنباً العذول ، فللحبيب مكان شريف في قلبه ، أكبر من أن يتسلى عنه بمكان العذول الوضيع[٢] :

اكْفِنا يا عَــذوُلُ شَــرَّ لِسانِكْ والْهُ عَنّا فَشانُنا غَيْرُ شانِكْ
دعْ دُموعي على الأحبَّةِ تَجْري واجتَنِبْني فَلَسْتُ من أخْدانِكْ
فَمَكانُ الحَبيــبِ أكبرُ مــِنْ أنْ أتَسَلَّى عــَنْ حُبِّــهِ بِمَكانِكْ

وفـــي المقابل فإنه يستمع إلى أحاديث المحبين ، ويبكي لشكواهم ، ويؤمّن بإخلاص على دعــائهم ، ومــا ذاك إلا لأنه لاقى ما لاقوه من العناء ، وكابد ما كابدوه من المشقة ، فعساه أن يخفف عنهم شيئاً من ذلك الألم[٣] :

صَحَوْتُ عن كُلِّ شيءٍ كان يُعْجِبُني إلا استماعَ أحــاديثِ المُحِبِّينا
إذا شَكَى بعضُهُمْ وَجــْداً بكَيتُ لهُ وإن دعا قُلْتُ بالإخلاص آمينا
ما ذاكَ إلا لأنِّــي قدْ لقيــْتُ كَمَــا لاقوا وكابَدْتُ ما قدْ كابَدوا حِينا
لكنَّني لــَمْ يكُنْ لــِي مَنْ يُساعِدُني وها أنا مُسْعِدٌ مَنْ كان مَحْزونا

وبــذلك يضع كشاجم بين أيدينا تجربته الشاملة في الحب ، التي يسعد بها كل من كان له نــصيب فــي محبة إمام ، أو صديق ، أو امرأة ، أو أي إنسان ، لكنه لم يجد من يشعر معه ، ويساعده ، فلاذ بالبكاء الحزين .

---

(١) الديوان : ١٢/١٥٥-١٦.
(٢) الديوان : ١/٣٨٣-٣.أخدانك : جمع خِدْن وهو الصديق .
(٣) الديوان : ١/٣٩٢-٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : الخير والشر .

نعنـــي بالخيـــر هنا الفضائل الأخلاقية ، وما يتفرع عنها ، كالعلم ، والأدب ، والوفاء ، والتواضع ، والصبر ، والكرم ، وغيرها . ونعني بالشر الرذائل الأخلاقية ، وما يتفرع عنها ، كالغدر ، والتكبّر ، والظلم ، والقطيعة ، والخيانة ، وغيرها .

ولقـــد صـــور الشاعر هذين المحورين ، اللذين يقتسمان الحياة ، على أساس قاعدة نفسية وفكرية عميقة ، بحيث تتداعى صورهما ، فالخير يستدعي خيراً مثله ،فالعلم تاج يزين الرأس ، والآداب جنان مثمرة ، ووفاء الصديق لصديقه توحيد ، والتواضع شرف [١] .

كمـــا أن الـــشر يستدعي شراً مثله ، فغدر الصديق بصديقه شرك ، والتكبر لؤم ، والظلم ظلمة بشعة [٢] .

ويحسن بنا أن نتوقف عند صورة الصبر ، أحد الفضائل الأخلاقية ، الغالبة عند كشاجم ، لنـــرى كـــيف أن هذا الخير الموجود ، يستدعي خيراً غائباً . فإذا كان الحرص في الرزق ذل لصاحبه ، فإن الصبر شرف شامخ [٣] :

بالحِرْصِ بالرِّزقِ يَذِلُّ الفتى ... والصَّبْرُ فيهِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ

وإذا أغل قوم ، فحسن الصبر غلة ومنفعة [٤] :

أقْني حياءً فأسْتَغْني بهِ وإذا ... أغلَّ قومٌ فَحُسْنُ الصَّبْرِ لي غَلَّه ْ

وإذا استل الدهر سيفه ليبطش ، فإن الصبر وقاية من بطشه [٥]:

أعاتِبُ دَهْرِيَ والدَّهْرُ عـــَنْ ... عِتـــَابِ الأديبِ أصَـــمُّ الأذُن ْ

وإن شَامَ سَيْفاً مِنَ الحادثاتِ ... جَعَلْتُ لها الصَّبْرَ دوني مِجَن ْ

وما ذاك إلا لأن الصبر ملجأ من كل سوء ، وهو وإن كان مر الطعم ،شديداً على النفس ، فإن عواقبه أحلى من العسل [٦]:

إنِّي فَزِعْتُ إلى صَبْري فأنْقَذني ... مِنْ سُوءِ فِعْلِكَ بي إذ قصَّرَتْ حِيَلي

والصَّبْرُ مثلُ اسْمِهِ في كُلِّ نائبةٍ ... لكِـــنْ عواقِبُهُ أحْلـــَى مِنَ العَسَـــلِ

ومن هذا التداعي ، قياسه خيراً لاحقاً بخير سابق ، فمن أحب آل البيت سوف ينجو، كما نجى من ركب في سفينة نوح عليه السلام ، يقول في آل البيت [٧]:

---

(١) الديوان : ٤٣/٦٢ ، ٢٨/٢٥٣ ، ٣/٣٠٦ ، ٣٠/٣٥٣ .
(٢) الديوان : ٣/٣٠٦ ، ٣٠/٣٥٣ ، ٢/٣١٤ .
(٣) الديوان : ١/١٠٢.
(٤) الديوان : ٤٠/٣١٣ . أغلّ : خان . غلة : الدخل من كراء دار ومنفعة أرض .
(٥) الديوان : ١١/٣٨١-١٢. شام سيفا : أخرجه من غمده ، استله . مجنّ : وقاية وترس .
(٦) الديوان : ١/٤٦٠-٢. الصّبر : عصارة شجر مرَ .
(٧) الديوان : ٤/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سفينةُ نوح فَمَنْ يَعْتَلِقْ بِحُبِّهمُ يَعْتَلِقْ بالنَّجاءِ

وكرم الأمير الرشيدي من كرم آله العباسيين ، فهو صفوتهم ، وهنا يجسد الشاعر الكرم ، فيجعله حبلاً ممدوداً للناس على مرّ الأيام ، يقول في الرشيدي[١] :

صَفْوَةُ الأكرَمِينَ من آلِ عبَّا سٍ وحَبْلِ المكارمِ المَمْدودِ

ومـــن هذا التداعي النفسي والفكري ، صوره القائمة على أساس أن الخير يؤدي إلى خير مثله ، فالكرم يصون الأعراض ، والجود يحفظها من العيب أبد الدهر[٢] :

وأكرمتُ أعْرَاضِي بمالي فصُنْتُها ومَنْ جادَ لمْ يَدْنَسْ لهُ أبَداً عِرْضُ

والكريم يستحق المدح والثناء ، جزاء عطاياه ، يقول مادحاً علي بن طارق [٣]:

ملأ الأكُفَّ مواهِباً ملأتْ مسامِعَهُ مَحامِدْ

ومـــن هذا التداعي ، أن ذكر الشر يؤدي إلى ذكر شر مثله ، فقطيعة صديقه له بالامتناع عن استلام رسالته ، موازٍ للظلم والملام والعتاب ، كما أن امتناعه عن قبول الهدية ، يشمت به المنافسين والحساد[٤] .

وعـــندما نصّب الصحابة أبا بكر الصديق إماماً عليه ، عدّ ذلك شراً ، كما يعتقد الشيعة ، وجاء بصورة أساف وهبل ، من أصنام الجاهلية ، وفي ذلك يقول [٥]:

كأنَّكُمُ حينَ قلَّدتُموهُ نَصَبْتُمْ أسافَ بِهِ أو هُبَلْ

وقد يتولد الخير من الشر ، فالرضى عن النفس ، والتفوق في ميادين العلم والأدب ، يأتي من إغضاب النفس ، وتقريعها ، ولذلك أكثرت لومه وعتابه [٦] :

لمْ أرضَ عن نفسي مخافة سُخْطِها ورضى الفتى عن نفسِهِ إغْضابُها

ولو أنَّني عنها رَضيتُ لقصَّرتْ عمَّـــا تُريـــدُ بِمِثْـــلِـــهِ آدابُـــها

وتبيَّنَـــتْ آثـــارُ ذاكَ فأكْـــثَـــرَتْ عَذْلي عليهِ فطالَ فيـــهِ عَتابُـــها

وفي موت ابنة أبي بكر الصنوبري ، أتم الستر ، وأوفى النعمة ، فقد يكون الخير في هذا المكروه ، يقول في ذلك [٧] :

فتـــاةٌ أسْبَلَ اللـــهُ عَلَيها أسْبَغَ السِّتْـــرِ

ورُزْءٌ أشْبَهَ النِّعْمَـــ ـــةَ في المَوقِعِ والقَدْرِ

---

(١) الديوان : ١٧/١١٢.
(٢) الديوان : ٢١/٢٤١.
(٣) الديوان : ١٢/١٤٠. لم نعثر له على ترجمة .
(٤) الديوان : ٣/٢٨ ، ٤/١٠٤.
(٥) الديوان : ٣٠/٣٤٦.
(٦) الديوان : ١/٣٣-٣.
(٧) الديوان : ٥/٢٠٢-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدْ يُخْتارُ في المَكْرو ... هِ للمَرْءِ وما يَدْري

وجلي هنا أن كشاجم يستعيد قول الله عز وجل : " وَعَسَى أن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ " (١).

وقد يتولد الشر من الخير ، فالخيانة تأتي من نصيحة العذال (٢) :

وادَّعَوا نُصْحِي وأخْوَنَ ما ... كان عُذَّالي إذا نَصَحوا

وإحسان المرء سبب في كثرة الأعداء ، وما عليه إلا الصبر والاحتساب (٣) :

كثَّرَ الإحسانُ أعْدَا ... يَ فَصَبْراً واحْتِسابا

وعلى أية حال ، فالخير خير ، والشر شر ، وكلاهما من حقائق الحياة التي نعيش ، وفي كل المخلوقات التي خلقها الله خير وشر ، ونفع وضر ،وعلى الإنسان أن يزيد نفعه على ضره، وخيـــره على شره ، كما عليه أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يطيعها في ميولها وأهوائها ، فهي تجتنب الخير ، وتؤثر الشر والسوء ، يقول كشاجم(٤):

لَيْـــسَ خَلْقٌ ألا وفيهِ إذا ما ... وَقَعَ الفَحْصُ عَنْهُ خَيْرٌ وَشَرُّ

لازِمٌ ذاك فـــي الجِبِلَّةِ لا يَدْ ... فَعُهُ مَنْ لـــهُ بذلكَ خُـــبْـــرُ

حكمَةُ الصَّانِعِ المُقـــدِّرِ أنْ لا ... شـــيءَ إلا وفيهِ نَفْعٌ وَضُرُّ

فاجْتَهِدْ أنْ يكونَ أكثَرُ قِسْمَيْـــ ... ـــكَ مِنَ النَّفْعِ والأقلُّ الأضَرُّ

وَتَحمَّلْ مَرَارَةَ الرَّأي واعْلَـــمْ ... أنَّ عُقْبى هـــوَاكَ مِنْهُ أمَرُّ

رُضْ بهذا التَّدبيرِ نَفْسَكَ واقصُرْ ... ها عَلَيـــهِ فَفيهِ فَضْلٌ وَفَخْرُ

لا تُطِعْها علـــى الذي تَبْتَغيْهِ ... ولْيَرُعْها مِنْكَ اعْتِسافُ وَقَهْرُ

إنَّ مِنْ شأنِها مُجانَبَةَ الخَـــيْـــ ... ـــرِ وإيثارَ كُلَّ مـــا قدْ يَعُرُّ

ثالثاً : الجد واللهو .

يـــبدو لنا كشاجم ، من خلال شعره ، أنه صاحب شخصية ذات جانبين متضادين ، جانب جـــاد تمثل في مجالس العلم والأدب ، وجانب لاهٍ عابث تمثل في مجالس الشراب والغناء ، وقد صور كلا الجانبين خير تصوير .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٦.
(٢) الديوان : ٣/٦٩.
(٣) الديوان : ١/٣٤.
(٤) الديوان : ١/١٦٣-٤ ، ٥/١٦٤-٨. الجبلّة : الأصل والطبيعة . رُض : الأمر من راض بمعنى درّب وروّض . يَعُرّ : يسيء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبينما هو في ميدان القتال ، يرتدي شكك السلاح ،ويقارع الشجعان ، طلباً للعلا والمجد ، إذا به ينتقل إلى مداعبة النساء ، وشرب الخمر ، يقول كشاجم مفتخراً بنفسه [١] :

مُتَصَرِّفاً بالجِدِّ أحْـــ ـــياناً وطوراً في المُزاحِ
بينا أجـــرُّ من الغلا ئلِ رِّحْتُ في شَكَكِ السِّلاحِ
وأغيرُ في بُهَمِ الكُما ةِ صَبَوْتُ بالخـــوْدِ الرَّداحِ
فَغُدُوٌّ يومـــي للعُلا ورواحُـــهُ أبَداً لِـــرَاحـــي

ولكن كشاجم لا يقاتل بالسيوف ، فأصحاب السيوف متنعمين بالبطالة والدّعة ، وإنما يقاتل بـــالأقلام ، لأن أصـــحاب الأقـــلام ، الكتاب والشعراء ، يكافحون في كل ساعة ، وتقطر دماء خصومهم على أقلامهم [٢]:

هنيئاً لأصحابِ السُّيوفِ بِطالةً تَقَضَّى بها أيَّامهمْ في التَّنَعُّمِ
ولكنْ ذوو الأقلامِ في كُلِّ ساعةٍ سُيُوفُهمُ لَيْسَتْ تَجِفُّ من الدَّمِ

ونـــراه ينصرف عن كل ما يعيق همته العالية ، كاللهو ، والطرب ، والغنى ، والخمر ، إلـــى مجـــالس معمورة بشتى العلوم ، كالشعر ، والأخبار ، والنحو ، واللغة ، يقول كشاجم في أرجوزة [٣] :

حسبي من اللهوِ وآلاتِ الطَّرَبْ ومن ثراءٍ وعَتَـــادٍ ونَشَـــبْ
ومِنْ مُـــدامٍ وَمَثانٍ تَصْطَخِـــبْ وهمَّةٍ طامحةٍ إلـــى الرُّتَـــبْ
مجالسٌ مَصُونَةٌ عـــَنِ الرِّيـــَبْ معمورةٌ من كلِّ علمٍ يُطَّلَـــبْ
تكادُ من حـــرِّ الحديثِ تلتهـــِبْ شِعْراً وأخْباراً ونَحْواً يُقْتَضَبْ
ولُغةٌ تجمـــعُ ألفَـــاظَ العـــرَبْ وفِقَراً كالوعدِ في قلبِ المُحِبْ

وفـــي أمـــثال هذه المجالس ، أدّب كشاجم ابنه ، وعلمه تناقل العلياء ، وزيارة العلماء ، وطلب العلم بين أيديهم ، حتى تفوق على زملائه في الدرس ، يقول في ذلك [٤]:

وعَمَرْتُ منهُ مجالسي ومسالكي وجمعتُ فيهِ مآربي وهوائي
فأظـــلُّ أبْهَجُ بالنَّهـــار بقُرْبـــِهِ وأريهِ كيفَ تَنَاقُلُ العَليـــاءِ
وأزيرُهُ العُلمـــاءَ يأخـــُذُ عَنْهـــُمُ فَيَبَدُّ مّنْ يَغْدو إلى العُلَمـــاءِ

(١) الديوان : ٧/٧١-١٠.الغلائل : الدروع . شكك : ملابس . بهم : جمع البهمة وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى له .
(٢) الديوان : ١/٣٦٩، ٥/٣٧٠.
(٣) الديوان : ١/١٣-٥. نشب : المال الأصيل في نقود وماشية . مثان : من أوتار العود . يقتضب : يرتجل .
(٤) الديوان : ٦/١١-٨.يبذ :يغلب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهـذه الهمـة الطمـوحة ، والـسعي الدؤوب ، والجد في الحياة ، حصل كشاجم العلم والمعرفة والآداب ، حتى أصبح يعرف كل أصناف العلوم ، يقول مفتخراً[١] :

وما زلْتُ أبغي العلمَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَغى ... وأفتَنُّ فـي أصنافِـهِ وتَطَرُّفِـهْ

فقدْ صِرْتُ لا ألقـَى الذي أسْتَزيدُهُ ... ولا يُذْكَرُ الشَّيءُ الذي لسْتُ أعْرِفُهْ

وهـو يصوم رمضان ، ويصلي ، ويقرأ القرآن ، ولكنه سرعان ما ينصرف إلى اللهو ، متجاهلاً كل لائم [٢]:

مضى رمضانُ قدْ أدَّيتَ فيهِ ... حقوقَ اللهِ قرآناً وصَـوما

وجاءَ الفِطـْرُ فالهُ الآنَ فيهِ ... ولا تَسْمَعْ لِمَنْ يَلْحاكَ لوما

حتى ينهمك باللذائذ ، غير آبه بما سواها ، فيأتي القبيح من الأعمال ، وبدل أن يستمع إلى النصيحة ، يصغي إلى صوت الناي والوتر ، وينصرف إلى شرب الخمر[٣] :

ألذُّ العَيشِ إتيانُ القبيحِ ... وعصيانُ النَّصيحةِ والنَّصيحِ

وإصغاءٌ إلى وَتَرٍ ونايٍ ... إذا ناحَا علـى دَنٍّ جَريـْحِ

ويحلو له التمرد ، وإتيان المحرمات [٤] :

وما اللذاذاتُ إلا ... لِمَنْ صَبا وتَمَرَّدْ

فيتخلى عن حيائه ووقاره ، ويتبع هواه ، في معاقرة الخمر ، والزنى ، والشذوذ الجنسي ، وكل ما يؤدي إلى الخسار ، يقول في وصف أحد الغلمان السقاة ، وقد أخذهما السكر ، فجرهما إلى الانحراف [٥] :

لا عُذْرَ فيهِ لِمَـنْ رآهُ ... فلمْ يَرُحْ خالعَ العِذارِ

شَرِبْتُ من كاسهِ عُقاراً ... ومن ثناياهُ كالعُقـارِ

حتى إذا الرَّاحُ رَنَّحَتْهُ ... وشدَّهُ السُّكْرُ بانكسارِ

وخالطَتْ وَرْدَ وجنتيهِ ... فَضاعَفَتْـهُ بِجُلَّنَـارِ

بِثَنَـا وضمَّنَـا إزارٌ ... للهِ ما ضُمَّ في الإزارِ

فَظُنَّ ما شئْتَ بي فإنِّي ... أتيتُ ما شئْتَ من خَسَارِ

---

(١) الديوان : ١/٢٧٤-٢. تطرُّفه : اختياره .
(٢) الديوان : ١/٣٦٩-٢.
(٣) الديوان : ١/٤٣٩-٢.
(٤) الديوان : ٣٥/١٣٣.
(٥) الديوان : ١٠/١٩٧-١٥. الإزار : الثوب يحيط بالنصف الأسفل من الجسم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن ، وإن كنا لا نتفق مع كشاجم في لهوه المحرم ، فإننا نؤيده في قسمته الحياة إلى جد ولهـــو ، اللهو المباح ، إذ ليس بمقدور الإنسان الاقتصار على أحد هذين الجانبين ، وعليه أن يقسم عمره بين النعيم ، من غذاء ، وشراب ، ونساء ، والأدب ، من نشيد ، وحديث ، وكتب ، كما يجب عليه أن يعمل لدنياه وآخرته على السواء ، فإن فعل ، فإنه سيسعد ، ويرشد ،ويصب ، يقول كشاجم [١] :

عَجَبي ممَّنْ تعالـــَتْ حالُـــهُ ... وكفاهُ اللهُ ذِلاتِ الطَّلَـــبْ
كيفَ لا يَقْسِمَ شَطْرَي عُمْرِهِ ... بَيْـــنَ حالين نعيـــمٍ وأدبْ
سَاعَـــةً يُمْتِعُ فيها نَفْســـَهُ ... من غِذاءٍ وشرابٍ مُنْتَخَبْ
وَدَنُوٍّ مِـــنْ دُمىً هُنَّ لَـــهُ ... حينَ يشتاقُ إلى اللهوِ لُعَبْ
فإذا ما نالَ مـــِنْ ذا حظَّهُ ... فَنَشيـــدٌ وحديـــْثٌ وكُتُـــبْ
مرَّةً جِدّاً وأخرى راحـــَةً ... فإذا ما غسقَ الليلُ انتصَبْ
فَقَضى الدُّنيا نهاراً حقَّـــها ... وقضـــَى لله ليلاً ما يَجـــِبْ
تلكَ أقسامٌ متى يَعْمَلْ بـــِها ... عاملٌ يَسْعَدْ ويَرْشَدْ ويُصِبْ

ولعـــل هـــذا مـــا حدا بالثعالبي إلى أن يتمثل ببعض من أبيات كشاجم السابقة ، وأن يعد طريقته في الحياة قضية تحتذى[٢]، فأفكار كشاجم ، في الحب والفراق ، والخير والشر ، والجد واللهـــو ، لا تخصه وحده ، وإنما هي تمثل موقفاً من الحياة ، يصدق على تجربته كما يصدق على تجارب آخرين كثيرين .

رابعاً:الحكمة وأبعادها الجمالية.

الحكمـــة هـــي " آثار التفكير في الإنسان ، والمجتمع ، والوجود ، والحقائق ، والأشياء ، وهي ثمرات العقل الإنساني ، والإحساس الفكري بالحياة " [٣].

وهي إحدى الطرق التي يستعملها الشاعر في بيان صوره الفنية ، فإذا كانت القيمة الكبرى للصورة الفنية في أنها " تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة ، للكشف عن المعنى الأعمق

(١) الديوان : ١/٢١، ٢/٢٢-٨.
(٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٣٧-٢٣٨.
(٣) عبد المنعم خفاجي ، الأدب العربي وتاريخه ، في العصرين الأموي والعباسي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠، ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للحـــياة والوجـــود ، المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون ، والمبني بطريقة إيحائية مخصبة من حيث الشكل " [١] ، فإن الحكمة هي خير دليل على هذا العمل .

وتبرز القيمة الجمالية للحكمة ، بوصفها تعبيراً عن تجربة فردية ، يتجاوز الفرد ، لينطلق إلـــى تجربة أعمّ وأشمل ، يتجاوز فيها الزمان والمكان والعرق والجنس ، لما يحمله من جمال لفظي ، وجمال معنوي ، تدركه البصيرة الناقدة [٢] .

ولقـــد كـــان كـــشاجم شاعراً حكيماً ، خبر الحياة ، وصحب العلماء والأدباء ، وتنقل بين الـــبلدان ، وعانى من إعراض الدنيا عنه ، وعدم تحقيق آماله ، فكانت أحداث الزمان خير معلم ومرشد له ، وقد آن أن ينصرم تمتعه بشبابه ، فلم يبق له منه إلا كبقايا الزهر في الروض ، لأن الشيب قد أطل على شعره ، كما أطل السحر على الليل [٣] :

يُريكَ مـــرُورُ الليالي العِبـــرَ ... وللوِرْدِ في كُلِّ حالٍ صَدَرْ
سَحَبْتُ على الدَّهر ذَيْلَ الشَّبابِ ... وما زلْتُ أنْضيهِ حتى غَبَرْ
ولـــمْ يَبـــقَ لـــي منهُ إلا كما ... يُرى في الرِّياض بقايا الزَّهَرْ
سوادٌ أطَـــلَّ عليـــهِ البَيَـــاضُ ... كَلَيـــلٍ أطلَّ عليهِ السَّحَـــرْ

وصورة أثواب الشيب كالكفن ، الذي لا يسلم صاحبه إلا إلى القبر[٤] :

والشَّيبُ لا تُسْلِمُ أثوابُهُ ... لابسَها إلا إلى القبرِ

ولما تيقن أن الشيب نذير الموت ، أخذ ينصح ، ويعظ ، راسماً خلاصة تجاربه في شكل حكم .

فالدنيا وهم باطل ، أو حلم زائل ، وعلى الإنسان أن يكف عن آماله البعيدة ، وأن يرضى بما قسم له [٥] :

إنَّما الدُّنيا كوهمٍ ... أو كأحْـــلامِ مَنـــامِ
لا تَرومَنَّ بعيداً ... وارضَ بالأمرِ المُوامِ

ولـــربما يرضى الإنسان من دنياه ، خروجه بنفس سالمة من تبدل الأحوال ، والنكبات ، وكـــأن الدنـــيا خـــيال لامع كاذب ، أو حلم لا يلبث صاحبه أن يدرك حقيقة واقعه ، فأصحاب

---

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص١٥.
(٢) انظر : عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص١٧١.
(٣) الديوان : ١/١٧٩-٤.
(٤) الديوان :٤/٢٠٠.
(٥) الديوان : ٨/٣٦٣-٩. الموام : المناسب والموافق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناصب الرفيعة ، السعداء اليوم ، هم النادمون غداً ، والعاقل من اتعظ بغيره ، وتفكر بعواقب الأمور ، وخواتيمها ، يقول كشاجم في معاتبة زوجته إياه [١] :

بَكَرَتْ تَلومُ ومثلها لكَ لائمهْ ... كُفِّـــي الملامَ فأنتِ فيهِ ظالِمَه ْ

عزَّيتُ نفسي عن مطالبَ جمَّةٍ ... ورضيتُ ْمن نفسي بحظٍّ سَالِمَه ْ

ورأيتُ أحْوالاً تحولُ وشيكةً ... لُمَعاً وتخييلاً كَحُلْـــمِ الحَالِمـــَه ْ

لا يُعْجِبَنّكِ أنْ تنالـــِي رُتْبـــَةً ... غُبِطَتْ بها عُصَبٌ فراحَتْ نادِمَه ْ

وإذا افتتاحُ الأمرِ راقكِ حُسْنُهُ ... فتَبيَّني ماذا تكُـــونُ الخاتِمَـــه ْ

قد يبدو كشاجم متشائماً بعض الشيء ، ولكن الحقيقة التي لا مفر منها ،أن الصحيح يسقم، والجديـــد يهـــرم ، والمـــوت نهاية كل حي ، وإذا كانت الدنيا كأحلام منام ، فإن للمنايا عيناً لا تغتمض ، ولا تنام ، ترقب الإنسان ، وتتحين ساعته الأخيرة [٢] :

وكلُّ ما صِحَّةٍ إلى سَقَمٍ ... وكُلُّ ما جِدَّةٍ إلى هـــَرَمِ

وللمنايا عَيْنٌ مُوَكَّلَـــةٌ ... بالحَيِّ لمْ تَغْتَمِضْ ولمْ تَنَمِ

ولعل إدراك كشاجم لحقيقة الموت ، هو الذي دفعه إلى أن يصرخ قائلاً [٣]:

وأيُّ شيءٍ أبداً يُعطى البقا !

لقد كانت بداية الحياة ، ونهايتها ، واضحة في ذهن كشاجم ،لا يشوبها شك أو اضطراب، ومـــن هـــنا جـــاءت صـــوره التـــي يشكر فيها الله على نعمائه ،ويستغفره على تقصير نفسه وعصيانه[٤]، وليس أجمل من التماس التوفيق من الله تعالى ، ومناجاته ، والتذلل بين يديه ، أملاً في مغفرته ، ورجاء دخول جنته ، يقول كشاجم[٥] :

أيَـــا رَبِّ وفِّق لِخَيْرِ المقا ... لِ إنْ لمْ أوَفَّقْ لِخَيْرِ العَمَلْ ْ

ولا تقطَعَنْ أملي والرَّجاءَ ... فأنتَ الرَّجاءُ وأنتَ الأمَلْ ْ

حقاً إنها لمشاعر جميلة ، تصدر عن كل نفس عرفت الله ، وآمنت به .

ولقد نظر كشاجم في الحياة ، فرأى المال الذي يخزنه الغني ، أشبه باللحم الذي لا يؤكل ، وقد تنكر لما بين يديه من مال ، طمعاً بما يرجوه ، كالنافخ الذي يطفئ النار بدل أن يوقدها [٦]:

ومُسْتَزيدٍ في طِلابِ الغِنى ... يَجْمَعُ لحماً ما لَهُ طابِخُ

---

(١) الديوان : ١/٣٥٦-٥.
(٢) الديوان : ٣/٣٦٤-٤.
(٣) الديوان : ٤/١٢.
(٤) الديوان : ٨/٢٠٣ ، ٥/٤٤٣.
(٥) الديوان : ٤٧/٣٤٧-٤٨.
(٦) الديوان : ٢/١٠٢-٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضيَّعَ ما نالَ بما يَرْتَجي والنَّارُ قدْ يُطْفئُها النَّافِخُ

ورأى لذة العيش في الجد والاجتهاد ، والسعي الحثيث في طلب الرزق ،في وضح النهار، وظلمة الليل ، فالغنى لا يدرك بغير المشقة والتعب [١]:

لا أسْتَلِذُّ العَيشَ لمْ أدْأبْ لَــهُ طلَباً وسَعْياً بالهواجِرِ والغَلَسْ

وأرى حراماً أنْ يواتيني الغِنى حتَّى يُحاوَلَ بالعَناءِ ويُلْتَمَسْ

إنها صور جميلة بنتائجها ، فهي تقود إلى جمال في سلوك الإنسان ، فلا الطمع خير له ، ولا الكسل والدّعة خير له ، إنما عليه أن يعمل ، وليس عليه أن يحقق النجاح ، فالنتيجة دائماً موكولة إلى الله [٢]:

وعليَّ أنْ أسْعى وليْــ ـسَ عليَّ إدراكُ النَّجاحِ

والعلــم ميدان كشاجم الأفضل ، وله فيه حكمة الخبير المجرب ، فمن منع العلم حُرمه ، والعلم لا يكون للغبي ، قليل الفطنة ، الذي لا يفهمه ، ولا يقدّر فوائده ، وإنما يكون للحصيف ، الفطن ، الذي يستحقه ، ويستأهله [٣]:

لا تَمْنَــعِ العِلمَ امرَءاً والعِلْمُ يَمْنَعُ جانِبَــهْ

أمّا الغبِــيُّ فلَيسَ يَفْــ ـهَمُ لُطْفَهُ وغرائبَهْ

وتكُــونُ حاضرةُ الفوَا ئــدِ عِنْدَهُ كالغائبــهْ

وأخوالحَصَافَةِ مُسْتَحِقْــ ـقٌ أنْ يَنالَ مَطالِبَهْ

فَبِحَــقِّــهِ أعْطَيــتَــهُ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ واجِبَهْ

ولكــشاجم قــصيدة ، كل بيت فيها حكمة سائرة ، وقول مأثور ، إنها مجموعة من الحكم والنصائح المتواترة ، والدرر المنظومة ، التي تشكل عقداً من الجواهر الخالد على مرّ الزمن .

وهــذه القــصيدة تمثل خلاصة تجربته في اللهو والعشق والخمر ، فهو يرى الشباب عارية لا بد من ردها ، وعلى الإنسان أن يشغل نفسه بمعالي الأمور ، بدل أن يمنّيها بالحب ، الذي بدايته حلاوة ، وعاقبته مرارة [٤]:

حُلَلُ الشَّبيبَةِ مُستعارَهْ فَدَعِ الصِّبا واهْجُرْ دِيارَهْ

لا يشْغَلَنْكَ عَنِ العُلا خَوْدٌ تُمَنِّيكَ الــزِّيَــارَهْ

خــوْدٌ تُطَيِّبُ طيبــهَا ويَزينُ ساعِدُها سِوارَهْ

(١) الديوان : ٦/٢٢٧-٧.
(٢) الديوان : ٣٢/٧٣.
(٣) الديوان : ١/٤٧٢-٥.
(٤) الديوان : ١/١٨٨-٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَحْلــُوا أوائلُ حُبِّــها وتَشوبُ آخِرَهُ مــرَارَهْ

والفخر لا يكون بالشّبع والسمنة ، والتعلّق بشرب الخمر ، والجنون والوله بالنساء ، وإنما الفخر بإغاظة الأعداء ، وإعزاز الجار ، وصون العرض ، وإكرام الضيف ، والسعي إلى المجد في الإمارة أو الوزارة ، وفي بليغ العبارة [١]:

ما الفخْرُ أنْ يَغْدُو الفتى متشَبِّعاً ضَخْمَ الجُزارَهْ
كَلِفاً بِشُرْبِ الرَّاحِ مَشْــ ــعوفاً بِغِزْلانِ الستّارَهْ
مَهْجُــورةً عَرَصاتــُهُ لا يَقْرَبُ الأضْيافُ دارَهْ
الفَخْرُ أنْ يُشْجي الفتى أعداءهُ ويُعــزَّ جَــارَهْ
ويَذُبَّ عَنْ أعْرَاضــِهِ ويَشُبَّ للطُرَّاقِ نَــارَهْ
ويَروحَ إمــَّا للإمَــا رَةِ سَعْيَهُ أو للــوِزَارَهْ
فَرْدُ الكِتابةِ والخَطــَا بَةِ والبَلاغَةِ والعبَــارَهْ

وعلى الإنسان أن يضيف إلى مجده القديم مجداً جديداً ، وأن يكون عزيز النفس ، حرّاً ، يجتنب العار ، ولا يذل لأحد ، حتى لو أدى به ذلك إلى أكل الحجارة ! يقول كشاجم [٢]:

فادْأبْ لِمَجــْدٍ حَادِثٍ أو سالِفٍ تُعْلي منــَارَهْ
واعْمُرْ لِنَفْسِكَ في العُلا حالاً وَكُنْ حَسَنَ العِمارَهْ
وأقِــمْ لَها سُوقاً تُنَفْــ ــفِقُها وتَأخُذُها تِجَــارَهْ
لا تَغْدُ كَلاً واجْتَنِــبْ أمْرَاً يَخَافُ الحُرُّ عَــارَهْ
وإذا عَدِمْتَ مِــنَ المَآ كِلِ خَيْرَها فَكُلِ الحِجارَهْ

ويكمــن الجمال في هذه القصيدة ، في تصوير النفس الإنسانية الأبية ، الرافضة للملذات والــشهوات الحــسيّة ، المتــرفعة عن الصغائر ، المحبة لخير الناس ، المتعالية على الضعف البشري ، الطموحة إلى المجد والرفعة .

لقــد كان كشاجم عظيماً في شعره ، عظيماً في صوره الفنية ، بمقدار ما كان عظيماً في حــياته " فــالفن يكون عظيماً بمقدار ما يكون معبراً عن القيم العظمى للحياة " [٣] ولا غرو ، فكشاجم بحق ريحانة الأدب ، التي تعبق بعطرها الزكي على مر العصور .

---

(١) الديوان : ١٨٩/٨-١٤. الجُزارة : اليدان والرجلان والعنق . المشعوف : المجنون الوله ومن أصيب شعفة قلبه بحب . غزلان الستارة : كناية عن النساء وراء خدورهنّ .
(٢) الديوان : ١٩٠/٢١-٢٥. الكلّ : الثقيل لا خير فيه .
(٣) رينيه ويليك وأوستن وارين ، نظرية الأدب ، ص٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

سـعى هـذا البحث إلى دراسة الصورة الفنية في شعر كشاجم ، ولما كان كشاجم شاعراً ينتمي إلى عصر ثقافي متميز ، أولى النقد فيه أهمية للجانب التصويري في الشعر العربي ، فقد كان لزاماً أن نتتبع مفهوم الصورة عند القدماء ، فقد أطلق الجاحظ لفظة " التصوير " وقصد بها الطـريقة التـي تتشكل بها المعاني ، فالألفاظ تجسد المعاني وتخضعها لوزن معين ، ولم يكن التصوير عند الجاحظ مصطلحاً فنياً ، ولكنه استعار لفظة التصوير من الأسماء ذات المدلولات الحسية ، ليوضح بها مدلولاً ذهنياً . ولما جاء عبد القاهر الجرجاني نقل لفظة الصورة من عالم المحسوسات ، لتصبح مصطلحاً نقدياً للتفريق والتمييز بين معنى ومعنى آخر ، كما وسّع مفهوم الـصورة حتى شمل الألفاظ جميعها ، سواء أدلت على المعاني مباشرة ، أم دلت على المعاني التي بدورها تدل على معان أخر .

غيـر أن مـن جـاء بعد عبد القاهر من البلاغيين لم يتوقف عند مصطلح الصورة الذي وضـحه عبد القاهر ، فقصروا اهتمامهم على جزء مما عناه ، واستعملوا لفظة " الصورة " لما يقدم المعنى في صورة محسوسة ، كالتشبيهات والاستعارات والكنايات.

بيـنما قـدم حازم القرطاجني مفهوماً جديداً للصورة ، ينبثق من الحقيقة المميزة للشعر ، التي حددها بالتخييل والمحاكاة .

وإذا كـنا قـد تتبعنا مفهوم الصورة عند القدماء ، فإننا لم نهمل مفهومها عند المحدثين ، الـذين اخـتلفوا في تعريفها تبعاً لاختلاف ثقافاتهم ومصادر معرفتهم ، بحيث تتوافق والمناهج والمدارس التي يتبنون أفكارها ، فمنهم من يعتمد اللغة أساساً للتعريف ،ومنهم من يعتمد العقل ، ومنهم من يتكئ على الشعور والوجدان ،وقد ارتضينا تعريف عبد القادر الرباعي، كونه الأكثر شمولية ، فهو يرى أن الصورة أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية في أذهاننا ، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن ، مع الاهتمام بالإيقاع الموسيقي ، والرمز والأسطورة .

وقـد عـرفنا كـشاجم ، أبا الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك ، الفارسي ، الـساساني ، الذي كانت أسرته تتمتع بالمراتب المرموقة في الدولة العباسية ، وقد اشتق لنفسه هذا الاسم من المهارات التي كان يتقنها ، وهو اسم مرتجل للعلمية ، على زنة مفاعل ، ممنوع من الصرف .

وتبين لنا أن كشاجم قد ارتحل بين العراق وبلاد الشام ومصر ، مما وفر له بيئة خصبة ، متـنوعة الظواهر الطبيعية ، وهو يصطحب في رحلاته تلك العلماء والأدباء ، وقد خص لنفسه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهم أبا بكر الصنوبري ،الذي جمعته به أواصر المحبة والصداقة ، فانعكس كل ذلك في شعره، وصوره الفنية .

وقــد أولى كشاجم المرأة عنايته ، فصور لون بشرتها ، وهيئتها ، وحركتها ، وطيبها ، وزينتها ، ولباسها ، وجسمها ، وأخلاقها ، فأضاف بذلك إلى جمالها الحسي جمالاً معنوياً . كما صور الرجل ، وتجلى ذلك من خلال علاقته به ، سواء أكان صديقاً ، أم أميراً ، أم غير ذلك .

وكان وصف الطبيعة من أهم الموضوعات التي ظهرت فيها قدرة كشاجم على التصوير ، فهــي مــلاذه من الهموم والأكدار ، ومنصرفه إلى التمتع بمظاهر الحياة ، وقد صور الطبيعة الهامــدة مــن أمطــار ، وأنهار ، وثلوج ، كما صور الطبيعة الحية ، من أزهار ، ونباتات ، وحيوانات ، ولعل نجاحه الدائم في رحلة الصيد ، وطبيعته المهيأة للظفر ، مهما كانت طريدته ، يوحيان له بالانتصار على أعدائه ، ولو كان هذا الانتصار معنوياً .

وقد كانت ثقافة كشاجم واسعة ، يرفدها عدد من الروافد الثقافية ، أبرزها : الثقافة الدينية والمذهبية ، حيث كان متشيعاً لآل البيت ، والثقافة الأدبية ، وهو في صوره المستمدة من ثقافاته تلــك، يتناص والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتراث الشعري للعديد من الشعراء الذين سبقوه ، خصوصاً أبا نواس .

هــذا وقد خص كشاجم الخمر بالوصف الدقيق ، فصور لونها ، وصفاءها ، وتأثيرها في النفس ، كما صور سقاتها ، وأوقاتها ، وأماكن شرابها ، وكل هذه الصور تتناغم وتتوافق ليكمل بعضها بعضاً ، وتعطي نتيجة واحدة ، مفادها راحة نفس الشاعر التي كان يلقاها في الملذات ، ونسيان الهموم والأكدار ، لكن كشاجم لم يستطع أن يغيب كلياً عن تلك الهموم ، إذ لا تفتأ تطل علينا بين الحين والحين ، من ثنايا صوره التي أراد أن يرسم بها سعادته الظاهرة .

وقــد تــنوعت أشــكال الــصورة البلاغــية في شعر كشاجم ، الإشارية ، والتشبيهية ، والاستعارية ، وكان التجسيم هو النوع الاستعاري الغالب عنده ، وإذا عرفنا أنه يحتاج إلى جهد كبيــر وتركيــز عميق حتى يتم الكشف عنه ، أدركنا السبب في سعي كشاجم إلى الإكثار منه ، فهو يحقق لذة النفس واستمتاعها ، ويكشف عن شرفها وبعد غايتها .

كمــا تــنوعت أشــكال الصور المفردة ، الحسية ، والعقلية ، في شعر كشاجم ، وكانت الــصور البــصرية هي الأكثر وروداً عنده ، بأنواعها اللونية ، والضوئية ، والحركية ، وهي نتيجة تأمله في الكون ، ومحاولته إدراك الجمال في كل ما تقع عليه عينه . وتلتئم هذه الصور المفردة بعضها مع بعض في إطار من الوحدة البنائية ، وفق علاقات جدلية متماثلة ،أو متخالفة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو متنافــرة ، تنــشأ عن اندماج ذات الشاعر في الموضوع الذي يطرقه ، لتشكل صورة كبرى كلية هي القصيدة .

وفــي دراســة موســيقى شــعر كشاجم الخارجية ، من أوزان وقواف ، وجدنا أن نسب الأوزان عند كشاجم تتفق ، بصورة عامة ، ونسب أوزان الشعر العربي القديم ، كما أن قوافيه يغلــب عليها الحروف التي شاعت في قوافي الشعر القديم ، مع اختلافات يسيرة ، وهو في ذلك يرضي جمهور المستمعين ، الذين ألفوا طريقاً مرسوماً في الشعر ، وتعودوا سماعه .

وفــيما يتعلق بالموسيقى الداخلية ، فقد أكثر كشاجم من ألوان البديع ، ووزعها في أبيات قصائده ، بما يرضي نفسه ، وذوقه الفني ، وينفي الملل والسآمة عن نفوس المتلقين .

وفــي دراسة الرمز والأسطورة ، من خلال الصور المكررة في شعر كشاجم ، نكتشف الدلالــة الباطنية للصورة ، فقد تحولت المرأة في ظلها إلى رمز إلهي مقدس ، وكذلك الرجل ، لارتباطهما بمعتقد العرب قبل الإسلام ، في عبادة الأصنام ، والأجرام السماوية .

وقــد كــان لكشاجم موقف فكري في الحياة ، وفلسفة عميقة في قضايا الوجود ، فقدم لنا آراءه في الحب والفراق ، والخير والشر ، والجد واللهو ، والحياة والموت ، في صور إيحائية دالة ، لأنها صادرة عن تجربة صادقة ، لا تخصه وحده ، وإنما تمثل موقفاً من الحياة ، يصدق على تجربته كما يصدق على تجارب آخرين كثيرين .

وبعد ، فلا يستطيع هذا البحث أن يزعم أنه يقول كلمة أخيرة ، بل على العكس ، هو في فــصوله الثمانــية ، مفاتيح للولوج إلى دراسة الصورة الفنية في شعر كشاجم ، يرجو أن يتابع الباحثون استكمالها ، واستيفاءها بحثاً ودراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

- **القرآن الكريم** .
- التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني (ت٥٠٢ هـ) ، والبطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد السيّد (ت٥٢١ هـ) ، والخوارزمي ، صدر الأفاضل قاسم بن الحسين بن محمد (ت ٦١٧هـ) ، **شروح سقط الزند** ، ط٤ ، (تحقيق : مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وعبد السلام هارون، وإبراهيم الأبياري، وحامد عبد الحميد، بإشراف طه حسين ، دار الكتب والوثائق القومية) ، القاهرة ، ٢٠٠٢.
- التنوخي ، القاضي أبو علي المحسّن (ت ٣٨٤هـ) ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ،(تحقيق : عبود الشالجي) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١.
- التيفاشي ، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت٦٥١ هـ) ، **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس** ، ط١ ، (تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ، بيروت ، ١٩٨٠.
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، ط١ ، (شرح وتحقيق : مفيد نحلة) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣.
- ـــــــــــــ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥.
- ـــــــــــــ **الإعجاز والإيجاز** ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٢.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ) ، **الحيوان** ، ط٣ ، (تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ) ، **دلائل الإعجاز** ، ط٥ ، (قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٠٠٤.
- ـــــــــــــ **أسرار البلاغة** ، ط١ ، (قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر) ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابــن الجــوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٩٧هــ) ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٥٧هــ .
- الحــسن بن الحسين ، أبو عبد الله (ت٣٨٦ هــ) ، **البيزرة** ، (نظر فيه وعلق عليه : محمد كرد علي) ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٥٣.
- الحــصري القيرواني ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٣ هــ) ، **جمع الجواهر في الملح والنوادر ، أو ذيل زهر الآداب** ، المطبعة الرحمانية ، مصر .
- الخطــيب القزوينــي ، محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩ هــ) ، **تلخيص المفتاح ، في المعانــي والبــيان والــبديع** ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣٨.
- ابــن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١ هــ) ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، (تحقيق : إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت .
- الرامهرمــزي ، القاضــي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هــ) ، **كــتاب أمــثال الحديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم** ، ط١ ، (علق عليه : أحمد عبد الفتاح تمام) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٨.
- ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦ هــ) ،**العمدة في محاسن الــشعر وآدابــه ونقــده** ، ط١، (تحقــيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٨٠.
- الــسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١هــ) ، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ، ط١ ، (وضع حواشيه : خليل منصور) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧.
- الشابــشتي ، أبــو الحــسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هــ) ، **الديارات** ، ط٢ ، (تحقيق: كوركيس عواد) ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٦.
- ابــن شاكر الكتبي ، محمد (ت٧٦٤ هــ) ، **فوات الوفيات** ، والذيل عليها ، (تحقيق : إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣.
- ابن شهراشوب ، أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٥٨٨هــ) ، **معالم العلماء في فهرست كــتب الــشيعة ، والمــصنفين منهم قديماً وحديثاً** ، (تحقيق : محمد صادق آل بحر العلوم) ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤ هـ) ، **تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب** ، (تحقيق : صلاح الدين المنجد) ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٥ ، ملحق في كتاب أمراء دمشق في الإسلام .
- ابن طباطبا ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت٣٢٢ هـ) ، **عيار الشعر** ،(تحقيق: طه الحاجري ، ومحمد زغلول سلام) ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٥٦.
- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت٦٦٠ هـ) ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ط١ ، (تحقيق : سهيل زكار) ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٩٧.
- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥ هـ) ، **الصناعتين : الكتابة والشعر** ، ط١ ، (تحقيق : محمد علي البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢.
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩ هـ) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، المكتبة التجارية ، بيروت .
- قدامة بن جعفر ، أبو الفرج (ت٣٣٧ هـ) ، **نقد الشعر** ، (تحقيق : كمال الدين مصطفى) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣.
- القرطاجني ، أبو الحسن حازم (ت ٦٨٤هـ) ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، (تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة) ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦.
- كشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين (ت حوالي ٣٤٨ هـ) ، **الديوان** ، (تحقيق وشرح وتقديم : خيرية محمد محفوظ) ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠.
- ـــــــــــــــ **الديوان** ، ط١ ، (دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٩.
- ـــــــــــــــ **أدب النديم** ، ط١ ، (دراسة وشرح وتحقيق : النبوي عبد الواحد شعلان)، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٩.
- ـــــــــــــــ **المصايد والمطارد** ، (حققه وعلق عليه : محمد أسعد طلس) ، دار اليقظة ، بغداد ، ١٩٥٤.
- ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد (ت٢٠٤ هـ) ، **كتاب الأصنام** ، (تحقيق : أحمد زكي) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ،(تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧.
- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١ هـ) ، **صحيح مسلم** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١.
- ابن مكي ، عمر بن خلف الصقلي (ت٥٠١ هـ) ، **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان** ، (تحقيق : عبد العزيز مطر) ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية ، ١٩٦٦.
- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، **لسان العرب** ، ط١ ، دار صادر ، ١٩٩٧.
- الميداني ، أبو الفضل النيسابوري (ت ٥١٨هـ) ، **مجمع الأمثال** ،(تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٥٥.
- النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ) ، **الفهرست** ، (تحقيق : رضا تجدد) ، مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفري ، طهران ، ١٩٧١.
- أبو نواس ، الحسن بن هانئ (ت ١٩٩هـ) ، **الديوان** ، ط١ ، (تحقيق : عمر فاروق الطباع) ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ١٩٩٨.
- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٨هـ) ، **السيرة النبوية** ، (تحقيق : سعيد محمد اللحام) ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢.
- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، ط٤ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٦.

ثانياً : المراجع .

- إسماعيل ، عز الدين ،(١٩٧٤) ، **الأسس الجمالية في النقد العربي** ، ط٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربي .
- ـــــــــــــــ (١٩٧٥) ، **في الشعر العباسي ، الرؤية والفن** ، بيروت ، دار النهضة العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ـــــــــــــــــ (١٩٧٨) ، **الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية** ، ط٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربي .
- أبو أصبع ، صالح ، (١٩٧٩) ، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة** ، ط١ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- أنيس ، إبراهيم ، **موسيقى الشعر** ، القاهرة .
- البصير ، كامل حسن ، (١٩٨٧) ، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي** ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .
- البطل ، علي ، (١٩٨٠) ، **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري** ، ط١ ، بيروت ، دار الأندلس .
- حسن ، عباس ، (١٩٦٦) ، **النحو الوافي** ، ط٣ ، مصر ، دار المعارف .
- خفاجي ، عبد المنعم ، (١٩٩٠) ، **الأدب العربي وتاريخه ، في العصرين الأموي والعباسي** ، بيروت ، دار الجيل .
- درو ، إليزابيث ، (١٩٦١) ، **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه** ، ترجمة : محمد إبراهيم الشوش ، بيروت .
- دهمان ، أحمد علي ، (١٩٨٠) ، **الصورة البلاغية عند عبد القاهر** ، ط ١، دمشق ، دار طلاس .
- الرباعي ، عبد القادر ، (١٩٨٤) ، **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى** ، الرياض ، دار العلوم .
- ـــــــــــــــــ (١٩٩٥) ، **الصورة الفنية في النقد الشعري** ، ط٢ ، دراسة في النظرية والتطبيق ، إربد ، مكتبة الكتاني .
- ـــــــــــــــــ (١٩٩٩) ، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام** ، ط٢ ، عمان ، دار الفارس .
- الزركلي ، خير الدين ، (١٩٩٢) ، **الأعلام** ، ط١٠ ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- أبو زيد ، علي إبراهيم ، (١٩٨١) ، **الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي** ، ط١ ، مصر ، دار المعارف .
- شادي ، محمد إبراهيم ، (١٩٩١) ، **الصورة بين القدماء والمعاصرين ، دراسة بلاغية نقدية** ، ط١ ، مصر ، مطبعة السعادة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الـشكعة ، مـصطفى ، (١٩٥٨) ، **فـنون الـشعر في مجتمع الحمدانيين** ، مصر ، مطبعة المعرفة .
- ضيف ، شوقي ، **عصر الدول والإمارات ، الشام** ، ط٣ ، مصر ، دار المعارف .
- ـــــــــــــــ (١٩٧٧) ، **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور** ، مصر ، دار المعارف .
- ـــــــــــــــ **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، ط١٠ ، مصر ، دار المعارف .
- عباس ، إحسان ، (١٩٨٧) ، **فن الشعر** ، ط٤ ، عمان ، دار الشروق .
- عبد الجابر ، سعود محمود ، **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني** ،مؤسسة الرسالة.
- عجيـنة ، محمـد ، (١٩٧٠) ، **موسوعة أساطير العرب ، عن الجاهلية ودلالاتها** ، ط١ ، بيروت ، دار الفارابي .
- عـصفور ، جابـر ، (١٩٩٢) ، **الـصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب** ، ط٣ ، بيروت ، المركز الثقافي العربي .
- علـي ، جواد ، (١٩٧٠) ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ط١ ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- فـضل ، صـلاح ، (١٩٨٧) ، **نظرية البنائية في النقد الأدبي** ، ط١ ،القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- القـط ، عـبد القـادر ، (١٩٧٨) ، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر** ، بيروت ، دار النهضة العربية .
- قطب ، سيد ، (١٩٨٣) ، **التصوير الفني في القرآن** ، ط٨ ، بيروت ، دار الشروق .
- ـــــــــــــــ (١٩٩٤) ، **في ظلال القرآن** ، ط٢٢، بيروت ، دار الشروق .
- محمد ، الولي ، (١٩٩٠) ، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي** ، ط١ ، بيروت ، المركز الثقافي العربي .
- أبو موسى ، محمد ، (١٩٨٠) ، **التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان** ، ط ٢ ، مصر ، مكتبة وهبة .
- ناصـف ، مـصطفى ، (١٩٥٨) ، **الـصورة الأدبـية** ، ط١ ، القاهرة ، دار مصر للطباعة .
- نوفل ، سيد ، **شعر الطبيعة في الأدب العربي** ، مصر ، دار المعارف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هـــلال ، ماهـــر مهـــدي ، (١٩٨٠) ، **جرس الألفاظ ودلالتها** ، بغداد ، دار الحرية للطباعة .
- هـــلال ، محمد غنيمي ، (١٩٧٣) ، **النقد الأدبي الحديث** ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر .
- ويلـــيك ، رينـــيه ، ووارين ، أوستن ، (١٩٨٧) ، **نظرية الأدب** ، ترجمة : محيي الدين صبحي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

ثالثاً : الدوريات .

- البقاعـــي ، محمـــد خير ، (١٩٩٩) . ديوان كشاجم بين التواضع والادعاء . **مجلة جذور** . النادي الأدبي الثقافي بجدة . مجلد١ . (ع١) : الصفحات ٣٤٧-٣٦٠.
- الرباعـــي ، عبد القادر ، (١٩٧٩) . الصورة في النقد الأوروبي . **مجلة المعرفة** . سوريا . (ع ٢٠٤) : الصفحات ٢٧-٧٠.
- عـــباس ، إحـــسان ، (١٩٧٦) . ديـــوان كـــشاجم ، تقييم وإضافة . **مجلة المورد** . العراق . مجلد٥ . (ع٢) : الصفحات ٢٨١-٢٩٠.
- فـــضل ، صـــلاح ، (١٩٩٢) . بلاغة الخطاب وعلم النص . **سلسلة عالم المعرفة** . مطابع السياسة ، الكويت . (ع١٦٤) .
- مـــسعود ، رشـــيد ، (١٩٧٨) . الإبـــداع الجمالي ، نتاج اجتماعي أم وليد العبقرية الفردية . **مجلة الموقف الأدبي** . دمشق . (ع٤٨) : الصفحات ٣٨-٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ARTISTIC IMAGE IN KASHAGEM POETRY

BY

Ala`a-Deen Zaki Ali Mousa

Supervisor

Dr . Yaseen Aiesh Khalil

ABSTRACT

This research touches upon the image of Kashajem`s poetry . It aims to re-read the Arab heritage , according to the new bases of the artistic analysis of poetry , because the image is the source of fertility and one of the features which distinguishes it and because it is a means of the poet to show his poetry , he started his research paving the way and stopping at the concept of the image trying to specify it specially that he has many concepts . Then , the opinions are different about the matter either at the old Arab criticism or at the new one , the researcher has come up with that we can deal with the concept more comprehensively , so metonymy, simile , metaphor , figurative expression-generally , accept to be an image adding the poet's sensations , and feelings , mixed them with his fancy. Then researcher defined Kashajem , Abi Al-fateh Mahmoud Ben Al-husian Ben Al-sende Ben Shahak , (died in about ٣٤٨ of the hegira) who derived his name from the skills he mastered , the researcher talked about his kinship,lifeandworks.

In part one : in three chapters deal with the topics of his poetry's images , the scholar in chapter one dealt with the human's image , the woman whom he over- described her beauty- her body and ethics` beauty, and the man whom he described as a friend or a prince or something else , in chapter two he dealt with nature's image including the rains , rivers , roses , plants and animals , in chapter three he described the image of the society and civilization , and Kashajem`s culture which is shaped by religious , sectarian , literary and scientific branches , one of the clearest sectarian and social cases in his poetry as partiality , drinking courts , musical instruments image , the image of the food , the image of writing tools and luxurioustoolsimage.

As we find that the second part the building of the image in Kashajem`s poetry comes in three chapters , the researcher treated in the first chapter with the shapes of rhetoric image in Kashajem`s poetry, giving the meaning indirect way , simile and metaphor , while the second chapter

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

treated with the single image , which comes by senses or by mind and its kinds , and also discussed the relationships which are similar or different or opposite which collect the single images to form the total image which is the poem , and the third chapter treated the rhyme and it was the same as those in the old Arab poetry .

The third part discussed the image guidance , in the first chapter the researcher talked about symbol and legend , and how the image of the woman or the man can be a holy symbol because of its relationship with what Arab believed before Islam , and The researcher discussed in the second chapter what the poet thought about life , through love and departure , good and evil , seriousness and amusement and life and death , in addition to wisdom to man to get sublimity and exaltedness . The conclusion came finally to show the most important results which the researchfound.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit